

ويسر القديس أنبا مقار
برية شيهيت

توجيهات وكلمات في الحياة الرهبانية والكنسية

أُقيمت في وادي الريان
في العالمين
١٩٦٧ - ١٩٦٨

الأب متى المسكين

كتاب: توجيهات وكلمات في الحياة الرهبانية والكنسية
أُلقيت في وادي الريان في العامين ١٩٦٧-١٩٦٨
المؤلف: الأب متى المسكين.

الطبعة الأولى : ٢٠١٥.

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.

الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٤٤٦٤ / ٢٠١٤

رقم الإيداع الدولي: ISBN 978-977-5545-80-0
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

متى المسكين، ١٩١٩-٢٠٠٦

توجيهات وكلمات في الحياة الرهبانية والكنسية

أُلقيت في وادي الريان في العامين ١٩٦٧-١٩٦٨

متى المسكين. وادي النطرون

دير القديس أنبا مقار برية شيهيت، ٢٠١٤. ٢٠١٠ ص؛

٥٠٠ سم

١- تدمك ٠-٨٠-٥٥٤٥-٩٧٧-٩٧٨

٢- الرهينة

أ. العنوان ٦، ٢٧٨

توجيهات وكلمات

في الحياة الرهبانية والكنسية

أقيمت في وادي الريان في العامين ١٩٦٧، ١٩٦٨

كترتيس لدراب الباحث عمه الطرقة

خيرة رهبنة الصيوان الجدي

والترليل البروي

بالرغم

من الطرد والمطارة والتسليم والتجريد

عشر سنوات

طالما

٢ // ١٠٠٠

مُتَلَمَّة

هذه توجيهات في الحياة الرهبانية كان يلقيها قدس الأب الطوبواوي طيب الذكر القمص متى المسكين خلال عام ١٩٦٧ وعام ١٩٦٨ على الرهبان الذين كانوا معه في وادي الريان (١٩٦١-١٩٦٩) حينما دعاهم قداسة البابا كيرلس السادس في يوم الجمعة ٩ مايو ١٩٦٩ للانتقال إلى دير القديس أنبا مقار لتعميره وتجديد الحياة الرهبانية فيه. ولأنه لم يكن هناك جهاز تسجيل لدى الرهبان في وادي الريان، فقد كان الأبوان الراهب كيرلس المقاري (تنيح ١٣ فبراير سنة ٢٠١٢) والراهب موسى المقاري (الأبنا أندراوس مطران دمياط فيما بعد - تنيح عام ١٩٧٢) يقومان بكتابة نص الكلمات من الذاكرة بعد الانتهاء من إلقاء الكلمة. فيما عدا بعض العظات الأخيرة التي نُقلت من جهاز التسجيل.

وقد قمنا بضبط القواعد النحوية ونصوص الآيات وتسجيل مواضعها في الكتاب المقدس.

وقد قام قدس أبينا الطوبواوي القمص متى المسكين بمراجعة النص وكتب تعليقه المنشور صفحة ٣ بخطه مع تاريخ كتابة التعليق. نقدّمه للقراء للمنفعة.

مما يُذكر أن الأب متى المسكين غادر مع الرهبان منطقة وادي الريان يوم الجمعة ٩ مايو عام ١٩٦٩، ومنذ ذلك التاريخ لم تُعد له أية صلة بهذا المكان حتى نياحة قدسه في ٨ يونية ٢٠٠٦.

المحتويات

٩	توجيهات في الحياة الرهبانية
١١	توجيهات رهبانية (٢)
١٤	في مفهوم الطاعة في الرهينة
١٦	توجيهات رهبانية (٣)
١٨	تحذير وتوجيه رهباني
٢٠	توجيه رهباني (٤)
٢٥	ذبيحة الراهب
٢٦	توجيهات رهبانية عن المحبة الأخوية
٢٧	توجيهات رهبانية (٥)
٢٨	توجيهات رهبانية (٦)
٢٩	أسئلة
٢٩	"الذي يُجاهد يضبط نفسه في كل شيء" (١كو ٩: ٢٥)
٣٢	التغصب
٣٣	مقابلة الموت (١)
٣٤	مقابلة الموت (٢)
٣٧	اختبار الإحساس بالموت
٣٨	ما هو الدافع وما هو الهدف في حياتنا الروحية
٤٣	المنهج المسيحي العملي
٤٧	المنهج التصوّفي والمنهج النسكي
٥١	القراءة في كتاب مار إسحق
٥٢	مقدمة الكتاب:
٥٣	سؤال:
٥٥	الاستهانة بوصايا الله
٥٦	عمل الله وعمل الشيطان في العالم
٥٧	العاطفة وعلاقتنا بالله
٥٩	احتمال الآلام بربضا وشكر
٥٩	كفيلان أن يخطئا مملكة الشيطان
٦٠	الاتحاد بالله
٦٢	عمل النعمة وجهاد الإنسان
٦٣	الحب الإلهي
٦٤	فضيلة الاتضاع

٦٦	سرُّ نجاح الكنيسة الأولى
٦٩	منابع الطقس الكنسي القبطي
٧٢	الألحان في العبادة
٧٣	أثر التعاليم الأوريجانية في العبادة المسيحية الفردية
٧٨	طقس رفع بخور عشية وباكراً
٧٩	حضور القداس
٧٩	الاشتراك في سرِّ التناول
٨٠	تحذير بخصوص النظم والترتيبات الكنسية
٨١	تأملات في العهد القديم
٨٢	عمل أب الاعتراف أو المرشد
٨٦	البكاء على الخطايا
٨٨	حركة التكريس العلماني للخدم (غير المكرَّسين للكهنة) في الكنيسة
٨٩	الكراسة لكل العالم
٩٣	روح الإنجيل روح فدية
٩٤	حياة الإيمان
٩٦	الناموس الأدبي
٩٧	المسيح جاء ليكمل الناموس والأنبياء
٩٨	"أمَّا الفريسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم"
٩٩	إنجيل عشية الأحد الثاني من شهر مسرى
١٠٣	شذرات عن سفر الرؤيا
١٠٤	مفهوم الدينونة في العهدين القديم والجديد
١٠٦	علم النفس، والروح
١٠٩	شذرات عن الوجودية الإلحادية
١١٠	البنولية والزواج
١١٢	كلمة روحية بمناسبة قيام الحرب بين العرب وإسرائيل
١١٤	ملاحظات على كتب التفاسير
١١٦	الروح القدس وإلهامه فكر المسيح للكنيسة
١١٩	الفكر الآبائي الشعبي في تدبير الكنيسة القبطية
١٢١	عيد الغطاس المجيد
١٢٨	ظهور المسيح ألغى الأفلاطونية في علم اللاهوت
١٢٩	عيد القيامة المجيد
١٣٧	عيد الميلاد المجيد
١٤٦	عيد الغطاس المجيد
١٤٨	المعمودية والتوبة عن الخطايا
١٥٩	أحد الشعانين
١٦٣	البصخة المقدسة

١٦٣ ملخص حوادث يوم الاثنين
١٦٥ يوم الثلاثاء:
١٦٨ يوم اربعاء البصخة
١٧٢ يوم خميس العهد
١٧٦ يوم الجمعة العظيمة
١٨١ عيد القيامة المجيد
١٨٧ جلسة يوم عيد القيامة
١٩٢ تذكارات صعود جسد القديسة العذراء مريم



توجيهات في الحياة الرهبانية (عن الإمامة)

يناير ١٩٦٧

الراهب أتى من العالم وارتضى أن يموت وسَلَّم إرادته ومشيتته وجسده ونفسه لله، ليس له بعد ذلك أن يقول إنه يطيع بإرادته أو يعمل شيئاً بإرادته. الذي يظنُّ أن أعمال رهبانيته يعملها بإرادته، هذا لم يمت بعد وكل جهاده وأعماله ليس لها أجر! الشخص الميت لا يسعى ولا يقول إنه يموت من أجل الله أو إنه يعمل إمامة، هذا كله خداع.

أنت أهنت أو احتقرت، فما عليك إلا أن تسجد لله شكراً وتصممت ولا تقول لله إنك من أجله تموت، لأن ذلك يدلُّ على أنك لم تمُت بعد.

كل أعمالك التي تعملها قبل موت الذات لا تؤول إلى شيء ويظل خلاصك معطلاً.

أنت غير حرٍّ في إطاعتك للأب الروحي لأنك بعثَ نفسك للمسيح وارتضيتَ من الأول أن تكون عبداً لله وليس لك إرادة أو مشيئة، فإذا أطعته في شخص الأب الروحي فإنك لم تفعل شيئاً غير الواجب.

السيد المسيح ارتضى أولاً أن يُصلب وهو قال: «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢ : ٢٧). ولكن لما أتى وقت الصليب قال للأب: «يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك» (مت ٢٦ : ٤٢). أى أنه لم يذهب بنفسه للصليب بل صُلب خارجاً عن إرادته التي سلّمها لإرادة الله!! فأنت أتيت إلى الرهبة بإرادتك وارتضيتَ أولاً أن تموت من أجل الله، ولكن في الرهبة لا بد أن تصل الضيقة فوق إرادتك وهواك ومشيتك لكي تُكْمَل الصليب. لا بد أن يكون صليبك فوق المشيئة لكي تنال الخلاص.

وأنت بالنسبة لأخيك الأكبر أو الأصغر في الرهينة عندما تطيعه وتقطع مشيئتك له حتى ولو كان الذي يأمرك به غير موافق عقلك وتفكيرك، فأنت تطيع بالرغم من إرادتك وبالرغم من هواك لأنك أنت ميت الآن وليس لك إرادة ولا هوى وأنت لست حراً في طاعتك هذه. أما إن كنت تطيعه بإرادتك فأنت تعمل شيئاً بهواك، وهذا لا أجر له، ويدل على أنك خارج الطريق وخالصك معطل.

أحياناً تظنُّ عندما تريد أن تنام أن المسيح سوف يحافظ عليك من خطر الموت سواء من وحوش أو لصوص، وترشم ذاتك بالصليب واثقاً أن السيد المسيح قادر على ذلك ثم تنام، هذا خداع. الواجب أنك تعتقد أنك إنسانٌ ميت أو بالأحرى تنتظر الموت في كل يوم، وها أنت تُقدِّم نفسك ذبيحة للمسيح طالباً أن يقبلها وبأية صورة يقبلها. فأنت تنام والموت بين عينيك. فإن كنت حتى الآن تخاف وترتعب من الموت وتخاف على جسدك وتحاول أن تُطمئن نفسك بوعود إيمانية أن الرب لا بد أن يحافظ على جسدك، فأنت لم تَمُت حتى الآن ولم تحصل بعد على خلاصك. أنت أتيت إلى الرهينة والمفروض أنك مُتٌ وها أنت تحيا مع المسيح.

لا تأخذوا أعمال التحقير والإهانة سواء من الأب أو من الإخوة على محمل التفكُّه، فإن ذلك يُفسد الحياة الروحية. كون أن الأب أهانك أو سفّه رأيك، فهذا خاص بذبيحة حياتك ليعلن موتك أمام المسيح، فقبل ذلك بوقار واحترام وشكر كثير إلى المسيح.

كل شيء تعملونه يكون بنظام، ولا تمد يدك على شيء إلا بعد سؤال ومشورة، ولا تعمل شيئاً بهواك فإن هذا موتك.



توجيهات رهبانية (٢)

٢٦ يناير ١٩٦٧

الرهينة = إماتة الذات للاتحاد بالمسيح

الأب الروحي لا يستطيع أن يفرض إماتة كاملة للراهب، لأنه مفروض أنه يتكلم ويؤجّه وينتهر لخلاص نفس الراهب. كل عمله هو للبناء، فتستطيع الذات أن تتحايَل وتُثبِت وجودها بالاستجابة إلى كلامه والطاعة إلى توجيهاته واحتمال إهاناته. الأب الروحي ممكن أن يعمل إماتة للراهب لو كان سلوكه الروحي خطأ وهو لا يهتم بخلاص نفسه، فيتحمّل عليه ويغضب بل و"يضطّده"!

الذي يمارس الإماتة بكل سهولة في المجمع هو الأخ، لأنه معروف أن مثل هذا الأخ لا يهتم في كثير أو قليل في بناء أخيه، بل على العكس ربما بدون قصد "يحطّمه" أو "يهينه" أو "يزدرى به". هذا هو الشخص الوحيد المناسب واللائق لتحطيم الذات لدى الراهب وعمل الإماتة الحقيقية. هذا هو الشخص الذي يستطيع أن يكسر (قرن) الراهب الذي ما زالت ذاته حيّة. الراهب الحكيم هو الذي يسلم نفسه لمثل هذا الأخ حتى يعاونه على كسر (قرونه).

لا تظن أنك تستطيع أن تُثبِت ذاتك بنفسك. أيسر لك أن تقطع ذراعك من أن تكسر "قرناً" لذاتك. لذلك فإن الأخ القاسي العنيد الشرس الموجود في المجمع هو أحسن وسيلة لكسر "قرونك"، فلا تكرهه ولا تقرب منه ولا تصدّه لأنه يكسر لك "قرونك" مجاناً.

إياك أن ترفض رذالة أخيك وتعديّاته وتردّه عنك سواء بكلمة أو بعمل معاكس، لئلا تخسر هذه المعاونة الجبّارة التي يعملها فيك.

كلما سلّمت نفسك لأخيك ليكسر منك قروناً، كلما تقدّمت في حياتك الروحية. فهَبْ أن لك عشرة قرون وسلّمت نفسك لأخيك

بالخضوع والإذلال وقبول الإهانة والمحقرة منه، فسوف يكسر منك ٣ قرون مثلاً، ثم سلمت نفسك إلى أخ آخر وخضعت له بانسحاق ومذلة فكسر منك ثلاثة قرون أخرى، فقد رجحت من أخيك. وفي النهاية تستطيع بواسطة إخوتك المشاكسين أن تميم ذاتك بالكليّة وتكسب المسيح والملكوت. أنت ستكسب لا شك في ذلك، أما أخوك المشاكس فسيخسر.

إن أردت أن تلخص الرهينة في كلمات، أقول لك: إنَّها إماتة الذات بالكليّة لكي تتحد بالرب يسوع.

سؤال مهم : هل يجوز لي أن أخضع للأشرار؟

أنا شخصياً كنتُ أرفض هذا جداً فحسرتُ بركات كثيرة. الإنسان الذي يتمسك بالرب ويسير وراءه ويقدم حياته بالكليّة له يستطيع أن يخضع ذاته للأشرار ولا يخسر. فالحصان الذي يجرُّ العربة غير مسئول عن السير إلى اليمين أو إلى اليسار أو حتى عن العثرات والفجوات الموجودة في الطريق. هذه كلها مسئولية السائق. الحصان مسئول فقط عن الاستجابة لتوجيهات السائق، يعرف جداً توجيهاته، فإذا ضربه سوطاً يعلم أنه يجب أن يجري، وإذا شدَّ اللجام يعرف أنه يجب أن يبطئ، وإذا شدَّه من اليمين يدور إلى اليمين، وإذا شدَّه من اليسار يدور إلى اليسار. هكذا الإنسان الذي سلم قيادته للروح القدس لا يهمله إذا جابه الأشرار وخضع لهم طالما الروح هو الذي يقوده. الروح يستطيع في لحظة أن يوقف هذا الخضوع ويقول له: لا تتقدم ولا خطوة واحدة، يوجد خطر على حياتك. ويستطيع أن يقوده بحكمة فيتفادى الخطر. يقول المزمور: «صرت كبهيم عندك. ولكنني دائماً معك أمسكت بيدي اليمنى» (مز ٧٣ : ٢٢، ٢٣). المهم جداً أن تكون البهيمة طائعة لتوجيهات سائقها، فلن تهلك، لأن السائق مسئول عن حياتها وروحها.

فالآن، وإن كُنَّا قد علمنا أنه يجب أن نخضع ذواتنا حتى للأشرار ولن نخسر روحياً طالما نحن متمسكون بالرب، فكم بالحري يكون خضوعنا

هاماً ولازماً لإخوتنا القديسين الذين معنا في المجمع؟! أكثر عليّ أن
أتنازل عن رأيي ومشيتي وأخضع ذاتي لأخي الذي أحبّه، حتى ولو كان
رأيه خطأ في نظري؟!!

في ترنيمة للقديس أمبروسيوس واضح الترانيم والألحان في الكنيسة
الرومانية يقول في هذا الصدد: [إن الذين غلبوا ذواتهم **conquered**
themselves هم الذين يُقبلون في الخورس السمائي].



في مفهوم الطاعة في الرهبنة

(تلخيص)

مارس ١٩٦٧

سؤال: هل الطاعة في مفهومها الرهباني هي: أن يطيع المبتدئ طاعة عمياء وينجح في ذلك، فيُعطى له التصرف والحرية؟

جواب: الطاعة في الحياة الرهبانية لها خطان واضحان ومنهجان معروفان من سير الآباء:

المنهج الأول: طاعة عمياء بلا تفكير. وهذا منهج يأخذه الإنسان لنفسه كل الحياة ولا يرجو من ورائه أي شيء سوى أنه نوع من الإماتة الكلية عن ذاته. مثل هذا الإنسان لا يحتاج إلى كتب لكي يتعلم أو حتى إلى الإنجيل لكي يفهم الوصايا ويعمل بها أو إلى كلام روجي ليتعزى به. هو شخص وضع في نفسه أن يطيع حتى الموت، وإذا احتقر لا يتضايق، وإذا كرم لا يهتم، ووضع في نفسه حكم الموت تماماً.

هذا المنهج نادى به بعض الآباء، ولكن ليس الآباء الأولون الكبار في الرهبنة.

المنهج الثاني: هو الطاعة المتحكّمة العاقلة. وهو ما يسميه الأنبا أنطونيوس الطاعة مع الإفراز، أن يطيع الراهب في حدود وصايا الإنجيل، أن يختبر كل شيء ويتمسك بالحسن. حكمة ليست من هذا العالم، إذا أُمرَ بشيء لم يفهمه يسأل عنه. إذا رأى أن الأب أعطاه أمراً، وهذا الأمر بدأ يُحرّف حياته عن طريق الحق يسأل أباه. يطيع ولكن دائماً يرى أمامه الهدف الذي خرج من أجله ولا يفقده أبداً. هذا الإنسان ينفعه جداً قراءة الإنجيل وكتب الآباء والكلام الروحي الذي يُلهب النفس وباستمرار يُصلح طريقه ويُعدّل خطواته بناءً على ما يسمع ويقرأ، هذا

يُؤلّد الإفراز وينمو ويزيد. وفي النهاية يمكن أن يعيش الإنسان بمسحة الروح القدس الذي يُعلّمه كل شيء في حالة عدم وجود الأب المرشد بغير أن ينحرف أو يزلّ، ويكفي أن يذهب للمرشد للاعتراف والتوبة. وهذا ما كان يحدث في الرهينة الأولى للآباء الكبار كأنتونيوس ومقاريوس وبموا.

- يوجد تحايل عقلي مُفسد يُوحى للنفس أن تطيع طاعة عمياء أولاً حتى تتحرّر أخيراً من الطاعة! هذا عمل ذاتي شرير يقود النفس إلى الانتفاخ والسقوط. الذي يطيع يضع في قلبه أنه يطيع كل حياته للمرشد حتى الموت لأنه ليس كُفأً أن يسلك بذاته، والحرية تأتي من فوق «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨ : ٣٦). في هذه الحالة يستطيع الإنسان المُتحرّر بالروح القدس أن يُصغي إلى صوت الروح القدس في داخله يُرشدّه ويؤنّبّه ويُعزّيه ويُشجّعّه.

- منهج الطاعة العمياء ومنهج الطاعة المُتحكّمة المُفرّزة صحيحان إن كان الإنسان من أجل الله يسلك فيهما لأجل خلاص نفسه ولا يطلب من ورائهما أى شيء آخر. أما أنا فلا أميل إلى المنهج الأول، وإذا رأيتُ واحداً من الرهبان يميل أن يرمي بثقله كله علىّ ويسأل في كل شيء ولا يتحرك أية خطوة إلا إذا سأل، أبعدّه عني. يجب أن نسلك بالمنهج الثاني الذي سلّكه الآباء المُفرّزون المستتيريون.



توجيهات رهبانية (٣)

(ملخص)

مارس ١٩٦٧

- يجب على الآباء في المطبخ أن يلتزموا الصمت إلا إذا أراد أحد شيئاً من أخيه أن يساعده أو يسأله عن شيء ضروري للخدمة.
- يجب على الراهب أن يشغل عقله بالصلاة، فيكون صمته مقدساً.
- سر الصمت المقدس أن شخص المسيح موجود في الوسط، والذي يُحسُّ بشخص المسيح لا يكفُّ عن الصلاة والشكر وفرح ومسرة، ولن تستهويه أية أحاديث باطلة أو غير باطلة لأن شخص المسيح فيه الكفاية.
- إذا كنتَ تصلي وسط الخدمة وأحوك يصلي، سوف يكون أحوك حلواً جداً ومكرماً في نظرك، ولن تعثر فيه في شيء.
- إذا داومتَ على الصلاة وسط الخدمة واكتشفتَ شخص المسيح معك، لن تتضايق من الخدمة ولا من الوجود بخارج القلاية، لأنك عندما ترجع إليها تجد نفسك أنك لم تخسر شيئاً. فأنتَ أمام "الكوانين" كأنك موجود أمام المذبح، كأنك واقف في قلايتك رافعاً يديك في الصلاة.
- إذا لم تستطع أن تسلك في هذا الاختبار، تعالَ إليَّ وأنا أسلمك إياه في الاعتراف. وإذا كان هناك ما يضايقك في الخدمة أو من إخوتك، تعالَ إليَّ وأعترف به بدل أن تُعلنه لإخوتك وسط الخدمة وتُعطل حديثهم مع المسيح. أما الأحاديث العامة الخاصة بأحوال الكنيسة أو العالم، فنحن للأسف نتحدث عنها علناً مع بعضنا البعض، لذلك لا داعي أن تُوجدوا مجالاً آخر للأحاديث تُضيِّعون فيه الفرص المقدسة مع الحبيب.
- كُنْ أميناً في تميم وصايا الرب، فلا بد أن تنال المواهب المذخرة فيها، ومع ذلك ليس من منهجنا أن نعمل الوصايا بقصد أن ننال المواهب. كلا، هذا هو المنهج التصوُّفي غير المسيحي. إننا نعمل الوصايا من أجل الله فقط الذي أمرنا أن نعملها، فنحن نُظهر حُبنا له بتتيممها

ولكن النتيجة الحتمية في تميمنا للوصايا بأمانة من أجل الله هي أن ننال البركات الروحية المدخرة في هذه الوصايا.

- فلو داومتَ على رفع القلب والعقل بالصلاة، فلا بد في النهاية أن تنال حياة سَمائية وأنتَ على الأرض. وإذا داومتَ على رَفْع يديك في الصلاة بغير كَلَلٍ أو مَلَلٍ، فلا بد أن تنال في النهاية نعمة الوجود مع الرب بلا طياشة عقل.

- المواهب من نوع العمل، فإذا داومتَ على قراءة الكلمة وأحبيبتها وعملتَ على تنفيذها، فإنك تنال في النهاية عطية سَكَنِي الكلمة في قلبك كل حين للتعزية وأيضاً المؤازرة في وقت الضيقة. وهكذا.

- كذلك يجب أن تكون خدمتنا في الكنيسة بكل نشاط وبقظّة واهتمام، ويجب أن تكون ذبيحتنا بلا عيب لئلا نُهين الله. لا تُقدِّم الأعرج والمكسور والأرجب.

الكاهن أو الشماس أو العرّيف الذي يُقدِّم ذبيحته في الصلاة والتسبيح بصوت متكاسل مُتراخٍ، هذا يُفسد ذبيحته ويقع في دينونة عظيمة. المصلّي الذي يقف بتراخٍ وبتثاؤب، هذا يُهين الله. يجب أن يُقدِّم الإنسان لله أحسن ما عنده بأعظم اهتمام بأقصى قوة عنده.

الكاهن والشماس والعرّيف يُوجدوننا في حضرة الرب بصلواتهم وأرواحهم المتّقدة بالغيرة والحب واليقظة، فإذا قدموا صلواتهم بفتور ضيّعوا على المصلّين فرصة التقابل مع المسيح.



تحذير وتوجيه رهباني

١٩٦٧ / ٣ / ٢٩

البعض مِنَّا لا يرضى بما نحن فيه ويطلب دائماً وضعاً أعلى ويتمنى ويترجى أن تتغير الأحوال. وهو في حالته هذه لا يحسُّ لا بتعزية ولا برضاً، ويظن أنه عندما تنصلح الأحوال - بحسب نظرته - سيجد تعزية وامتعة روحية. الذي حاله هكذا هو مخدوع.

حالتك، يا أخي، التي تعيش فيها الآن بحسب الظروف التي ربَّها الله لكل الجماعة هي أحسن حالة لك، وهي ممتلئة أسراراً وتعزيات. تَبَصَّر في حالتك وافتح عينيك وأرض بما أعطاه الله لك، سوف تجد أن ما أنت فيه الآن هو أحسن حال. لن تحسُّ بتعزية طالما أنت تطلب حالة أعلى مما أنت فيه، ولكن عندما تقبل كل شيء من يد الرب سوف تجد أن ما أنت فيه ممتلئ بالتعزيات الروحية التي لا عدد لها. مسكين هو الراهب الذي يطلب حالة روحية أعلى من قامته ويريد أن يقفز لكي يرى أشياء أعلى مما أعطاه الله. هذا لا يستطيع أن يرى النعمة الموهوبة له التي بحسب قامته.

الذي لا يرضى بما أُعطيَ له، سوف تُؤخَذ منه كل النعمة التي أُعطيت له، فلا يرى ما هو فيه ولن يرى شيئاً آخر أعلى منه.

الناس من الخارج يرون النعمة التي أنت فيها ويتمنون التراب الذي تحت رجلك لكي يتباركوا به، وأنت تقول: أين هذه النعمة؟! لأنك لا تريد أن تفتح عينيك لترأها، والرب بالحق يكون قد سَلَب منك النور لأنك تتطلع لكي تحصل على ما هو أكبر من قامتك.

يا حبيبي، الرب قد أعطاك أسراراً وعطايا روحية ممتازة تشتهي الملائكة بالحق أن تناها، ولكن لأنك تسعى لكي تأخذ شيئاً أعلى - الذي لا يريد الرب الآن أن يعطيك إياه - لذلك فعيناك قد عميت فلا تستطيع أن ترى ما أنت فيه من مجد ونعمة وبركة!

عندما تفتح عينك سوف ترى كل شيء في نور نعمة الله، ففرح جداً وتتعجب وتدّهش وتُسبِّح وتشكر. وحتى الأمور الحقيرة في نظر الناس سوف تراها أنت أنّها مُنتهى الرحمة من الله أن يهبها إياك. ربما وأنت تغسل حلّة قَدِيرة تنسكب دموعك من الفرح لأنك ترى أن الرب قد حَبَّكَ بهذه النعمة أن تُؤدّي خدمة حقيرة حُبّاً فيه، الأمر الذي تنظر إليه الملائكة وتشتهيه، وسوف لا تشيع من تأمل إحسانات الله عليك طول اليوم إذ يسمح أن تؤدي خدمات محبة من أجل الرب، وفي الوقت نفسه تعيش معه طول اليوم بلا مانع ولا عائق يفصلك عنه.

افتح عينيك جيداً حتى ترى النعمة لثلاثاً تتركك إلى الأبد.

ما هو الاتضاع؟

هو أن يحتمل الإنسان كل ما يأتي عليه بشكر ورضاً.

ما هي الوداعة؟

هي أن يحتمل الإنسان كل ما يأتي عليه من الآخرين من غير أن يغضب أو يدين أو يحقد.

تأمل:

في رأيي أن حياتنا هذه التي نعيشها، بحُلُوها ومُرّها، بفرحها وحُزنها، هي ليست تافهة ولا مُحْتَقَرَة، بل هي مثل دُرّة في تاج، إذ هي مُدْخِر فيها سرُّ مجدنا الأبدي. وعندما تُستعلن حياتنا كلها في الأبدية، سوف نرى هذه القيمة العظيمة التي لهذه الحياة التي نحياها الآن. وكيف لا؟ والرب نفسه يقول لنا: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين» (مت ٢٨ : ٢٠)، «ها ملكوت الله داخلكم» (لوقا ١٧ : ٢١)، وبولس الرسول يقول: «إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١ كو ٣ : ١٦)، «وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف ٢ : ٦).

توجيه رهباني (٤)

١٠ / ٤ / ١٩٦٧

(بعد تغيُّبه عن المجمع حوالي أسبوعين)

أنا لم أكن غضباناً من أحد حينما تغيبتُ عنكم، ولكنني كنتُ مريضاً لأنني لم أستطع أن أحتمل أن أرى فيكم نقص محبة نحو بعضكم البعض. وعدم الاكتراث بحضور الكنيسة في صلاة باكر، بالرغم مما تكلمتُ به معكم عن هذه الصلوات وأساسها الكنسي الإلهي الأصيل.

لم أعد أحتمل أن أسمع عن واحد منكم يفضب من أخيه. لذلك أرجو أن يُسارع كل واحد إلى الاستغفار لأخيه إذا أخطأ إليه قبل أن يأتي الآخر ويعترف لي بتعبه من أخيه.

فكرتُ أن أضع قوانين لضبط حياتنا في المجمع. وأخذتُ أفكّر: إذا تأخّر واحد عن حضور الكنيسة يُحرم من الكنيسة، وإذا امتنع أحد عن خدمة الشموسية يُحرم من الشموسية.. الخ.

ولكنني وجدتُ أن الذي لا يحضر الكنيسة المفروض علينا أننا نُحبُّه في الكنيسة ولا نحرمه منها، وكذلك الذي يمتنع عن خدمة الشموسية. ففكرتُ أن أحرم من الأكل أو أفرض مطانيات أو أصواماً أو أمنع من تناول، ولكنني وجدتُ أن فَرَضَ هذه القوانين معناه أنني أشوّه معناها وقيمتها في ذهن مَنْ تُفَرَضُ عليه. فالمطانيات ليست عقوبات ولا أيضاً الأصوام.

فكرتُ أن أحمل أنا العقوبة التي يستحقُّها المُخطئ، وقلتُ في نفسي إن هذا أسلم حلّ، ولكنني وجدتُ أن صحيحي حالياً لا تحتمل ذلك.

وأخيراً وجدتُ أن جماعتنا بالذات لا يمكن أن تنفع لها القوانين، فنحن نشبه إلى حدٍّ كبير جماعة التلاميذ مع الرب يسوع. لقد كانوا مطرودين

من مجمع اليهود لاتباعهم يسوع، فهل يمكن أن يُفرض عليهم قوانين؟!
لذلك لا يوجد حلٌّ سيوى أن نحرص على أن نحب الله من كل
القلب، ونحب بعضنا بعضاً بإخلاص، ونكون لطفاء مع بعضنا البعض،
وُدعاءً متواضعين. أنا أعلم أنكم جميعاً كنتم في العالم لطفاء في بيوتكم
ومع أصحابكم، ولكني أراكم هنا لا تحملون بعضكم بعضاً، جميعكم بلا
استثناء! ولماذا؟

والآن، ليتنا نقطع عهداً أمام الله، وأن نبدأ أن نكون محيين بعضنا
بعضاً من القلب، لطفاء، شفقين، وُدعاء، محتملين ضعفات بعضنا
البعض. وليكن من اليوم أن ننقل وقت القبلة والمصافحة إلى ما قبل قداس
المؤمنين حسب ترتيبات الكنيسة، فعندما ينادى الشماس: «قَبَلُوا بعضكم
بعضاً»، فليصافح كل واحد أخاه و ينتظر أمامه قليلاً، وإذا كان هناك
شيء في القلب لا بد أن يتوجه الراهب بتوسُّل إلى أخيه ليسأله أن يصفح.
على أن لا تكون مصافحتنا شكلية مقتصرة على الكلام والحركات.
وعلى الكاهن أن ينتظر حتَّى تتم المصافحة، ثم يتدئ صلاة القداس، لأنه
لا يجوز المصافحة في وقت القداس. وهذا ما استلمناه خطأ في الرهينة!



توجيهات رهبانية عن الإماتة

(تلخيص)

مايو ١٩٦٧

من أهم أهداف حياة الراهب هو أن يُميت ذاته حتى يستأهل أن يحلّ فيه المسيح. فالذي يأتي إلى الرهبنة ويحتفظ بأخلاقه الأولى وحياته العلمانية ولا يشاء أن ييحد ذاته ومُيَّتها من أجل الرب، هذا لن ينتفع شيئاً من الرهبنة، بل سوف يجدها مدلّة وهواناً وضيقاتاً. فإن فرح يوماً، فما ذلك إلا لأنه وجد الآباء يُكرمونه أو أنه وجد ما يمتّع به مزاجه، ولكنه في يوم آخر سيحزن لأنه سيجد أن الآباء لم يكرموه ويمجّدوه أو لأنه لم يجد ما يمتّع به ذاته. هذه ليست حياة رهبانية صحيحة، بل وبئس مثل هذه الحياة.

الرهبنة ليس فيها درجات ومراكز بالأقدمية، ولكن فيها قامات روحية. فهبّ أنك في ترتيب الصف الزمني في الرهبنة رقم ٧، وبعدهك مَنْ هو في الترتيب رقم ٨، فوضعتَ في نفسك أن تخضع ذاتك له وأخضعتهَا بالفعل، فأنت بالحقيقة تأخذ رقم ٧ عن جدارة. أما إذا أخضعتَ ذاتك لمنْ هو في الترتيب رقم ٦، فأنت بالحقيقة مستأهل أن ترتفع إلى رقم ٥. وهكذا، إلى أن تخضع ذاتك لجميع آباء المجمع وتقف أمام الأب الروحي - الذي هو بحسب مفهوم الإنجيل خادم الجميع وعبد للجميع - فإذا أخضعتَ ذاتك له بالكلية، فأنت مُستأهل أن تكون أعلى من الأب. (في إحدى قصص بستان الرهبان، قال الشيخ لتلميذه: "من الآن، أنت الأب وأنا التلميذ"). وأيضاً: (قصة التلميذ الذي أطاع أباه فعبر النهر بينما لم يستطع الشيخ أن يعبر، فقال الآباء: "بالحقيقة إن التلميذ بطاعته الكاملة للأب صار أعلى من الأب").

الدليل الأكيد على أن المسيح فيك هو أنك تستطيع أن تستفيد من

كل ما يأتي عليك من الحوادث مهما كانت تافهة أو مُحزنة، فإنّها تُقدّمك روحياً. وإن قلنا إننا نستفيد فقط من الحوادث المُحزنة فهذه نظرة تشاؤمية، ولكننا نستفيد أيضاً من الحوادث المفرحة. فمشيئة الله بالنسبة لنا نستطيع أن نتبينها من كل الحوادث التي نقابلها كل يوم. والراهب الحكيم هو الذي يفتن إلى مشيئة الله له بالنسبة لحياته من كل ما يصادفه. فهَبْ أن أحد الآباء قال لك توجيهاً، ثم أتى آخر وأعطاك توجيهاً مُعاكساً، فلا تغضب لئلا يكون في ذلك موتك. أنت الآن تجتاز اختبار إماتة الذات، انتبه. إفرض أنك عملتَ عملاً غير دقيق، وجاء الأب وقال لك: هذا خطأ، إياك أن تدافع عن نفسك مهما كانت الظروف، لئلا تقع في مصيبة تبرئة الذات، الذي هو دليل أكيد على فشلك في الحياة الرهبانية، لأنك الآن تجتاز في اختبار إماتة الذات، وذلك بسماع من الله، فكيف تُبرئها؟!!

نحن نهتم بالأمر الجسدية جداً على أساس أنّها تُوصّلنا إلى أمور روحية هامة ولازمة لخلاصنا. فإذا انتهرتُك من أجل خطأ في عملية في العمل وقبلت الانتهار وقدمت توبة وأقررت أنك بالحقيقة أخطأت في تأدية المهمة الموكولة إليك، حينئذٍ ينتهي العمل المادي عند هذا الحد. لأننا لا نسعى لنجاح مادي بل روحى. فإذا قلتُ لك إن هذا الشباك الذي ركبته مائل ومنظره قبيح، وقلت لي: "أخطأتُ يا أبي، أنا أحلعه وأركبه بأكثر دقة". فربما أقول لك: "لا داعي، أتركه كما هو!" أولاً: لأنك وصلت إلى الهدف الروحي الذي أقصده من الانتهار. ثانياً: لأنه لا يلزمنا كثيراً أن نعمل العمل الجسدي بوجاهة كثيرة. أما إذا دافعت عن نفسك متدرباً بأسباب، سواء كانت مُهمّة أو حقيرة، فهذا دليل على أنك لا تريد أن تجحد ذاتك. في هذه الحالة، لن أتركك بل سأراجعك وأطالبك بالتدقيق في العمل أكثر كثيراً، وربما يظهر لك أنّي مهتم جداً بالعمل في ذاته، وهذا خطأ، لأنني في الحالة الأولى، عندما استسلمت أنت للخضوع وحدثت ذاتك، تنازلتُ أنا عن الخسارة المادية الحادثة مهما كانت

قيمتها!

جحد الذات لا يحتاج إلى تسويق أو إلى سنوات جهاد. كلا، طالما أن الإنسان قد ترك العالم من أجل الله، فإنه لو طَلَبَ هذا الراهب الآن من المسيح أن يُعينه على جحد مشيئة ذاته، فسينال في الحال قوة على ذلك، لأن الحياة الرهبانية كلها تدور حول هذا العمود الفقري: أن يميت الإنسان ذاته ويجحد مشيئته ويحسب نفسه لا شيء.

إفرض أنك قابلتَ أحد الآباء في الصباح الباكر ووجدته مُقَطَّبَ الجبين ومُعَبَّسَ الوجه، فإذا كانت ذاتك حيَّةً فستضطرب وتتضايق لأنك كنتَ تنتظر منه أن يعطيك حُباً وكرامة وابتساماً، فتضيق الدنيا في عينيك. يا حبيبي، لو كنتَ تطلب مشيئة الله في حياتك وتؤمن أن كل ما يجري عليك هو بسماع منه لخلاص نفسك، أسرع وأدخل إلى داخل نفسك وتحدَّثْ إلى يسوع وأطلب منه أن يُعرِّفك مشيئته بالنسبة لك في هذه الحادثة ولماذا كان هذا الأب مُعَبَّساً في وجهك. قدِّم إلى الله توبة من القلب، واعتبر أن ما حدث إنما هو بسبب سلوكك الخاطئ معه، ولم تُثَبِّ له عملاً فرط منك تجاهه. حاول بالحقيقة أن تأتي باللوم على نفسك وتَنذِلْ أمام الله، فستجد في الحال أن هذه الحادثة مُقَدِّمة من الله إليك لتقوم حياتك! حينئذ تجد نفسك قادراً بنعمة الله على مقابلة هذا الشخص بوجهه باشٍ، وبدل أن كنتَ تنتظر منه حُباً ستجد نفسك قادراً على إعطائه حُباً وكرامة وامتضاعاً وخدمة. وعلى هذه الصورة ستجد أن التجربة التي مرَّتْ بك قدَّمَتَكَ خطوة في الطريق الروحي. أليس هذا بالحقيقة عَجَباً! فالراهب الحكيم هو الذي يستفيد من كل ما يجري عليه.



ذبيحة الراهب

مايو ١٩٦٧

ذبيحة الراهب هي أن يقدم ذاته وجسده كل يوم إلى الله على مذبح الحب.

هذه الذبيحة يلزمها جداً: الحب، والاحتمال، والشكر.

فالحب: كالنار يُشعلها،

والاحتمال: يساعد على دوام إشعالها،

والشكر: يُقصرّ الزمان ويُعجلّ بانتهاء الذبيحة وبقبولها من الله.



توجيهات رهبانية عن المحبة الأخوية

المحبة معناها أنك تستطيع أن تتعاون مع جميع الآباء، وإذا رأيتَ نفسك أنك تهرب من شخص لأنك غير قادر على أن تعمل معه، فالمحبة ما زالت ناقصة.

المحبة هي أن لا تفضح أخاك وتُشهرَّ به في الاعتراف. فإن أردتَ أن تعترف، فَقَرِّ بِخَطَايَاكَ ولا تذكر خطايا أخيك إلا عند الضرورة القصوى لا على سبيل الدينونة والتحامُّل عليه، بل من جهة نفسك وخطيئتك. المحبة هي أن تتقابل مع كل أحد بقلبٍ باشٍّ ونفسٍ مُنْفَتحة فُتْحَسَّ بِأَتْعَابٍ واحتياجات الآخر وتكون مُسْتَعِدًّا لأن تتعاون معه في أي عملٍ بغير تَكْلُفٍ، وهذا ليس بالأمر الهين. إنه يحتاج إلى استعدادٍ كبيرٍ للبذل والتضحية بالراحة الجسدية.



توجيهات رهبانية (٥)

الجهاد - الخدمة

جهاد المؤمن وسط العالم عظيم، وعسيرٌ عليه جداً أن يحفظ قلبه طاهراً وسط مُجاذبات العالم.

والراهب الذي يلوذ بالبرية والهدوء والصمت، هذا يحارب ضد أوجاع نفسه فقط، وبنعمة إلهنا يستطيع النجاة.

أما إذا ظنَّ الراهب أنه يستطيع أن يعيش وسط العالم في خدمة دون أن يكون مؤازراً من الله بعلامات واضحة، هذا مسكين ومخدوع لأن خلاصه مستحيل، لأن العالم يبتلعه ويضيِّع خلاصه مهما كان قوياً في الروح، لأن مغريات العالم أعلى منه بلا قياس.

أما إذا كانت هناك خدمة أو دعوة واضحة من الله لخدمة العالم، فهذا لن يتركه الله، لأنه سوف يعطيه نعمة خاصة تجعله يعلو على كل تجربة وكل شهوة تقابله.

وهذا ليس معناه أن يركن الإنسان إلى هذه المساندة ولا يُجاهد معتمداً على أن الله سوف يُنقذه، فيستسلم للمواقف الخطيرة دون حذر أو يقظة. كلا، إنه يُجاهد ويحذر ويصرخ الليل والنهار، ولكن وهو واثق جداً وشاعر في قرارة نفسه أن يد الرب تمتد إليه وتخلصه بالفعل من الشباك التي ينصبها له العدو لاصطياده.

أو بالمفهوم العام، يستطيع كل إنسان مسيحي أن يُرسِل نفسه للخدمة، إذا كان لا يُوجد في قلبه أية دوافع ذاتية سوى تمجيد الله، وهو لا يطلب شهوة خاصة ولا كرامة خاصة ولا راحة جسدية، ومستعد في الوقت نفسه أن يموت في أية لحظة، وليس له شهوة في قلبه إلا أن تنتشر كلمة الله، ولسان حاله: "ها أنذا فأرسلني". هنا تتقابل مشيئة الله مع مشيئة الإنسان، وتكون الدعوة وكأنها من الله تماماً.

توجيهات رهبانية (٦)

أغسطس ١٩٦٨

القلالية بالنسبة للراهب هي: لتفتيش أفكاره، والبكاء على الخطايا، وللصلاة، أما تتميم المحبة التي هي المسيحية فهي خارج القلالية ومع الإخوة.

الذي يهرب من المسؤولية ولا يريد أن يتحمل أتعاب الخدمة، هذا يهرب من المحبة أي من المسيح، وهذه علامة على أنه لم يتحد بعد بالمسيح ولا عرفه.

لابد أن تكون الخدمة بفرح ورضا، لا عن اضطرار أو حزن. لابد أن تسعى أنت لكي تبذل نفسك، أما الذي يهرب من الخدمة ومن تحمل مسؤولية الخدمة، فهذا خلاصه معطل.

الذي ينزل إلى العالم (القاهرة) لسبب من الأسباب، لابد أن يضع في قلبه أنه مسئول عن خدمة الآباء (هذا كان في وادي الريان وكان عدد الآباء حوالي ١٠-١٢ راهباً فقط)، وهذه هي روح الشركة والمحبة الأخوية، حيث يعتبر نفسه أنه بديل عني فيتصرف في كل الأعمال والخدمات التي يُرتبها الإخوة من أجل الآباء. ولابد أن يعرف كل كبيرة وصغيرة ويرتب القافلة (التي كانت تقوم إلى وادي الريان حاملة المئونة مرة واحدة كل شهر) بيده ويهتم بكل شيء.

أخيراً، لابد أن يستعد كل واحد منكم إذا أخطأ أن يسمع مني الملامة أمام الجميع، لأن الإخوة في البيت الواحد لابد أن يعرفوا ضعفات بعضهم البعض. لابد أن تكون مستعداً أن تُفضح هنا أمام إخوتك أفضل جداً لك من أن تنفضح أمام الملائكة في السماء.



أسئلة

عيد النيروز: ١٢ / ٩ / ١٩٦٧

سؤال: هل النسك خطوة أساسية للوصول إلى مواهب الروح؟

جواب: لكي أجيئك على هذا السؤال يلزم أن نرجع إلى الـ **etiology** في الحياة المسيحية، أى علم الأصول في المسيحية. الحياة مع المسيح هي في الواقع موت وحياة، أو بمعنى آخر موت عن العالم وحياة مع المسيح، فبقدر ما نموت عن الجسد والعالم بقدر ما نحيا مع الرب يسوع.

نحن نقبل أولاً أن نموت مع المسيح على رجاء القيامة معه في الحال. ليس هناك مدخل للإنسان يتناسب مع طبيعته الأرضية إلا الموت، فالإنسان يجاهد كل يوم لكي يموت عن العالم.

موت الإنسان عن ذاته وعن العالم يقوده بالضرورة إلى الشركة والاتحاد مع المسيح. وهذا أيضاً بالضرورة يعطيه ما للمسيح، أى قيامة في الحال من كل ما هو مائت وزائل، أى يصبح الإنسان من أهل الملكوت والحياة الأبدية، فيعيش قيامته على الأرض في تعزيات سماوية وتأملات في عطايا الله وحبه.

الإنسان يموت عن العالم وعن ذاته وجسده بأمر كثيرة، فتارةً بالنسك، وتارةً بالمهانة والمحقرة، وتارةً بالظلم... الخ.



"الذي يُجاهد يضبط نفسه في كل شيء" (١ كو ٩: ٢٥)

يوليو ١٩٦٨

في الترجمة اليونانية تُذكر كلمة "يُجاهد" بالتعبير **ἀθλητής** أى الرياضي أو المصارع، فالرسول ينقل إلينا صورة من صور الجهاد

للوصول إلى هدف رياضي. هذا المثل ينطبق على السائر في الطريق الروحي.

الذي يسير في الطريق الروحي لابد أن يضبط نفسه في كل شيء. لو انغلبت لغريزة واحدة من غرائز الجسد لا تستطيع أن تثبت روحياً.

أنت أعطيت قوة من الله أن تسود على غرائزك، فلا تظن أن الغريزة تستطيع أن تسودك وإلا كانت هي الإله المتسلط عليك. وفي الواقع أنت الذي تملكها عليك لأن الإنسان أعطي قدرة لضبط جميع غرائزه في شخص يسوع المسيح.

فالغريزة الجنسية، مثلاً، يظن الإنسان فيها أنها جبارة، لا يستطيع الإنسان أن يضبطها، وهذا خطأ. ولكن الذي يحدث أن الإنسان يتهاونه واستهتاره يعطيها فرصة أن تظهر، وهو يثيرها بتصرفاته الحمقاء وأفكاره الطائشة أو بالصور غير اللائقة. وإذا أثرت الغريزة الجنسية، وهي كبقية الغرائز، أصبح ضبظها صعباً جداً.

وغريزة الأكل لو خضعت لها، فكلما تجوع تأكل بلا ضابط ولا نظام، تجد أنها كأية غريزة تُهينك وتُخرجك عن حدود الآدمية العاقلة.

وهكذا غريزة الغضب، وغريزة الجري وراء الجنس الآخر، وغريزة الخوف.. الخ.

وغريزة الخوف إذا سلّمت نفسك لها ولم تضبطها ولم تُسد عليها بما لك من إرادة وإيمان وقوة إلهية موهوبة لك في المسيح يسوع، فإنها تسود هي عليك وتجعلك جباناً تافهاً لا تستطيع أن تعيش في البرية. أما إذا ضبظت الخوف، حينئذ ستحس بقوة الله وعمل الروح القدس في حياتك في المواقف الصعبة.

إياك أن تظن أنه إذا سادت عليك غريزة الأكل أو الغضب أو الخوف.. الخ، أنك تستطيع أن تكمل شيئاً من الفضائل. ولكن إذا

ضبطت غرائزك بالقوة الموهوبة لك من الله، فستجد في نفسك قدرة على تميم كل الفضائل.

علاقات القرابة الجسدية بالأب والأم والأخ والأخت لو تساهلت معها إلى لحظة واحدة، تزداد شيئاً فشيئاً حتى تُغطي كل الأفكار والعواطف (قصة الراهب ابن أمه الذي ضحك عليه الشيطان، حينما كان الراهب يريد أن يخرج من أحد الأشخاص، فصاح به الشيطان مُستهزئاً: ماما ماما، ولم يخرج)، وهي تقطع كل اتصال بالله، وكل نُموً روحي يتوقف، لأنها تربط الإنسان بالدم واللحم والأرض.

أنت تقول دائماً: يا روح الله تعال إليّ، يا روح الله حلّ فيّ. مع أنه معنا وفينا، وهو يصرخ فينا من داخل: اعمل أنت ما أريده أنا، لا تحزني، مجدني، ولا تحف في الضيقة. وهكذا في كل مرّة تعمل ما يريده الروح يُستعلن لك الروح.

[هذه الكلمات قيلت في حضور الأستاذ نجيب اسكندر (الشقيق الأكبر للأب متى المسكين) وكان ذلك فوق المغارة الكبرى بالريان].



التغصّب

مايو ١٩٦٧

التغصّب هو رأس مال الراهب المُجاهد، به ينتقل من الجنس الحقيّر إلى الجنس الملكي السّمائي. بالتغصّب ندخل في سرّ إلهي عجيب ونحصل على قوة جديدة تفوق طاقة البشر. بالتغصّب نكتشف معونة الله للإنسان. ليس معنى ذلك أن الله لا يساعدنا إلا إذا كُنّا في حالة من الضعف الشديد، فإذا تغصّبنا يساعدنا. كلا، ولكن عندما نضعف ولا يكون فينا أية قدرة على القيام بالصلاة أو الخدمة، ففي هذه الحالة تنتهي كل إمكانياتنا الطبيعية، فإذا تغصّبنا وطلبنا معونة الرب وصبرنا، حينئذٍ نكتشف نحن قوة الله ونعمته الموهوبة لنا ونُحسُّ أننا قادرون بالرغم من ضعفنا الشديد على أن نُصلّي ونخدم.

هذه القوة كانت معنا أولاً، ولكننا لم نستطع أن نراها أو نحسّها لأن إمكانياتنا الطبيعية كانت تحجبها عن عيوننا، أمّا الآن فقد فقدنا كل إمكانياتنا، ففي هذه الحالة صرنا نستطيع أن نحسّها ونتحققها عندما نغصب ذواتنا على الصلاة والخدمة، وحينئذٍ نُقرُّ فعلاً أن هذه قوّة إلهية ونعمة من فوق. لذلك مجّد القديسون التغصّب، لأن بواسطته يَغْتَنِي الحكماء ويصيرون بالحقيقة أبناء الله ويختبرون المعونة الإلهية التي هي بكل تأكيد فوق كل إمكانيات الطبيعة البشرية.



مقابلة الموت (١)

(تلخيص)

يناير ١٩٦٧

ساعة الموت رهيبة، والبعض منا يظنون أنهم قادرون على مقابلة الموت بنفس هادئة، ولكن الواقع في الحقيقة هو غير ذلك. نقرأ عن الشهداء أنهم قابلوا الموت بشجاعة وثبات وفرح، ونحن نظن أنه يمكن ذلك لنا عندما تأتي ساعة الشهادة.

لا نظن أن الشجاعة تسندك في تلك الساعة، أو الغيرة أو الإقناع العقلي أو حتى الإيمان. الذي يسندك هو حياتك حسب الروح وعلاقتك بشخص الرب يسوع حتى ولو لم يكن لك أية شجاعة أو اقتناع عقلي.

الذي يعيش حسب الجسد وليس حسب الروح، تنهار قواه الإيمانية في تلك الساعة، وتقبله رُعبه الموت، ويتختر إيمانه، ويبحث عن شجاعته وغيرته واقتناعه، فلا يجد شيئاً يسنده.

نقرأ عن قصة راهب اعتاد أن يكرّر على القديس الأنبا باخوميوس أنه يريد الاستشهاد، وكان القديس يرفض ويقول له إنه ليس أهلاً لذلك. وذات مرّة أرسله القديس مع ركوبة (جحش) مُحملة بخبز وطعام للإخوة الرهبان في البرية، وفي الطريق قابله الوثنيون وأمسكوه وأخذوا ما معه وأرغموه على السجود للأوثان وإلا قتلوه، فرضخ المسكين وسجد للأصنام بالرغم من غيرته الشديدة، وقد كان يظن في نفسه أنه قادر على الاستشهاد.



مقابلة الموت (٢)

(تلخيص)

يظنّ البعض أن أنبا أنطونيوس خرج من العالم بعد أن سمع الآية القائلة: «ن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء و تعال اتبعني» (مت ١٩ : ٢١). الحقيقة التي نحسها من أهمية ساعة الموت ومن القصة التي وردت عنه في بستان الرهبان عندما دخل ليرى جثة أبيه ساعة موته توضّح لنا أن هذه الرؤية للموت كانت السبب المباشر في خروجه من العالم.

نعم لقد كان قد سمع قبل ذلك نفس الآية المذكورة في الكنيسة وتأثر بها، ولكن بلا شك ولا جدال فإن ساعة موت أبيه الرهيبة التي واجهها بقلب ثابت ونفس واعية غير مضطربة جعلته يحس بتفاهة العالم ولزومية تركه في الحال، كما جاء في قصة البستان تماماً.

لو تأملنا هذه اللحظات الرهيبة التي فيها نرى إنساناً ميتاً بحيث نكون غير متأثرين عاطفياً بموت هذا الإنسان، سوف نحصل على معارف روحية حقيقية تُقدّمنا في الروح خطوات واسعة. فالذي يرى الموت أمامه مُشخّصاً في جثة إنسان مثله تماماً، يدرك في الحال أنه هو أيضاً ميت لا محال مثل هذا الإنسان الذي أمامه، ويستطيع في تلك الساعة أن يتذوق - بعمل النعمة - لحظات الموت عن العالم والجسد، ويستطيع أن يدرك في الحال حقيقة الإنجيل والمسيح، والجسد، وكذب العالم وزوال أمجاد الدنيا. لأن الإنجيل يتكلم عما بعد الموت، أما الجسد والعالم فهما يهتمان بما قبل الموت. هنا الموت يضع حداً لكل ما في الدنيا ولكل ما يريده الجسد، ويظهر كلام الإنجيل أنه حقيقة حياة خالدة عندما يُستهان بمطالب الجسد وتتلاشى أمجاد الدنيا.

في ساعة الموت أنت تستطيع بالنعمة أن تُحقق لنا في الحال كل آيات الإنجيل الخشنة الصعبة، وتُظهرها أنّها ضرورة هامة واجبة. لذلك استطاع أنطونيوس الفتى الغني أن يفهم الآية القائلة: «فليُنكر نفسه ويحمل صليبه

ويتبعني» (مت ١٦ : ٢٤). واستطاع أن يفهم الآية القائلة: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخَسِرَ نفسه» (مت ١٦ : ٢٦)، واستطاع أيضاً أن يفهم الآية القائلة: «لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتَعْظُمُ المعيشة ليس من الآب بل من العالم» (١يو ٢ : ١٦). نعم، فإنه يستطيع أن يفهم الإنجيل عملياً.

وغيره كثيرون، عندما جابَها هذه الساعة الرهيبة بنفس راضية مؤمنة، استطاعوا أن يفهموا وصايا المسيح: «وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضاً» (مت ٥ : ٤٠)، «مَنْ سَخَّرَكَ مِثْلًا وَاحِدًا فَادْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ» (مت ٥ : ٤١)، «وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلَ تَرُدَّهُ» (مت ٥ : ٤٢)، «لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْيَمِينِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضاً» (مت ٥ : ٣٩). ذلك لأنهم تحقَّقوا أن هذا الجسد لا بد مائت، وبالتالي أن هذا العالم لا بد زائل، ووصايا المسيح التي كانت تظهر لهم مثلاً أنها مُحجَّفة بالجسد والذات أصبحت لهم حقيقة واجبة.

نعم، إذا كنت مُلقى على الأرض تلفظ أنفاسك الأخيرة، وقيل لك الوصية القائلة: «من سألك فأعط و من أراد أن يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلَ تَرُدَّهُ» (مت ٥ : ٤٢)، فهل ستعارض؟! كلا، بل ستقول: خذ كل ما لي على الأرض، فأنا ميت وماذا أنتفع أنا به. وإذا قيل لك: «مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْيَمِينِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضاً» (مت ٥ : ٣٩)، هل ستعارض؟ طبعاً كلا، بل ستقول: خُذْ الخَدَّيْنِ وَأَضْرِبْهُمَا، فأنا بعد قليل أتحوَّل إلى تراب. وقس على ذلك كل وصية من وصايا الإنجيل فستصير لك سهلة وممكنة بل وضرورة حتمية لازمة.

ساعة الموت هي أسعد ساعة للإنسان الذي تَمَّ وصايا المسيح، عندما يقابلها بإيمان وثقة في مواعيده، لأنها الحقيقة التي يعيشها كل يوم بتتميمه الوصايا. أمَّا الذي لم يُتَمِّمِ وصايا المسيح فساعة الموت لديه رُعبية ومصيبة وكارثة حلَّت بالجسد والذات. وإذا ما يزال العالم والذات كلاهما حياً فيه إذ به يُطالب في الحال بترك كل شيء. هذه هي الصدمة

المفاجئة المرعبة للإنسان البعيد عن وصايا المسيح عندما تُباغته ساعة الموت.

هذا ما أحسَّه القديس أنطونيوس في نفسه عندما نظر أباه مُلقىً على الأرض تاركاً وراءه بالرغم منه كل ما له، فقال: لا أعجب إن عملتُ كعملك، فإن كنتَ قد خرجتَ من العالم مضطراً، فأنا سأخرج منه باختيارٍ قبل أن يُخْرِجوني منه كارهاً!!
طوبى لمن وضع الموت بين عينيه. هذا سيصير له الإنجيل حقيقة، ووصاياه العسرة سهلة واضحة ولازمة.



اختبار الإحساس بالموت

(مُلخَّص)

أول سهرة في شهر كيهك (ديسمبر ١٩٦٧)

اختبار الإحساس بالموت هام جداً للراهب، وبدونه يظل الراهب ناقصاً في حياته الروحية. هذا الاختبار اجتازه الآباء وتكلموا عنه كثيراً بأوصافٍ وأقوال كثيرة، ومع ذلك فجميعنا ما زلنا لم نُختبره، وربما نتأمل في الموت ونتلذذ في فكرنا بتذكُّر هذه الساعة، ولكن أن نجتازها هي بالفعل، فهذا أمرٌ هام جداً وخطير. وهذا لن يتم إلا بفعل النعمة.

شيء فاضل أن نهذَّ في ساعة الموت وتذكُّره ونُقرَّ دائماً بحقيقة إتيان هذه الساعة علينا، وشيء آخر أن نجتاز فترات الموت بالفعل ونحن على الأرض. الأولى بالجهاد والسعي، والثانية بفعل النعمة.

الذي يجتاز هذا الاختبار يتذوَّق بالفعل معنى «مع المسيح صُلِبْتُ» (غل ٢: ٢٠)، و«مدفونين معه» (كولو ٢: ١٢)، وأيضاً كيف يموت الإنسان عن العالم وعن ذاته وعن جسده.

الذي يجتاز اختبار الموت، يتذوَّق في الحال لذة الحياة الأبدية وهو على الأرض، وتتكشف له أسرار كثيرة للملكوت، ويُستأمن على عطايا المسيح، لأنه لا يُصبح بعد يعيش لذاته بل للذي أقامه من الموت.

أهم ما يُعزِّي الراهب عندما يجتاز هذا الاختبار، أنه يجد نفسه مستعداً بالفعل لقبول هذه الساعة الحرجة.

من أجل ذلك، أرجو أن تتيقظوا، أيها الإخوة، حتى لا تُؤخِّدوا على حين غرة. ثابروا على التأمل في هذه الساعة واستعدوا لها كل يوم، وليكن حديثك إلى نفسك، كل ليلة وأنت مزمِعٌ أن تنام، قول القديس مار إسحق: "يا شقية، ربما تكون هذه آخر ليلة لك على الأرض". فتمسك عقلك بهذه الساعة وتضبط قلبك بما فوق لا بما على الأرض.



ما هو الدافع وما هو الهدف في حياتنا الروحية

(مُلخَّص)

السبت الثاني من شهر كيهك (ديسمبر ١٩٦٧)

من المهم أن نُفرِّق بين الهدف والدافع في حياتنا الروحية، لأن كل واحد من الاثنين له عمله الخاص في نمونا وتقدُّمنا. فالهدف يُزيد من حرارة تقدُّمنا ويجذبنا إليه، والدافع يدفعنا دائماً نحو هذا الهدف.

أحياناً يكون هناك هدف واحد للخروج من العالم، فيخرج الإنسان من أجله ويعيش حياته كلها من أجله، يدفعه إلى ذلك وصايا الرب وأقوال الآباء القديسين وقوانين الكنيسة ونظامها، وأحياناً يتغيَّر الهدف الأول إلى هدفٍ آخر، وتتعدَّد الأهداف في حياة الإنسان الواحد بحسب توجيه النعمة ومشية الله، لأن النعمة في الواقع هي التي تُحدِّد الهدف أمام الإنسان الروحي، وعلى أساس هذا الهدف الواضح في قلبه وعقله تظهر له دوافعه ممَّا حوله وممَّا يقرأه في الإنجيل وأقوال الآباء.

الذي يتمسِّك فقط بالهدف ويتهاون بالدوافع التي تدفعه إليه، تبرد حرارته ويتوقف عن النمو، والعكس صحيح، الذي يهتم بالدوافع فقط التي هي تنميط الوصايا بدقة والتمسُّك بتعاليم الآباء، ولكن لا يتمسك كل يوم بالهدف الذي خرج من أجله، يثوِّه في وسط الطريق بالرغم من جهاده وتعبه وشقائه وأمانته في تنميط الوصايا.

تلميذ يسأل معلِّمه الشيخ قائلاً: أخبرني يا أبي عن سبب أن كثيرين يسيرون في طريق الرهينة بهمة كبيرة وجهاد عظيم ثم بعد ذلك يرتدُّون؟! فيُجيبه الشيخ بمثلٍ عجيب وبسيط ولكنه غاية في الدقة والإحكام، قال: هَبْ أن أرنباً برياً يجرى، فرآه كلبٌ، فما الذي يحدث؟ إن الكلب يجري وراء الأرنب بحماس شديد وهمة قوية جداً. وهَبْ أن كلاباً أخرى لم ترَ الأرنب، ولكن رأت الكلب الأول يجري بهذه الهمة القوية، فماذا يحدث؟ إن جميع الكلاب تجرى بسرعة شديدة وهمة قوية في أول الأمر

ليس وراء الفريسة - لأنها لا تراها - بل وراء الكلب الأول، وبعد مدّة يتدثّون في التخلف وتنقص سرعتهم ويتراجعون الواحد تلو الآخر، لأنه لا يوجد أمامهم ما يُحمّسهم ويجذبهم للاستمرار في الجري. وتكون النتيجة أن جميعهم يتخلفون، ولا يتبقى إلا الكلب الأول الذي ثبتّ عينيه على الفريسة.

فالذي ثبتّ قلبه على الهدف ويسعى إليه بكل الوسائل الممنوحة له، هذا لا يمكن أن يتوقّف أو يتراجع مهما كانت صعوبات الطريق، أما الذي ضاع منه الهدف فلن يستطيع أن يُثابر على الجري والتقدم.

(١) الهدف الأول الذي يقابل الخارج إلى الرهينة هو خلاص النفس. تسأل الراهب: لماذا خرجت يا أبي من العالم؟ يقول لك وهو يبكي: إني خرجت لأبكي على خطاياي، أريد أن أخلص من خطاياي، أريد أن أحسّ أنني عُتقت من رباطات الخطية. هذا هدفٌ مُقدّس عاش عليه كثيرون طيلة حياتهم وانتقلوا به وورثوا الملكوت بالوصول إليه، إذ أحسّوا، بالفعل، بقول الرب: «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (مت ٩: ٢)، «طوبى للحزّان لأنهم يتعزّون» (مت ٥: ٤). «لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله يُنشئ توبة لخالص بلا ندامة؛ وأما حزن العالم فيُنشئ موتاً» (٢كو ٧: ١٠). ومن أقوال الآباء فهناك أقوالٌ كثيرة كلها تحت على البكاء على الخطايا هنا قبل أن تُبكي عليها هناك.

هذا الهدف كان يحسّ به الأخ الراهب في قلبه بفعل النعمة، فيذهب إلى الشيخ ويسأله: «قل لي يا أبي ماذا أفعل لكي أخلص؟» فكان الأب يعطيه وصية واحدة يفعلها فيوصل إلى هدفه ويخلص بالفعل، ويعبّر.

(٢) هناك هدفٌ آخر أعلى في قامته الروحية من الأول وهو إنكار الذات. أحياناً نجد آباء يهربون من المجد والكرامة بطرق غريبة وعجيبة. إذا دُعوا إلى رتبة كهنوتية وإذا أحسّوا بكرامة أو مديح سيقابلهم يخبثون ولا يستريحون قط للمديح، ويظلمون في شغل شاغل بهذا الهدف: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مت ١٦:

(٢٤). هذا الهدف وضعه الروح القدس أمامهم، وهم لا يستطيعون أن يعضوا الطرف عنه، يدفعهم إليه قول الرب يسوع وأقوال الآباء القديسين التي كلها تدفعهم وتحثهم حتى ينجوا من البرِّ الذاتي.

أحياناً تسأل هذا الراهب وتقول له: يا أباي، أنت تهتم جداً بأن تنكر ذاتك في كل شيء، ولكن المهم جداً أن تخلص من خطاياك. هذا هدف مهم في الرهبنة، هل أنت تلاحظه؟ فيحجل ويقول لك: "نعم، إنني كلي خطايا، ويلزمي جداً البكاء على خطاياي، ولكن أنا أحسُّ في كل لحظة بهذا الهدف أمام عيني، أريد دائماً أن أخفي نفسي، أريد أن أنكر ذاتي، أريد أن أكون غير محسوب لا عند الناس ولا عند نفسي". وهذا طبعاً كله بفعل النعمة التي وَضَعَتْ أمامه هذا الهدف المقدَّس.

(٣) وهناك هدف آخر أعلى قامة وهو التسليم الكامل لله في كل شيء وفي كل ما يجري على الإنسان من تجارب واضطهاد وأمراض وانزعاج. ويكون المؤمن في شغل شاغل لتفسير كل الأمور الآتية عليه حتى يعرف الحكمة الإلهية في كل ما يحدث، مُستسلماً دائماً لمشيئة الله دون أن تكون له إرادة ذاتية في نفسه لا في قول ولا في عمل، ويسعى أن يكون كذلك بكل الطرق والوسائل.

(٤) وهدف آخر أعلى قامة وهو الحب الإلهي، وهو أن يضع الإنسان أمام عينيه وفي قلبه أن يعمل كل شيء ويعيش كل لحظات حياته على الأرض من أجل حب الله. فهو بالحب يُصلي، وبالحب يتألم، وبالحب يخدم، وبالحب يصفح، وبالحب يبذل نفسه عن أحبائه وعن أعدائه.

(٥) والهدف الأخير هو الاتحاد بالله، وهو بمعنى آخر أن يصير الإنسان هو والمسيح واحداً. هذا هو معنى الثبوت، حيث يُحسُّ الإنسان في نفسه أن المسيح هو الذي يُحرِّكه ويُوَجِّهه، لأنه ليس له شيء في ذاته، «مع المسيح صلبتُ فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا في». فما أحياءه الآن في الجسد فإنما أحياءه في الإيمان، إيمان أبن الله، الذي أحببني وأسلم نفسه

لأجله» (غل ٢: ٢٠).

- هذا الهدف الأخير وهو الاتحاد بالله غير هدف التسليم الكامل، فالتسليم بدائي يحاول الإنسان فيه أن يُسلم إرادته لله الذي يُغيّرُها شيئاً فشيئاً، أما في الاتحاد فالإنسان يصير واحداً مع المسيح في الله، والمسيح يعمل فيه وبه كل ما يريد.

- الروح هو الذي يُعطى الإنسان الهدف بحسب قامته الروحية، وأحياناً ينقله إلى هدفٍ أعلى، وأحياناً يظلُّ في هدف واحد حتى النهاية.

- الراهب الذي هدفُ الحياة واضحٌ أمام عينيه كل يوم يكون دائماً حاراً في الروح غيوراً متيقظاً، إذا صَلَّى أو صام أو إذا خدم أو إذا اجتاز أية تجربة. أمّا إذا فَقَدَ الهدفَ تنحلُّ قوته فيبرد. هَبْ أن إنساناً ما وضع أمام عينيه هدف خلاص النفس والبكاء على خطاياها، ويُركي هذا الهدف كل يوم بالدوافع الإنجيلية والآبائية. فمثلاً إذا صَلَّى، تجده حاراً جداً في صلاته لا يحسُّ بتعب أو تشتت. وقِسْ على ذلك على أى هدفٍ آخر. هَبْ أنه يسعى دائماً لإنكار ذاته، فمثلاً إذا صَلَّى، تجد صلاته حارةً مُتقدّمة ممتلئة بالانسحاق. أما إذا ضاع الهدف، فالعكس يحدث، فتجده فاتراً في صلاته ويتعب بسرعة في جهاده.

يُلاحظ في حالات الأهداف الخمسة جميعها أن الإنسان يشعر في قرارة نفسه أنه يُقدّم نفسه ذبيحة لله.

أنت قدّمتَ حياتك ذبيحة لله، والله قَبَلَهَا منك بتوسُّط دم يسوع المسيح، فأنتَ غير مسئول بعد ذلك عن ضعفات ذبيحة حياتك. الله اشترى حياتك وهو يعلم ما فيها من ضعف ونقص، وسلّمها إليك مرةً أخرى لترعاها وتهتم بها لحسابه هو، وليس لحساب ذاتك. يكفي جداً أن تعلم جيداً الضعفَات التي فيك، فتحاول على قدر طاقتك أن تتطهَّر من هذه الضعفَات بقوة النعمة التي وهبت لك بيسوع المسيح.

مثال: هَبْ أن هناك في القرية إنساناً فقيراً فقراً مُدفعاً يملك غنمة

هزيلة عرجاء، وكان كل مَنْ يراها يسخر منها ومن صاحبها، وكان هو أيضاً ينجل من نفسه ومن غنمته. وذات مرة رآه حاكم هذه المدينة فأشفق عليه واشترى منه النعجة العرجاء المشوّهة، فصارت ملكاً للحاكم، ثم سلّمها مرة أخرى للفقير، وقال له: إرعاها لحسابي ومهما احتجتَ لشيء من أجلها فأنا أعطيك. ماذا يكون موقف الفقير في المدينة بعد ذلك؟ هل ينجل من النعجة العرجاء المشوّهة؟ كلا، إنّها الآن ملكٌ للحاكم، وهو يعتبر نفسه أنّ له الشرف أن يرعاها ويتعهدا له.

هذا موقفي وموقفك يا أخي تجاه نفسي ونفسك الناقصة المشوّهة. الرب ارتضى أن يشتريها بثمن غال جداً، وهو سلّمها لك لترعاها لحسابه، فحاول أن تُرضيه ولا تنجل أو تيأس من ضعفك لأن الرب قادر أن يرفعه.



المنهج المسيحي العملي

مارس ١٩٦٧

كان المنهج المسيحي العملي في الكنيسة الأولى يتلخّص بكل بساطة في تميم الوصايا الإنجيلية بغير غرض أو هدفٍ جسدي أو حتى روحي سوى أنه أمرٌ إلهي واجب تميمه ولا ينبغي من وراء تميم الوصايا سوى إرضاء قلب الله الذي يُحبه.

لم يكن الكتاب المقدس مجالاً للتأمل والتلذذ العقلي بالوصايا، بل واسطة لعمل مشيئة الله. فالوصية تقول: «صَلُّوا بلا انقطاع» (١ تس ٥: ١٧)، فيجتهد المؤمن أن يصلى بلا انقطاع. الوصية تقول: «بِعِ كُلِّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ أَتْبِعَنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ» (مر ١٠: ٢١)، فكانوا يتركون كل شيء ويتبعون الرب. وهكذا، كانوا ينفذون الوصايا الإنجيلية ببساطة قلب. كان هذا هو المنهج الأبائي العجيب الذي أخرج لنا قديسين عظاماً أناروا العالم مع أنّهم كانوا بسطاء، وكثيرون منهم كانوا أميين، ومع ذلك ازدادوا كرامة ومجداً أكثر من فلاسفة الأرض بسبب أمانتهم لوصايا الله فأعطاهم الله عطايا روحية ممتازة.

- في الأجيال المتأخرة ظهرت البروتستانتية والشّيع المماثلة التي تستعين بالإنجيل للتأثير العاطفي على الناس بكلمات مُنمّقة جميلة والتلذذ بكلام الله، فَبَلَّورُوا الْخَلَاصَ الْخَطِيرَ الَّذِي قَامَ بِهِ الْمَخْلُصُ لَهُ الْمَجْدُ بِكَلِمَاتٍ بَسِيطَةٍ يَتَلَوْنَهَا عَلَى النَّاسِ فَيَتَأَثَّرُونَ عَاطْفِيًّا وَيَقُولُونَ لَهُمْ: خَلُصْتُ، خَلُصْتُ!! ليست هذه هي المسيحية التي عرفناها عن آبائنا. الله يقول على لسان موسى النبي أن الوصايا التي أعطاها للشعب «إِذَا فَعَلَهَا الْإِنْسَانُ يَحْيَا بِهَا» (لا ١٨: ٥)، والمسيح قال للناموسي الذي حَفَظَ الْوَصَايَا: «افْعَلْ هَذَا فَتَحْيَا» (لو ١٠: ٢٨). فليس الخلاص مُجرّد كلمات تُتلى أو تأثير عاطفي يحسُّ به الإنسان، كلا، الخلاص لا يتم إلا بعد أن نسلك

بالوصايا التي أمرنا بها الرب.

- الوصية في ذاتها لا تخلص، ولكن عندما نفعل الوصية نُثبت أننا مطيعون لله، وبهذا نكون قريين منه وأحباء، فنأخذ الخلاص المجاني بالإيمان. نحن لا نشترى الخلاص بأعمال، "لأن بأعمالنا ليس لنا خلاص" (الأجبية المقدسة صلاة نصف الليل الخدمة الأولى)، ومهما عملنا ف نحن «عبيد بطالون» (لو ١٧: ١٠)، ولكن لا بد من تميم الوصية لإظهار حُبنا لله. فهل يُمكن لإنسان مُستهين بوصايا الرب ثم ببعض كلمات عاطفية مثيرة يبتهج بها ساعة أو يوماً أو سنةً يحسب نفسه أنه قد خلص؟!!

هوذا أنبا مقار الكبير وهو أب عظيم لرهبان كثيرين، عندما قالت له الشياطين: "طوباك يا مقاره لأنك خلصت"، فقال لها: "لم أخلص بعد". ثم أتت له في نهاية أيامه وقالت له: "طوباك، لأنك أكملت جهادك وخلصت"، فقال لها: "لم أخلص بعد". ثم أتت له وهو على فراش الموت، وقالت له: "طوباك، لقد خلصت"، فقال لها: "لم أخلص بعد". وعندما خرجت روحه من الجسد، حينئذ قابلته الشياطين وقالت له: "لقد خلصت يا مقاره"، فقال لهم: "بقوة الله خلصت".

- الخلاص لا يتم هنا على الأرض ونحن في الجسد، لأننا مُعرَّضون للخطأ والسقوط في أية لحظة. الخلاص يتم في السماء بعد أن نطرح الجسد الميال إلى الخطية.

- الذين يحاولون أن يُحسِّسوا بالخلاص عاطفياً بالكلام أو بالصلاة، يُحسِّسون فعلاً ولكن إلى حين عندما يتوقفون عن صلواتهم أو قراءاتهم، لأنهم يضعون أنفسهم تحت انفعال خاص بالخلاص فيفرحون نفسانياً، ولكن الخلاص الحقيقي لا نحسُّه إلا بتتميم الوصايا بأمانة. فإذا بدأت بتتميم الوصية بأمانة، كوصية الصلاة أو الصوم أو الفقر، فإنك تبدأ في الدخول في إحساس الخلاص، إنمَّا في هدوء وبساطة من غير تشويش، لأننا بالوصية ندخل في طاعة الرب، ونقترب منه، فنحس بحبه العجيب والخلاص الذي وهبه لنا مجاناً.

في ظني، أنه بدون الفقر والتجرد، لا نستطيع أن ندخل في سرّ الإنجيل، ولن نحسّ بقوة الوصايا كلها. (قصة الواعظ الذي يعظ عن الفقر وهو يلبس خاتمًا من الماس!). « بع كل ما لك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعالِ اتَّبِعني حاملاً الصليب » (مر ١٠: ٢١). فإذا ترك الإنسان كل شيء يستطيع بكل سهولة أن يتبع المسيح بتتيميم وصاياهم. ومعنى ترك الإنسان كل شيء يتلخّص في الفقر المادي والفقر الجنسي والفقر الإرادي، أي الفقر والعفة والطاعة. فبالأولى يفقر من الأشياء الأرضية الزائلة من أجل الله، وبالثانية يفقر من الجنس الآخر لكي يلتصق بالرب، وبالثالثة يفقر من المشيئة الذاتية ولا يطلب إلا مشيئة الله بالطاعة الكاملة لإرادته التي نتلقاها سواء من الإنجيل أو من الآخرين الذين نُحسُّ أن الله يأمرنا بواسطتهم.

- الذي يعمل الوصايا، إذا تكلم يكون كلامه قليلاً ومحدوداً بما عمله فقط، أما الذي يتكلم من الكتب فهذا يمكن أن يتكلم كثيراً جداً ولا ضابط له.

الذي يعمل وصية الله يشهد عن الله أنه موجود، وأية كلمة يتكلم بها تُثبت ما يريد أن يقوله عن الله وعن الحق ويقنع بها السامعون. أما الذي لا يعمل الوصية، فمهما تكلم لكي يُثبت وجود الله بالبراهين العقلية المحبوبة، فلن يصل بالسامعين إلى الاقتناع الكامل.

فإذا سألتني: ماذا أعمل لكي أخلص؟ أقول لك: اقرأ الوصايا واعمل بها بغير تحفظ ولا تردّد ولا تأويل وأنت تتخلص. وإذا آمنت أن الكنيسة وما فيها من وصايا وأوامر وفرائض هي موضوعة بواسطة آباء قديسين مُلهَمين بالروح القدس وضعوا هذه الترتيبات، فافعلها كمطيع لله يُحِبُّ الله وكنيسته. فالكنيسة قالت لنا: صلّوا في اليوم سبع مرات، فصلّ أنت سبع مرات في اليوم بكل بساطة وبكل محبة لله بلا هدف ترجوه من هذه الصلوات سوى الطاعة الكاملة لله لأنك تُحبه من كل قلبك. والكنيسة قالت: صوموا الأربعاء والجمعة، فكاين مطيع مُحِبُّ صُمْ أنت

الأربعاء والجمعة بدون أى هدف جسدي أو روحي غير الطاعة الكاملة لله. إذا سرتَ أنتَ على هذا النمط من الطاعة الكاملة لوصايا الله وفرائضه سوف تنسكب بهجة الخلاص فيك وتحسُّ بمعية الله في حياتك وأنتَ من أخصَّائه، ولا بد أن الرب يستأمنك على مواهب روحية من غير أن تطلبها أو تسعى إليها أو تُفكِّر فيها.

أحياناً يظهر في الشَّيخ البروتستانتي شخصيات ذوو كفاءات ممتازة تؤثر على الناس عاطفياً وتدعوهم إلى التغيير والتجديد، ويقدرّون بالفعل على تجديد آخرين بواسطة الصلوات والوعظ العاطفي المؤثر، ولكن للأسف يكون هذا التغيير إلى حين، لأن الذي يتجدّد ويتغيّر لا يستمر في ذلك، لأن الخلاص لا يتم على الأرض، بل بالثابرة على تنميم الوصايا نحسب من أخصَّاء الله فيمنحنا الخلاص مجاناً. أما هؤلاء فيكتفون بالفرح المفاجئ والتأثير العاطفي ولكن لا يستطيعون المواصلة على هذا الفرع. ولذلك يُحاول قادتُهم أن يحثوهم على الصلوات المستمرة وحضور الاجتماعات والتحدُّث مع الآخرين في الموضوعات الروحية حتى يدوم هذا التأثير، ولكن لا يلبث أن ينطفئ الإنسان المتجدّد ويترك الطريق إلى غير رجعة.

- ليس الخلاص والمناداة به وَقفاً على الكفاءات الشخصية الممتازة، فإن هؤلاء القادة المؤثرين وإن كانوا يستطيعون التأثير على النفوس بالفعل للتغيير والتجديد إلا أنه بدون مواصلة الجهاد بالوصايا لا يتم الخلاص.

- البعض يظنّون أنّهم لا بد أن يحسُّوا في ذواتهم بالخلاص عاطفياً، هذا خطأ. الذي تحسُّ به في نفسك هو حالة التوبة فقط، لأن الروح نفسه ينحس النفس لكي تتغيّر وتتوب. وفي غير ذلك، فإن النفس تسلك طريق الإيمان ولا ترى ولا تحسُّ بشيء! طوبى للذين آمنوا ولم يروا، فهم الذين يتممون الوصايا حباً في الله ودون أن يرجوا من وراء ذلك أية نتيجة جسدية أو روحية على الأرض. أمّا إذا منح الرب أية عطية من العطايا الروحية بعد ذلك، فهي تكون هبة مجانية من عنده وليست ثمناً لجهادنا.

المنهج التصوّفي والمنهج السّكي

(مُلخّص)

١. المنهج التصوّفي: (Mysticism)

أصلاً هو منهج غير مسيحي ابتدعه أفلاطون للوصول إلى الله، يعتمد أساساً على قدرة الإنسان وإمكانياته العقلية وخبراته. هذا المنهج له خطوات ومراحل مُحدّدة دقيقة، ويُسلّم تسليمًا للشخص المتصوّف. وهو يتبدئ بمرحلة التطهير الجسدي بالصوم الشديد والابتعاد عن الخطيئة وكل مُسبباتها، ثم مرحلة تطهير العقل من كل الأمور المادية والاهتمامات العالمية، ثم التأمل الكثير في الله والإلهيات وصَلْب العقل إلى فوق حتى لا ينزل إلى مستوى الأرضيات، والثابرة على ذلك مدة طويلة إلى أن يقتحم العقل المجال الإلهي ويتحد بالله عقلياً ويتمتع بعظمة الله ويتعرّف على أمور إلهية خفية لم يكن يعرفها من قبل ويكتشف كثيراً من الأمور غير المرئية.

هذا المنهج صعب وشاق، يَمن آلاف المتصوّفين قلما يستطيع واحد أن يصل إلى المجال الإلهي، ولكنه يرنجع سريعاً ولا يستطيع أن يثبت في تأملاته لشدة الجهد على النفس.

هذا المنهج ابتدعه أفلاطون وهو غير مسيحي، أى أنه لم ينل التّبنيّ بالإيمان بالمسيح، وكل مَنْ هو ليس ابناً لله كيف يجترئ بكثرة جهاداته أن يقتحم المجال الإلهي؟! نحن كمسيحيين مدعوون بواسطة يسوع المسيح للدخول إلى الأب بجراءة البنين التي صارت لنا. فالله هو الذي دعانا في ابنه ونحن نتقدّم إليه بناءً على هذه الدعوة، لذلك يوجد فرق عظيم بين هذا الذي يقتحم المجال الإلهي كغريب ليس له حق البنين وبين ابن محبوب يدخل إلى أبيه الذي في السموات بناءً على دعوته ورغبته وحبّه. فالأولى يُصاحبها مشقة عظيمة جسدية ونفسية، وقَلَّ مَنْ يَصِل،

وإذا وصل لابد أن يرتدّ سريعاً إلى حيث كان. والثانية بسيطة سهلة بنعمة ربنا يسوع المسيح حيث يستأهل الإنسان للوجود مع الله والاتحاد به بالإيمان وهو هنا على الأرض، على أن هذا الاتحاد لا يتم إلا في السماء.

أحياناً يكون المتصوّف بسيطاً نقيّ القلب. مثل هذا الإنسان مع كثرة جهاداته الصعبة يصل ويتمتع ويعرف الكثير عن الله وعن الإلهيات بعقله الذي له حق طبيعي موهوب له طبيعياً من الله أن يقترب من المجال الإلهي ويعرف الإلهيات. ومع ذلك، فإنه لا يمكن لمثل هذا الإنسان أن يثبت لأن نعمة الثبوت لا تكون إلا بشخص المسيح الذي يعطيه كهبة للإنسان بالإيمان به، وإلا يرجع ويرتدّ سريعاً إلى حيث كان أولاً.

٢. المنهج النسكي: (Asceticism)

يقوم على تنفيذ الوصايا والأوامر والفرائض الإلهية كما كُتبت وكما أمرَ بها الله. هذا المنهج وضعه الله بنفسه في العهد القديم، لأنه وجد أن هذا هو الطريق السهل الوحيد للإنسان الذي يريد أن يُثبت محبته لله. وقد قال المُخلص: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي» (يو ١٤: ٢٣). فالذي يحفظ الوصايا عملياً كما أمرَ الله هو الذي يُثبت بكل تأكيد أنه يُحب الله، ليس بحفظ العقل والتأمل والاستحسان كما يفعل المتصوّفون الذين يتلذذون بالمعاني الروحية والأمور العقلية، بل تُنفذها عملياً كما أمرَ الرب، وفي هذا كل الفرح وكل العزاء. يقول القديس أنطونيوس في بستان الرهبان: "ليكن فرحك بتنفيذ وصايا الرب"، لأننا بذلك نعمل مشيئة الله.

هذا المنهج لا يحتمل هدفاً آخر غير عمل مشيئة الله، فأنا أصوم لأن الله أمرَ أن نصوم، وليس لأجل أن أصل إلى حالة تؤهلني أن أعرف أموراً عالية روحية. وأنا أصلي لأن الله أمرَ أن نصلي فقط وليس للوصول إلى حالة تجلّي واتحاد. الله أمرَ أن تتضرع وليس لكي يرفعني. وهكذا، نعمل

الوصايا لأن الله أمرنا بها، وبما أننا نحبّه فنحن نفعل أو امره فقط من أجله وليس من أجل غرضٍ آخر غيرِه.

هذا المنهج بسيط لأننا نفعل ما يأمر به الله، والله يأمرنا بما نستطيع بنعمته أن نفعله. إذا كنّا نفعل الوصية إطاعة لله فقط، فإننا نجد قوّة في الوصية توازننا على تميمها. وإذا بنا تَرَى الوصية على هذا المنهج سهلة مُتيسّرة للبسطاء، « لأن نيري هيّن وحِلي خفيف » (مت ١١ : ٣٠)، ونحسُّ بالفرح العجيب في تنفيذها لأننا نحسُّ أننا تُرضي الله، وهذا يكفيننا.

هذا المنهج لا يحتمل زيادة ولا نقصاناً على أمر الله. الذي يُحاول من ذاته أن يُزيد الصلاة أو الصوم أو السجود عن ما أمر الله به، هذا يخرج عن طريق الآباء النسكي البسيط المُمتلئ بالفرح، لأن ذلك يدلُّ على أن الإنسان يسعى إلى هدفٍ آخر غير مشيئة الله أي أنه دخل في المنهج التصوّفي.

كل العطايا الإلهية الروحية العالية لم تُعطَ للإنسان إلا بعد تنفيذ الفرائض التي أمرَ بها الله، وبغير ذلك لا يمكن أن ينال هبةً روحية من الله. الله كلم موسى وقال له: أنا أريد أن أترأى للشعب، قدّس لي الشعب ثلاثة أيام، وبعدها أنا أترأى له. فقدّس موسى الشعب كله وتطهّروا كما أمرَ الرب فترأى الرب. ولما أراد الرب أن يعقد عهده الأبدي مع إبراهيم، قال له: "خذ لي عجلة ثلاثية وعنزّة ثلاثية وكبشاً ثلاثية وبعرة وحمامة". فلما نفّذ إبراهيم أمر الرب، غابت الشمس وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين ذلك القطيع. ويقول الكتاب: "في ذلك اليوم قطع الرب ميثاقاً مع إبراهيم قائلاً: لتسلك أعطى هذه الأرض".

وهكذا في كل الكتاب المقدّس، لم يحدث أن الرب أعطى مواهبه الروحية بغير أمر سابق عليه يُنفذ لإظهار طاعة الإنسان لله التي بها يُوهّل لقبول العطية. أمّا الذي يُحاول أن يتحرّر من الفريضة والطقس والوصية

التي وضعها الله بنفسه أو الأمور التي وضعها أحد الأنبياء ووافق عليها الله وسرَّ بها، فإنه لن ينال شيئاً من عند الرب، لأن الإنسان في حرّيته مهما عمل لا يستطيع أن يعرف مشيئة الله ولا يمكنه أن يعمل ما يريد إلا إذا أعلن الرب هذه الإرادة بإعطائه أمراً ينفّذه الإنسان.

نحن نعتبر أنه من أعظم هبات الله للإنسان أن يعطيه أوامر ووصايا. الله غير محتاج للإنسان ولكن كونه يعطيه أمراً، هذا مُنتهي التنازل والاتضاع الإلهي أن يُعلن نفسه للإنسان بإعطائه الأمر أو الوصية، ويعطى فرصة للإنسان أن يُظهر حبه له بالطريقة التي يراها الله لا الإنسان، لأن الخطية صارت فاصلة بين الله والإنسان، فكيف يعرف الإنسان من ذاته أن يُرضي الله ويُتمِّم مشيئته؟!

إذا أنتَ أحببتَ إنساناً عظيماً ورئيساً مُبجَّلاً، فإنك تطلب منه بإلحاح أن يعطيك أي أمر أو طلب لكي تُنفّذه له بأمانة حتى تُظهر له محبتك واحترامك لشخصه. فكم يكون موقفنا من الله الذي ونحن خطاة مات من أجلنا وقدّانا من الهلاك الأبدي وجعلنا بنياناً له. نحن نشكره بكل قلوبنا، لأنه أعطانا أوامرَ وفرائضَ ووصايا لكي نتممها حتى نُظهر خضوعنا ومحبتنا الكاملة له.



القراءة في كتاب مار إسحق (مُلخَّص)

السبت الثالث من شهر كيهك (ديسمبر ١٩٦٧)

مقدِّمة:

قبل أن نقرأ في كتاب مار إسحق، أريد أن أنوّه إلى عظمة مقالات القديس أنبا مقار الكبير.

كنتُ أظنّ سابقاً أن كلام العلماء الذين حقّقوا هذا الكتاب (عظّات القديس أنبا مقار) كلامٌ صحيحٌ فيما ادّعوا به أمّا ليس من كتاباته، ولكن بعد الفحص الكثير وقراءة أقوال الآباء واستيعابها، تأكّدتُ أن هذا الكتاب لا يستطيع أحدٌ أن يكتبه إلا أنبا مقار الكبير. لقد قرأته إلى عشرين مرة، ولكن حتى آخر مرة أجد نفسي وكأني أقرأه لأول مرة لما فيه من عمق وأصالة إنجيلية وقوة في التعبير.

كتاب عظّات أنبا مقار يمثّل التعمق الإنجيلي الصحيح حتى أنك تجده يستشهد بالإنجيل والتوراة مرّات كثيرة في الصفحة الواحدة، وربما في كل سطر تجد سنّداً إنجيلياً ولاسيما من رسائل القديس بولس الرسول والمزامير.

في كل الكتاب قد لا تجد كلمة "نُسك" إلا مرّةً واحدة، وهذا يوضّح أساسه الإنجيلي الذي يقوم عليه.

كتاب القديس مار إسحق

سيرة القديس:

يُلاحظ أنه هرب إلى الإسقيط، لأنه وجد أن الأسقفية ستحرّمه من الوحدة. وفي هذا نقول أنه لو كان قد أكمل واجبات الوحدة

ومستلزماتها، لكان قد استمر في الأسقفية ولم يخسر من ذلك، ولكن لأن مار إسحق كان قد أُخْتِيرَ للأسقفية وهو لا يزال مبتدئاً في حياة الوحدة، لذلك وجد أن خدمة الأسقفية خطر على حياته الروحية فاضطر أن يتركها، وهذا يلزم جداً أن نعرفه. وهذا إنذار لكل راهب يتجاسر أن يشتهي أو يطلب الخدمة قبل أن يُتَمِّمَ واجبات الوحدة.

مقدمة الكتاب:

النفس لها أعضاء داخلية حقيقية كما للجسد أعضاء ظاهرة خارجية تماماً وليس هذا إدعاءً أو تخيلاً، ولكن هذه الأعضاء حقيقية ويعمل كل واحد منها في مكانه. فالضمير غير الفهم، غير الإرادة، غير التمييز. كل هذه الأعضاء الجسدية أُعْطِيَتْ للإنسان طبيعياً ليعمل بها طبيعياً في الأمور الجسدية العادية حتى إذا نجح فيها يؤهّل بتلك الأعضاء النفسية بالذات أن يعمل بها روحياً. فالذي عنده تمييز في الأمور الجسدية ويفرّق بين الخير والشر والمُناسب وغير المُناسب، «الذين بسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواس مُدْرَبَةً على التمييز بين الخير و الشر» (عب ٥: ١٤)، هؤلاء يؤهّلون للتمييز الروحاني أو الإفراز. لذلك يلزم جداً للمبتدئ الروحي أن يكون له تمييز جسدي حتى يؤهّل للروحاني، وإذا لم يكن له، فمن العسير أن يتقدّم في الطريق الروحاني.

يلاحظ أن التمييز عضو طبيعي في النفس، أما الإفراز فهو موهبة مُعْطَاة للإنسان بعد جهاد شاق طويل وصلوات وتوسُّلات، وذلك للتدبير الروحي.



سؤال:

- ما سبب تخلفنا في الطريق الروحي وعدم نوالنا المواهب الروحية التي كان يناها الآباء الأولون؟

- جواب:

إننا في الواقع نختار دائماً الطريق المريح، والطريق الروحي غير ذلك. فإذا توقفتَ في طريقك الروحي ووجدتَ أن الطريق له فرعان، واحد سهل والآخر صعب، فالمنطق الروحي يُحْتَمُّ عليك أن تسلك الصعب وتتقدّم وتنمو في الحال وتحصل على مواهب الروح القدس.

أنت في المجمع لا تستطيع أن تحصل على مواهب الروح القدس إلا إذا قبلتَ مضايقة الأخ وانتهاره. فإن كنتَ تقبل أوامره المتسلطة باتضاع ومحبة وبساطة، فأنتَ في الواقع تخطف من أحيك الملكوت. وهذا معنى «ملكوت السماوات يُعْصَب والغاصبون يَحْتَظفونه» (مت ١١ : ١٢). وقول القديس بطرس الرسول: «لأنه أيّ مجد هو إن كنتم تُلْطَمون مُحْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ، بل إن كنتم تتألّمون عاملين الخير فَتَصْبِرُونَ فهذا فَضْلٌ عند الله» (١بط ٢ : ٢٠). هذا يُظهر لنا مدى الرفعة والمجد اللذين نحصل عليهما عندما نخطو خطوة واحدة في الطريق الضيق من أجل الله.

يُلاحَظ أن الطريق الروحي يسهلُ لنا عندما نخطو خطوة في الطريق الصعب الضيق، والعكس صحيح. لأن النعمة تزداد جداً كلما اختار الجهاد الطريق الأضيّق. هكذا بعد زمان قليل أو كثير من الجهاد، يرى جميع الناس حوله وكأنهم في الأتون، وأما هو فيشعر بالحقيقة أنه في الملكوت، ومع الرب يسوع.

يُلاحَظ أيضاً أننا لا نُشابه آباءنا الأوائل في همّتهم وصرامتهم. لقد كانوا يأخذون طريق الرهينة بهمة شديدة وجدّية عظيمة، أما نحن فبكل أسف نحاول أن نأخذ الطريق ببساطة وميوعة مع التسلية والهزار في بعض الأحوال، حتى أن التسلية والهزار أخذنا طريقهما إلى كثير من الخدام في

الكنيسة واقتطع منهم أوقاتاً طويلة. فهل نتوقع من كل هؤلاء أن يعمل الروح القدس فيهم عملاً واضحاً؟!

الذي يسلك في الطريق الصعبة الضيقة، لا يجد لا فرصة ولا وقتاً للضحك أو الهزار أو التسلية، حتى ولو حاول ذلك فلا يستطيع.

ضع هذه العلامة دائماً أمام عينيك في طريقك الروحي، أنك إذا كنت ترغب دائماً أن تختار الشيء الأكثر تعباً وتترك المريح، فأنت سائر بنعمة الله. أما إذا كنت ترغب في الراحة، فلن تستطيع أن تصل إلى الهدف الذي تسعى إليه، لأن مبدأ الراحة لا يقف عند حد، ولا بد أن يقودك إلى الخروج خارج الطريق.



الاستهانة بوصايا الله

(مُلخّص)

يظن البعض - كما كان يظن شعب إسرائيل - أنه مادام لنا المواعيد فنحن سوف ننالها، وأن الرب سوف يتغاضى عن إهمالنا وكسلنا، حتى ولو استهنا بوصاياه معتمدين على أن الله لن يرجع عن مواعيده، لذلك هم يكسرون الوصايا أو يُهملونها عن معرفة غير خائفين من غضب الله عليهم. هؤلاء يسمعون ردّ الله عليهم الذي ردّ به على شعب إسرائيل في سفر زكريا: "فأخذت عصاي نعمة وقصفتها لأنقض عهدي الذي قطعته مع كل الأسباط... ثم قصفت عصاي الأخرى حبلاً لأنقض الإخاء بين يهوذا وإسرائيل" (زك ١١).

هنا نرى كيف أن الله نقض عهده مع شعبه الذي أحبه، وذلك بسبب سلوكهم البغيض.

الله لا يتمهل على أحد من أولاده في خطيئته، وحتى لو كان أعزّ أولاده ولم يرجع ويُقدّم توبة، فإنه يضطر حينئذ إلى تأديبه بأشدّ التأديبات، غير ناظرٍ إلى ما دلّله الله به من عطايا روحية، وذلك إلى أن يرجع عن خطيئته.



عمل الله وعمل الشيطان في العالم

(مُلخَّص)

الشيطان يعمل في العالم على مستوى المادة والجسد والأرض، أما الله فيعمل على مستوى الروح أى خلاص الإنسان.

الشيطان بالنسبة لشخصين يستطيع أن يُلقى بينهما البغضة والكراهية والغضب والعراك، أمّا الله فيعمل في القلوب للمحبة والصفح والتوبة لكي يُعين الاثنين على الخلاص.

الشيطان بالنسبة لدولتين يستطيع أن يُلقى بينهما الحقد والكراهية والحروب، والله يستخدم هذه الحروب لإقناع العاقي المتكبر بالنزول إلى مستوى الطرف الآخر وبالتعاون للوصول إلى سلام يُهيئ لخلاص الدولة بأكملها. ربما يموت كثيرون، ربما تنهدم مدن كثيرة، ولكن كل هذا لا يَهْم بالنسبة لخلاص جيل من الناس.

ربما يسمح الرب لبلد من البلاد بأن تدخل نار الحروب للتأديب والتطهير، وبمُجرّد رجوعها وقبولها صوت الله بالتوبة يعفي عنها.



العاطفة وعلاقتنا بالله

يجب أن لا تكون للعاطفة فرصة ولا عمل في علاقتنا بالله. فإذا سهّل لي الرب أموري واستجاب صلاتي، أفرح وأشكر وأتعزّي. وإذا جرّبني وأدّبني، أقول: «مُلعونَ اليوم الذي وُلدتُ فيه اليَوْمَ الذي وكَلدْتَنِي فيه أُمِّي لا يَكُنْ مباركاً» (إر ٢٠: ١٤).

علاقتي بالله فوق العواطف، وينبغي أن لا تُؤثّر فيها الأحداث سواء المُفرحة أو المُحزّنة.

كذلك ينبغي أن تكون عواطفني بالآخرين لا تُؤثّر على علاقتي بالله. فإذا حدث أن ضايقتني شخصٌ ما، كان ذلك سبباً في اضطرابي وتسحّسي وفقدان سلامي مع الله. وإذا رضي عني شخصٌ ما، كان ذلك سبباً في فرحي وتعزّيتي وشكري إلى الله. وكأنه يوجد ما يمنع حبّي لله أو يوجد إنسان سيفصلنا عن محبة المسيح! هذه ليست المسيحية التي تقول: «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح... فأني مُتيقّن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات... ولا خليقة أخرى نقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨: ٣٥-٣٩).

الشخص الطبيعي إذا كرمته وأظهرت له عطفاً وإحساناً، احترمك وأحبك وإذا احتقرته، أبغضك وتضايق منك. أما الشخص الروحي السوي فإنه يحبك ويحترمك سواء أكرّمته أو لم تُكرّمه، سيان عنده في الحالاتين. فكم يكون الله نفسه! فإنه لا ينظر إلى عواطفك إن كانت حسنة أو رديئة، ولا يأخذ في حبه لك اعتبار حُسْنِك أو قُبْحِك، بل سيعاملك على أنك خليقته التي خلقها وأحبّها بما فيها من نقص وضعف وعلى أساس الأمانة التي يُظهرها الإنسان من نحو وصاياه.

الشخص الطبيعي يحتاج إلى العطف وأخذ الكرامة من الناس، أما المؤمن الذي اتحد بالمسيح فهو لا يحتاج إلى العطف ولا الكرامة لأنه غنيّ بالمسيح هو يُعطي ولا يأخذ، كما يقول الكتاب: «مغبوطٌ هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع ٢٠: ٣٥)، لأن فيه المسيح الكنز الحقيقي. هو

يعطف على جميع الناس ويُكرِّم جميع الناس على مثال المسيح. وهو يهرب من عطف الناس ومديح الناس، أولاً لأنه مُستغْنٍ بالرب، ثانياً لأنه يخاف لئلا يُسْرَقَ ويميل إلى كرامة الناس التي تُفْقِدُه في الحال الكُنْز الحقيقي وهو الرب يسوع.

إذا أتى شخصٌ ليطلب مساعدة عروس حديثة الزواج، وقد أعطهاها عريسها كل ما عنده يوم عُرسها لأنه يحبها، فإنَّها تعطيه بسعةٍ وسخاء. أما إذا كانت عذراء ما زالت تحت الوصاية في بيت أبيها فإنَّها لا تملك أن تعطيه شيئاً. هكذا النفس المُتحدة بعريسها السمائي الرب يسوع تُعطى بسخاء وسعة من العطف والكرامة لكل المحتاجين.

أحياناً يدلُّ الرب الإنسان المؤمن ويعامله بالكرامة والعواطف الجميلة في بدء حياته الروحية حتى يتصلَّب عودُه ويتشدَّد، ثم يُدخِله مدرسة التجارب العُليا، فيمنع عنه الكرامات والعواطف التي منحها له سابقاً حتى يُحرِّده من كل شهوة أخرى غير العريس السمائي وتكون العلاقة الجديدة مع الرب خالية من كل العواطف والكرامات.

نشيد الأناشيد يمثِّل العواطف التي تتبادلها النفس المبتدئة مع الله الحبيب، ولكن عندما تتقدَّم في الطريق الروحي لن تستهويها كثيراً هذه العواطف لأنَّها ستُسلِّب منها لترتفع فوقها.



احتمال الآلام برِضا وشكرِ كفيلان أن يحطّما مملكة الشيطان

(مُلخّص)

الذين يحتملون الآلام بتذمُّرٍ أو حتى يستشهدون عن غير رضا، هؤلاء يفقدون نصيبهم في السماء لأنهم تَمَموا مشيئة الشيطان في التجربة الآتية عليهم. أما الذين قبلوا الموت بشكرٍ ورضا وفرح، هؤلاء قد جحدوا مشيئة الشيطان وحطّموها مملكته.



الاتحاد بالله

(مُلخَّص)

يظن البعض أن الاتحاد بالله عملية بسيطة وسهلة وتتم في لحظة، بعدها يكون الإنسان في حالة اتحاد مستمر هذا خطأ. الاتحاد بالله يلزم أن يكون في كل لحظة، وفي الوقت الذي يترك الإنسان الله وَيَسْرَحَ بعقله في أمور باطلة، المسيح لن يثبت في قلبه. وإذا رجع إليه ليجث عنه لن يجده "«الرَّب معكم ما دُمْتُمْ معه، وإنْ طَلَبْتُمُوهُ يُوجَدْ لَكُمْ، وإنْ تَرَكْتُمُوهُ يَتْرَكْكُمْ» (٢ أخبار ١٥: ٢). لن يُوجَدَ الرب في داخل قلبك إذا تركته وخرجتَ خارجاً تبحث عن مسرَّات جسدية أو تسليات عقلية أو لعب أو شهوات علمية.

إذا تمسكتَ بالرب في كل لحظة فالرب قريب، ويظهر ذلك إذا هاجمتك التجربة فإذا دعوتَه يُوجَدُ في الحال ولو أدَّى الأمر إلى عمل معجزة أو ظهور ملاك. أما إذا كنتَ لاهياً عنه وصرختَ إليه وقت التجربة، فلن يُوجَدَ لك، ثم تُلقِي اللوم بعد ذلك على الله لأنك طلبتَه ولم تجده، والحقيقة أنك أنتَ الذي تركته أولاً.

المسيح إله حرٌّ غير مقيد حتى بمواعيده إلا للذين تمسكوا بالمواعيد، أمَّا لشخص غير مُهْتَمٍّ ولا مُتَمَسِّكٍ بمواعيد الرب، فهذا لا تفيده المواعيد شيئاً. المسيح يكون أميناً لإنسانٍ مُتَمَسِّكٍ بمواعيده ويخضع له بالحب هو يُغَلَبُ من تحننه ويدخل إلى قلبه.

المسيح قوَّة خلاصية للنفس ولا يمكن أن تُدخِلَ هذه القوة إلى قلبنا إلا إذا جاهدنا بالقوة لإدخالها، «ملكوت السماوات يُغصَّب والغاصبون يخطفونه» (مت ١١: ١٢). لا تظنَّ أن المسيح يسكن قلبك دون أن تُجاهد وتتعب وتغصَّب ذاتك بجهدٍ مستمر طويل، ربما يطول إلى سنة أو إلى شهر أو أكثر أو أقل لستُ أعلم، ولكن لا بدَّ من الجهاد والمثابرة المستمرة حتى يسكن الرب ويستريح في القلب. وعلامة ذلك أن يحسَّ الإنسان بحرارة مستمرة في القلب ويخفُّ الجهاد جدًّا. وإن كان يجاهد

أيضاً، إلا أن النعمة تحمله وتُسَهِّلُ عليه جهاده وإن قلنا إنه في الابتداء يتعب ويجاهد، وهذا أيضاً يكون بموازرة النعمة.

يوجد مَنْ يَسْرَحُ في أمور تافهة، يَسْرَحُ في الأكل والشرب، يَسْرَحُ في ما سيعمله من العمل. أليس هذا أمراً مُحْزِناً للغاية أن يترك الإنسان الرب يسوع في الداخل ويخرج خارجاً للاهتمام بأمور باطلة؟ هل تظنُّ بعد ذلك أن ينتظره المسيح في الداخل؟ أنتَ تصلي الساعة الثالثة ثم تعمل ثلاث ساعات أو أقل أو أكثر ثم تذهب لتصلي الساعة السادسة، هل تظنُّ أن الرب ما زال موجوداً في القلب ينتظرك طالما كنتَ في عملك مهموماً بالعمل فقط، وقد تركتَ الالتصاق بالرب.



عمل النعمة وجهاد الإنسان

(مُلخّص)

يظل الإنسان بعيداً عن طريق الله وأتباع وصاياه وَيَسْخَرُ منها، فتقول له: "أحب زميلك الذي يكرهك"، فيسخر منك ومن وصايا الرب، ولا يعود ينفع فيه وعظ أو توجيه. وفجأة ينتبه بطريقة ما يُعدها له الرب ربما بمرض، ربما بظلم في العمل، ربما بكلمة في الإنجيل فيرى نفسه أنه ضائع لا محالة وأنه غير مسيحي بالمرّة، فلا مناص حينئذ من أن يحبّ عدوّه.

هو يجاهد في أن يحبّ عدوه ولكنه يفشل، لأن الإنسان بإرادته وقدرته لا يستطيع أن ينفذ الوصية. فيصبر على الجهاد عالماً أن هذا هو طريق الحياة أو الموت، ويجاهد مرّةً واثنين وثلاثة بصبر وأمانة للوصية.

وفجأةً تنسكب المحبة نحو عدوّه في قلبه ويمجد نفسه أنه يعطف عليه ويحبه بلا جهاد، ويَرَى نفسه أنه مستعد لمقابلة الشر بالخير بطريقة مُدهشة عجيبة يعجب هو نفسه منها.

في الخطوة الأولى باغتنت النعمة الإنسان وهو في عناد قلبه برحمة الله، وربما من أجل صلوات إنسان يُصلّي من أجله، فكشفت له النعمة خطورة موقفه وفي الخطوة الثالثة أزرت النعمة لما رأت أمانته وإخلاصه للوصية في جهاده المستمر فأعطته أن يحب عدوه بقوة إلهية.



الحب الإلهي

البعض مِنَّا يظنّ في نفسه أنه عندما يحب الرب يسوع، أن هذا الحب هو شبه علاقة بين رجلٍ ورجلٍ.

علاقتنا مع الرب يسوع تفوق في قوّتها وأحاسيسها علاقة رجل مع امرأة أو علاقة عريس مع عروسه.

الرب يسوع عمل فينا ويعمل كل يوم كعريس حبيب جداً لنفوسنا وهو يطلب حبنا كعاشق لنفوسنا جداً.

أن نعمل علاقة عشق وحبّ مع الرب يسوع، ليس هناك ما يعوقها - من جهة الرب - بل هي حاضرة في نفس اللحظة التي تريدها وهي الآن وفي أي مكان فلو طلبته بالحب من كل القلب فسوف تجده في الحال معك وفي قلبك، وسوف يستعلن لك حبه الفائق في كل الحوادث التي تدور حولك.



فضيلة الاتضاع

الاتضاع له اتجاهان: الأول سلبى مُفسد، والثاني إيجابى وهو اتضاع المسيح.

١. الاتضاع السلبي:

وهو أن يحس الإنسان تجاه الآخرين أنه أحقر منهم وأخطأ منهم وأضعف منهم وأحطّ منهم. هذا يقود إلى صغر النفس، وهذا اتضاع مُفسد غير مسيحي وغير إنجيلي.

الإنسان لا يتضع لآخر إلا إذا أحسّ في نفسه أن هذا الآخر أحسن منه بالفعل وأظهر منه بالفعل. ولكن إذا كان الذي أمامه مثله تماماً أو أحقر منه، فكيف يحسّ بالاتضاع؟ إذاً فسيكون مثل هذا الاتضاع مُزيّفاً، لأن الحقيقة تكون خلاف ذلك، إذ يشعر الإنسان أن الذي أمامه شرير خاطئ ويحاول أن يقنع نفسه أنه عكس ذلك!

٢. الاتضاع الإيجابي:

وهو أن يأخذ الإنسان كل ما للمسيح من اتضاع بالإيمان. واتضاع المسيح هو تخلّيه عن قوته ومجده وتنازله عن كل ما له، «إذ كان في صورة الله لم يحسب حِلْسَةً أن يكون مُعادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وُجدَ في الهيئة كإنسان وَضَعَ نفسه، وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في ٢: ٦-٨).

فأنا إن كنتُ أخذتُ المسيح بالإيمان، فأنا أخذتُ صفات المسيح وفكر المسيح، فكيف أنكر كل هذه المواهب؟ كذلك أخذتُ أيضاً اتضاع المسيح.

اتضاع المسيح هو، بالنسبة لله، أن يشعر الإنسان بالفرق الشاسع بين الجُبلة وخالقها. هذا هو الاتضاع الإلهي الحقيقي، لذلك فهو نوع من العبادة لله وموجّهة نحو الله.

الاتضاع الإيجابي الإلهي يجعلني أعامل أخي أن أكون متضعاً له من

أجل الله، ولا يتدخل في ذلك حالة الإنسان الذي أمامي سواء كان قديساً أو شريراً، واضعاً في نفسي أن أكون متضعاً في كل وقت أمام الله. الله أجرى طقس غسل الأرجل وأمرنا أن نعمل ذلك بعضنا لبعض، وهذا دليل على أن الاتضاع أمر إلهي ووصية إلهية، نحن ملتزمون بها حتى يعالج الرب كبرياء الإنسان.



سرُّ نجاح الكنيسة الأولى

(فبراير ١٩٦٧)

عاش المؤمنون في الكنيسة الأولى كنيسة الرسل في بساطة الإيمان العملي بالرب يسوع كفاً وإله. آمنوا بحميته الثاني وقرب زوال الأرض وما عليها، فأسرع كل واحدٍ بسبب ما عنده من أملاك ووضع أثماتها تحت أرجل الرسل، والبعض ترك زوجته، وأهملوا جداً في الأمور الأرضية واهتماماتها، مُتوقعين في كل لحظة الانطلاق مع المسيح إلى السماء. في غمرة هذه المشاعر الروحية التي كان يعيش فيها المؤمنون غير مُبالين بحياتهم الأرضية كان الروح القدس ينطق على أفواههم ويعمل بقوة على أيديهم بالرغم من ضعفهم وجهالتهم.

فإن كُنَّا نسأل عن الفرق في السلوك بيننا وبينهم، نجد أنه بالنسبة لضعف الطبيعة البشرية ليس هناك أي فرق، فهم مثلنا تماماً في كل ضعفاتنا ولكن بالنسبة للحياة الأبدية فكان لهم هذه النظرة المُحدّدة، نجد أنّهم نالوا ميراثهم الأبدى وهم على الأرض وكانوا كالملائكة يُسبِّحون معاً بنفس واحدة وفرح عظيم.

العيب كل العيب في حياتنا أننا ظللنا سنوات طويلة نخلط بين الحياة الأرضية والحياة الإلهية، خلطنا بين المسيح وبين أكلنا وشربنا وأعمالنا الأرضية ومشاكل الكنيسة وأهواء قلوبنا. لا بد أن يكون هناك خط واضح في حياتنا بين المسيح والعالم بين الحياة الإلهية والحياة الأرضية التي نمارسها كالخط الذي يفصل النور عن الظلمة.

كُنَّا نظن قبلاً أنه يُمكن أن نستمر في عبادة الله ونحن نُؤدّي أعمالنا الجسدية. هذا خطأ. عبادتنا الروحية لا بد أن تميّزها على كل أعمالنا الجسدية. العمل الجسدي عمل، والصلاة صلاة.

لا بد أن نُغلب الروح على الجسد، والمسيح على العالم، ولا نستخدم الروحيات والإلهيات في خدمة أمورنا الجسدية.

ربما يسألني أحدٌ قائلاً: إني خرجتُ من العالم ورفضتُ أهلي وأجائبي
وها أنا أصوم وأصلي لله كل يوم، ألا يكون هذا علامة واضحة وخط
فاصل يُبين أنني غلبتُ الروح على الجسد؟ أحييك أنه ممكن جداً أن تفعل
كل هذا ولكنك تكون ما زلتَ مُنحازاً للعالم والجسد دون الله.

يُوجد اختبار يُوضِّح انحيازك الكلي لله. هَبْ أنك تعمل أي عمل
مهما كان مهماً وخطيراً كأن تطبخ أو تبيخ أو تكنس أو تزرع، وحدث
لكَ رعشة إلهية في كيانك بخصوص حياتك الأرضية وزوالها، سواء كان
بالنسبة لزوال العالم والعمل الذي تعمله وزوال جسدك، وصعُر العالم
الذي تعيش فيه حتى صار في عينيك لا شيء، وكبُر جداً العالم الآخر
حتى غطى كل أفكارك، وأسرعت وانطرحت أمام الله مُستجيباً لجذب
السماء مُنحازاً بالأحرى إلى الحياة الإلهية الأبدية دون الجسدية غير مُبال
إن كان في ذلك ضياع كرامة أو زوال مجد أرضي أو فقدان راحة
جسدية أو تعرض لجوع أو عطش أو مرض. فإن كان عندك مثل هذه
الاستجابة السريعة، فأنت بلا شك مُنحاز إلى الله بكلِّيتك ومُهياً لكي
يعمل فيك الروح القدس بكل قوّة.

البعض منّا خرج من العالم إلى الرهينة وهو ما زال مربوطاً بروابط
أرضية خطيرة جداً تُهدد حياته الروحية، كأن يكون له تعلق بمحبة أم أو
أب أو حنين لبيت أو مدينة أو كنيسة مُعيّنة أو خدمة أو تمسُّك بشهوة
طعام أو شراب كان يحبه في العالم. هذه كلها روابط شديدة تستطيع أن
تجذب الإنسان إلى الأرض، فإن لم يقطع الراهب هذه الروابط فلن ينطلق
مهما جاهد في الصلوات والأصوام وانقطع في البرية عشرات السنوات.

علاقتنا بالأهل لا بد أن تكون واضحة لنا، هل ما زال يصعد على
قلبك ذِكر أهلك وأهلك وإخوتك، أم أن هذا الموضوع لا أثر له عليك
بالمرة حتى ولو قالوا لك إن واحداً منهم قد مات.

علاقتنا بالكنيسة لا بد أن تكون أيضاً واضحة لا يؤثر فيها ما عمله
فينا الرؤساء من شرٍّ أو خيرٍ.

يسألني أحدكم: "كيف أشعر بحضرة الرب في الصلاة؟" أقول له: "موتت حضرتك وحضرة العالم، تجد نفسك طبيعياً في حضرة الرب بغير تكلف"، أي موتت ذاتك وشهواتك الجسدية، واقطع الروابط التي تربطك بالعالم، تجد نفسك في حضرة الرب بلا مانع ولا عائق. فليس ممكناً أن تُوجد في حضرة الرب وما زالت حضرة ذاتك وحضرة العالم موجودتان. كثيرون يحاولون عن طريق التداريب الروحية أن يُقنعوا أنفسهم بالوجود في حضرة الرب من غير أن يُغيروا حياتهم، هذا خطأ وخداع. عندما شَعَرَ أنبا أور بهذه الرعشة الإلهية التي افتقدته وهو يعمل في الطين مع تلاميذه في الحال تركوا العمل وانطلقوا إلى قلايهم مُنحازين إلى جذب الروح ولم يتباطئوا أو يُوجِّلوا، فأثبتوا أنَّهم مُنحازون إلى الله دون ذواتهم ورغبة أجسادهم.

ربما تسألني: ألم يأكلوا بعد ذلك وناموا ويعملوا؟ أقول: نعم، كانوا يأكلون ويشربون ونامون، ولكن في ساعة الاختبار أثبتوا أنَّهم في جانب الله دون الجسد.

عندما تكون مُعتكفاً في القلاية لا يظهر لك بوضوح نتيجة هذا الاختبار، لأنه لا يوجد في القلاية أعمال جسدية هامة، أما خارج القلاية في وسط العمل والخدمة فيمكن بوضوح اكتشاف مدى انحيازك إمَّا للجسد والذات والعالم أو لله والحياة الأبدية.



منابع الطقس الكنسي القبطي (مُلخَّص)

٢٠ مارس ١٩٦٧

نسمع عن الرب يسوع أنه كان يُعلِّم في الهيكل ويتمشَّى في الهيكل وأنه دخل الهيكل وقَلَبَ موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام قائلاً: «بيتي بيت الصلاة يُدعى» (مت ٢١: ١٣). الرب يسوع كان يُحِبُّ الهيكل جداً وكان يُقدِّسه وكان يصلِّي فيه مع تلاميذه. وهذا لا ينفى أنه قال لهم أنه لا يبقى فيه حجرٌ على حجرٍ إلاّ ويُنقَضُ، بسبب سلوك اليهود الشرير. فالله لا يَهْمُهُ الهيكل في ذاته ولا الذبائح في ذاتها ولا الصلاة في ذاتها ولا عمل الوصايا في ذاتها، ولكنه يَهْمُهُ القلب والنية المعمول بها العبادة والصلاة، يَهْمُهُ طاعة الإنسان في تميم الوصايا مهما كانت الوصايا بسيطة.

فالرب يسوع أظهر بسلوكه ما يجب أن يعمله الرجل اليهودي التقى تجاه الهيكل، وسلِّم هذا الشعور المقدَّس إلى تلاميذه، فكانت الكنيسة الأولى تُقدِّس الهيكل وتُصلِّي فيه بعد صعود الرب، وتُتمِّم فرائض الصلاة فيه من جهة مزامير وتساييح وحضور صلاة رفع البخور في باكر وعشيَّة، لأنَّها لم تكن من صنع الإنسان بل بأمر إلهي. أما الصلوات والطقوس الرمزية التي كانت تُشير إلى المسيح فقد استبدلوها بالمسيح نفسه، فصارت عبادتهم الجديدة مُطعممة بشخص المسيح، يعبدون حسب الطقس المُسلَّم من الله الذي أجراه المسيح بنفسه. ولكن الأمور النافلة من جهة تطهيرات وغسل أباريق التي تكلم عنها المسيح أنَّها وصايا آباء ولا تنفع، فهذه أبطلوها.

فكانت العبادة المعروفة في الهيكل من تساييح وصلوات ورفع بخور باكر وعشيَّة ومزامير وأصوام وأسهار هي أساس العبادة في الكنيسة الأولى، حتى أننا نلاحظ أن اليهود كان عندهم في صلاة عشية وباكر

١٨ بَرَكَة (بَرُوكِيَة)، تُقال على كل الأشياء التي يعيش فيها وبها الإنسان. كلمة "بَرَكَة" تعني تقديس، فكانوا يُقدِّسون الأشياء كلها لله: والله بَارَك الأهوِيَة، بَارَك المِيَاه، بَارَك الزَّرُوع، بَارَك البيوت، بَارَك الحيوانات، بَارَك المَحَاصِيل.

وهذا ما نلاحظه في صلوات عشيَّة وباكِر في الكنيسة القبطية حتى أن الكاهن يبدأ هذه الأواشي بكلمة (ψᾶλ εὐλογοεσθ) لشريكه الكاهن الآخر أو (ψᾶλ εὐλογοετε) إذا كان أكثر من كاهن آخر، ومعناها "بارك أنت" أو "باركوا أنتم"، أي أن مفهوم الصلاة كلها هو أن يبارك الكهنة على كل شيء ليتقدَّس للرب. أليس هذا هو نفس مفهوم العبادة الأولى في الهيكل.

يظن البعض أنه في أيام المسيح كان شعب إسرائيل في فتور روحي. كلا، كان الشعب حاراً يسأل دائماً: «كيف أخلص»؟ «كيف أرث ملكوت الله»؟ «أية وصية هي العظمى»؟ (أع ١٦: ٣٠، مر ١٠: ١٧؛ مر ١٠: ١٧؛ مت ٢٢: ٣٦). والإحصائيات المعروفة في ذلك الوقت عن وجود مجامع في أورشليم التي كان اليهود يصلون فيها كل عشيَّة غَيْر الهيكل كانت تبلغ حوالي ٤٠٠ مجمع. فإذا عرفنا أن تعداد أورشليم في ذلك الوقت كان حوالي ٦٠٠ ألف نسمة والهيكل نفسه كان يسع حوالي ١٢٠ ألف نسمة، نعلم مَدَى غيرة اليهود في ذلك الوقت في العبادة، والمسيح نفسه كان يذهب مع التلاميذ إلى مثل هذه المجامع ويتحدَّث فيها إلى الشعب.

تعالوا معي لترى ما كان يجرى في مصر في فجر ظهور المسيحية علي أيدي القديس مرقس الرسول. كان يُوجد أولاً جالية يهودية تقيَّة جداً عارفة بالأسفار الإلهية ومتمسكة بالعبادة وتُجيد اللغتين العبرية واليونانية، وكانت عندهم الأسفار مترجمة إلى اليونانية، وكان منهم جماعة الأسينيين المتعبدين في البرية حول بحيرة مريوط (ميرا)، هؤلاء وصفهم فيلو المؤرخ اليهودي في ذلك الزمان ولم يشأ أن يُظهر أنهم مسيحيون ولكنه طوَّبهم

جداً بسبب حياتهم وعبادتهم. هؤلاء كانوا أولاً يهوداً ثم قبلوا الإيمان المسيحي على يد مرقس الرسول، فانتقلوا بعبادتهم الإلهية ودخلوا المسيحية على نمط يهود أورشليم الأتقياء، فنقلوا تراث العبادة الثمين معهم ولم يخترعوا شيئاً من ذواتهم، أما ما كان رمزاً للمسيا فقد فكَّوه وأبطلوه. فبدأت المسيحية في مصر على أساس طقس إلهي متين جداً وعلى أساس المزامير والتسابيح والأسفار الإلهية. ولما كانت هذه الأسفار مترجمة في ذلك الزمان إلى اليونانية، أخذها منهم الأقباط المصريون واستلموها بسهولة وساروا على نهج عبادتهم بكل دقة.



الألحان في العبادة

العريف الذي يُقدّم في الصلاة اللحن بروح الصلاة والعبادة الحقيقية هو في الواقع يُقدّم ذبيحة ثمر شفاه (عب ١٣ : ١٥)، ويُقدّم ذاته مع اللحن بتقديمه آخر ما عنده من قوّة ومعرفة وأحاسيس وتوسُّل. الشماس المُتضع لا يُظهر ذاته في الخورس على إخوته ولا يتعاجب بصوته، ويقدر ما يترك نفسه ينساب في اللحن مع إخوته يشعر بفرحة عظيمة جداً، لأن الروح يستريح فيه ويصلى على لسانه.

فالألحان والتساويح على هذه الصورة عندما تُقدّم بروح الجماعة تُلاشي الذاتية، وهذا هو مفهوم الذبيحة، لأن الإنسان عندما يقف أمام الله يحتاج إلى ذبيحة تفديه من الموت. فكان الإنسان قديماً يُقدّم الخروف فتنتقل خطية الإنسان من ذاته إلى الذبيحة التي ستموت ويتبرّر هو، فجاء المسيح وأكمل هذه الفدية، فمفروض أن يحتفظ المؤمن بعمل فدية المسيح بالاتضاع والعبادة الحقيقية القلبية وتقديم أحسن ما عنده.



أثر التعاليم الأوريجانية في العبادة المسيحية الفردية (مُلخَّص)

٢١ مارس ١٩٦٧

المسيحية ظهرت في العالم في صور مختلفة، فالصورة الأولى في أورشليم في صورة ترك كلّي لكل شيء وأتباع الكنيسة، فكان الرجل يترك بيته وزوجته وأولاده ويتبع الرسل، ويُلقى بأمواله ومقتنياته عند أرجل الرسل، ويأتي للكنيسة للعبادة والصلاة مُعْتَمِداً على أن الكنيسة ستتكفل باحتياجاته الجسدية والروحية مُنتظراً ومُتوقِعاً بيقين شديد مجيء الرب يسوع. تصوّر أن يهودياً يترك أمواله ومقتنياته!! (كان مشهوراً عن اليهود تمسُّكهم الشديد بالمال)، هذا دليل أكيد على التغيير الكامل. فكانت الكنيسة تنمو وتزيد في العدد وفي الغيرة، وكانوا يأكلون ويشربون معاً بفرح وبساطة قلب. في الواقع كانت هذه الحياة حياة رهبانية محضة.

لما زاد العدد جداً اضطرت الكنيسة أن تمنع الناس عن ترك الأهل والأموال، وقالت لهم: إلزموا بيوتكم واستبقوا أموالكم واعبدوا الرب بفرح واجعلوا الترك هو ترك القلب من جهة الأهل والمقتنيات.

هذه البذرة المقدسة لم تُمت، ولو أنّها اختفت قليلاً، إلاّ أنّها ظهرت في عصر الشهداء بعد حوالي ١٥٠ سنة في صورة شهادة للمسيح في جماعات كثيرة بالمئات والألوف في جميع أنحاء العالم. فكان أقوى مظهر للمسيحية العملية الحقّة التي فيها يفرح المسيحي جداً أن يترك ليس أهله ومقتنياته فقط بل وجسده أيضاً ليُقتل بأشنع الطرق لكي ينطلق إلى المسيح.

انتهى عصر الشهادة بالدم. وإذا بنفس البذرة تبنت وتظهر بصورة أخرى رائعة للمسيحية الحقّة وهي الحياة الرهبانية في الأسقيط بصورة

غامرة. فنجد آلافاً من الرهبان في الأسقيط في نهاية القرن الرابع. وفي ظرف سنوات قليلة، حوالي ٢٥ سنة، كانت الرهبة قد وصلت إلى ربوع أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا بصورة مُبدعة. وكان الآباء يتفننون في أن يبذلوا أجسادهم بالجوع والعطش والفقر الشديد والنسك حُباً في المسيح، حتى اعتُبرت الرهبة صورة أخرى من صور الاستشهاد لأن المُستشهد يستشهد مرّة واحدة، أما الراهب المُجاهد ضد الجسد والشيطان فهو يستشهد كل يوم، أي يموت موتاً بطيئاً.

هذه هي صور المسيحية الثلاثة القوية التي تجلّت فيها الشهادة الحقيقية للمسيح. ولكننا نسمع عن ظهور مدرسة جديدة للاهوت تسمى مدرسة الإسكندرية، وهذه المدرسة كانت تُعلّم وتُفسّر الكتب المقدسة وتُلَقِّن المسيحية في صورة معرفة، وكانت هذه بداية الخراب في المسيحية والانحراف عن مفهوم المسيحية البسيط العملي.

المسيحية البسيطة العملية تعتمد على تنفيذ وصية الإنجيل بغير هدف سوى طاعة الله الذي قال الوصية، فكان المسيحي ينال نعمة وفرحة في تميم الوصية، لأن المسيح نفسه يُظهر له ذاته «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يُحِبُّني، والذي يُحِبُّني يُحِبُّه أبي، وأنا أُحِبُّه، وأُظهِرُ له ذاتي» (يو ١٤: ٢١). فكانت الكنيسة الأولى في حالة روحية عالية جداً وكذلك الشهداء والرهبنة الأولى بسبب تميم الوصايا ببساطة وإيمان.

أتت مدرسة الإسكندرية لتُفسّر الوصايا عقلياً، وكان أوريجانوس هو الشخص الخطير في هذا المضمار.

أوريجانوس تَرَبَّى في المدرسة الوثنية الإسكندرية مع أفلوطين [أو أفلاطون الجديد في القرن الثاني]، وكان الأخير ينادى بتعاليم أفلاطون الوثني بصورة مُحَوَّرة جديدة.

نادى أفلوطين بتعاليم روحية مُلَخَّصها أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى الله عن طريق العقل إنما في صورة مراحل عملية يسعى بها بجهد الشخصي، وهذا يؤهِّله في النهاية للوصول إلى الله عقلياً والاتحاد به.

كان هذا المنهج الفلسفي الوثني يتضمّن ٣ مراحل :

١- مرحلة التطهير من الخطية جسدياً وعقلياً.

٢- مرحلة التأمل.

٣- مرحلة الاتحاد بالله.

طبعاً بالنسبة للعقل فهذه التعاليم كانت تُبهر أي إنسان جداً، وهي في الواقع لذيدة وجميلة وتستهوِي جداً العقلايين، وقد تأثّر بها كثيرون من اللاهوتيين والقديسين أيضاً. فأوريجانوس تأثّر بهذا المنهج الوثني فنقله لمدرسة الإسكندرية التي كان يرأسها ولكنه مَسَحَه بوضعه في قالب مسيحي بإضافة كلمة "النعمة" و"المسيح" وبعض آيات من الكتاب المقدس.

هذا المنهج يعتمد على قدرة الإنسان على الوصول إلى الله كأن الله مُثَبَّتٌ في نقطة ونحن نصل إليه! مع أن الله هو الذي أتى إلينا، أما نحن فلا نستطيع بقدرتنا أن نصل إليه. هو أتى إلى العالم ليخلص الخطاة وهو الذي دعانا إليه بابنه يسوع المسيح.

هذا المنهج العقلائي ليس للنين بل هو للخارجين، فهم يجترئون على الوصول إلى الله دون دعوة (عن طريق غير الإيمان بالمسيح). نحن لا نستطيع أن نقرب إلى الله الآب إلا عن طريق المسيح.

تسألني: وهل هم يصلون إلى الله؟ أقول لك: نعم يصلون، لأن العقل هبة إلهية وله إمكانيات إلهية في الوصول إلى الله، فهم يستخدمون العقل للوصول ويصلون بالفعل ويرون أموراً إلهية ويتعزّون، ولكن بكل أسف يرتدّون ثانية إلى حيث كانوا أولاً يتعب شديد بسبب الجهد الواقع على النفس، ولا يستطيعون أن يثبتوا في المجال الإلهي لأن هذا لا يتم إلا بالمسيح.

المنهج الأوريجاني في صورته الظاهرية يظهر كأنه مثل المنهج الآبائي البسيط، فهم يصومون ويصلّون وينفّذون الوصايا تماماً، ولكنهم ينفّذون

الوصايا للوصول إلى هدف. هذا الهدف هو التأمل في الإلهيات وإشباع العقل في معرفة أمور خفية عالية ثم أخيراً الاتحاد بالله.

أما المنهج الآبائي فهو يعمل الوصية ليس لهدف إلا فقط لأن الرب أمر بالوصية، ولا يزيد عليها. هو يُصَلِّي كل حين لأن الرب أمر بالصلاة كل حين، هو يصوم لأن الرب أمر بالصوم، فقط ولا يزيد على ذلك شيئاً.

في المنهج الأوريجاني يصوم الإنسان ويصلي ويتنسك بهدف الوصول إلى الله. أما المنهج الآبائي فيقول: أنت ابن الله بالإيمان بالمسيح لذلك فأنت تصوم وتصلي وتتسكك حباً في المسيح الذي أمرنا أن نصوم ونصلي ونتسكك، فنحن نعمل وصاياه لأننا نحبّه كما قال هو: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبّه أبي، وأنا أحبّه، وأظهر له ذاتي» (يو ١٤ : ٢١).

المنهج الأوريجاني يسعى لتثبيت الذات وتأليهها، والمنهج الآبائي يلاشي الذات لأن تتميم الوصايا طاعة لله فقط من شأنه أن يجعل المسيح محلّ مكان الذات «إن أحببني أحد يحفظ كلامي، ويحبّه أبي، وإليه تأتي وعنده تصنع منزلاً» (يو ١٤ : ٢٣). فالذي يعمل وصايا المسيح من غير أي هدف سوى طاعة الله، هذا يدل على أن هذا الإنسان يجحد ذاته ويطلب أن محلّ المسيح محلّ ذاته.

الذي يسلك بالمنهج الآبائي ممكن جداً أن يعطيه الله كل العطايا الروحية التي يسعى إليها الذي يسلك بالمنهج العقلي ولكن في صورة هبة. فالذي يسلك بالوصايا طاعة للرب بأمانة، ممكن جداً أن يمنحه الرب فترات تأمل مقدّسة كهبة من غير أن يسعى هو إليها بمجهوده الشخصي، وهكذا الاتحاد بالله يأخذه كهبة وبقية الفضائل. فهو يحصل مثلاً على الاتضاع كهبة مجانية من الله، وهكذا.

المنهج الأوريجاني مثلاً يقول: أسلك بالاتضاع الذي يوصلك إلى الصوم والتسكك، ومن هنا تستطيع أن تدخل مرحلة التأمل في الإلهيات.

أما المنهج الأبائي فيقول: صُمّ طاعةً لله فقط فيمنحك الله التواضع كهبة من عنده مَجَانًا لا ثمنًا لصومك، لأنك مَهْمَا صُمتَ وأذبتَ جسدك بالجوع والعطش فهذا لا يمكن أن يكون ثمنًا لهبة روحية.

بكل أسفٍ يُوجد آباء عظام روحانيون سلكوا في حياتهم بسلك روعي إنجيلي صحيح ولكنهم عندما أرادوا أن يكتبوا كتبًا روحية اضطروا أن يرجعوا إلى هذا المنهج العقلي، فانحرفوا إذ اعتمدوا في كتاباتهم على "الدرجات" و"المراحل" للوصول إلى الله مثل ما إسحق ويوحنا التبائسي ويوحنا السلمي مع أنه ظاهر في حياتهم الشخصية أنهم لم يسلكوا بهذا المنهج العقلي بل تمموا وصايا الإنجيل بكل بساطة حبًّا في الله ونالوا المواهب الإلهية دون أن يسعوا إليها.

أما الذي نقل هذا المنهج إلى الإسقيط فهو أوغريس (إيفاجريوس)، وكان ذا عقلية جبارة، استطاع أن يُوقع هذه المراحل في صورة رهبانية عملية، فخدع كثيرين، واستهواهم هذا المنهج الدقيق، فتلوّث الحياة الرهبانية البسيطة من تلك الساعة، إلا أن الآباء الشيوخ المعاصرين حاصروه، فاضطر لترك الإسقيط فشجبا تعاليمه وحرقوا قلايته قائلين أن فيها شيطانًا.

ليست المسيحية تلذذات عقلية أو تعزيات وقتية أو مشاعر مفاجئة يحسُّها الإنسان، كما تظهر الآن في طريقة جميع الطوائف البروتستانتية وجمعيات خلاص النفوس في عظائمهم ومفاهيمهم عن الخلاص.

المسيحية تتميم للوصايا طاعةً لله الذي يمنح مواهبه الروحية لأولاده كما يريد وكما يشاء هو، وليس نحن، وفي الوقت الذي يراه هو مناسبًا.



طقس رفع بخور عشية وباكر

(مُلخَّص)

مارس ١٩٦٧

كانت الصلاة تُقدَّم في الهيكل اليهودي عشيةً وباكر، وهي عبارة عن تبريكات يقولها الكاهن لتقديس كل شيء في الخليقة، وكان عددها ١٨ بَرُوكية.

في نظرهم أن الشيء إذا بُورك فهو يتقدَّس للذي باركه، فإذا بارَكنا على الهواء صار مقدَّساً لنا، وإذا بارَكنا على الزروع والمياه صارت مقدَّسة لنا، وهكذا.

ثم يقولون أخيراً: "مبارك الرب الذي أعطانا التوراة"، أي إذا بارَكوا على الله صار لهم إلهاً مُخصَّصاً. «ولأجلهم أقدِّس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مُقدَّسين في الحق» (يو ١٧ : ١٩).

يُلاحظ أنه في صلاة رفع بخور عشيةً وباكر، يقول الكاهن الخدم في أولها للكاهن الشريك الموجود: $\omega\lambda\lambda\ \epsilon\tau\lambda\omicron\sigma\epsilon\sigma\omicron\iota\omicron\iota$ أي "بارك أنت"، وإذا كان هناك مجموعة من الكهنة: $\omega\lambda\lambda\ \epsilon\tau\lambda\omicron\sigma\epsilon\tau\epsilon$ أي "باركوا أنتم"، وهو نفس المفهوم الذي كان في الطقس اليهودي.

ويُلاحظ أنَّهم كانوا يشكرون أولاً ثم يباركون فيصير موضوع الشكر مقدَّساً لهم، وهذا هو نفس الطقس الذي أجراه المسيح في سرِّ الإفخارستيا [شكْرٌ ثم بارَكْ]، أي أن المسيح استخدم الصلاة وقراءة الباروكية الخاصة بالخبز بحسب الطقس اليهودي فصار الخبز جسده. أليس هذا عجباً!!! ومنه أخذت الكنيسة ترتيب سرِّ الإفخارستيا.



حضور القداس

الذبيحة الإلهية عندنا مُحصرة في وقت القداس فقط، وقلما يُوجد مَنْ يفعل بها في حياته اليومية، أي يظل في شركة مع الرب ومع إخوته طول النهار. ومع ذلك قلما يُوجد مَنْ يفعل بالذبيحة وقت القداس، بل بالنادر مَنْ يحسُّ فينا بحضرة الرب يملأ الهيكل والمُخلِّص بنفسه هو الذي يقول: "خذوا جسدي.. خذوا دمي".

لو أحسنا أن الرب نفسه هو الذي يعطينا جسده ودمه، فأَيُّ فرح يكون لنا وقت القداس. ولكن قلما يحدث ذلك، فلذلك نحضر القداس كواجب وطقس فتضيع علينا بركاته.

الذبيحة الإلهية هي الطريق العملي في ربط أعضاء المسيح بالحب. أقوى طريق للشركة العملية بعضنا مع بعض بالحب هو اشتراكنا كل يوم بفرح في الذبيحة الإلهية وفي مائدة الأغابي التي بعد القداس. هكذا كان يعيش أبائنا الأولون في الكنيسة الأولى أيام الرسل، إذ كانوا يكسرون الخبز معاً بفرح وبساطة قلب في البيوت.

الكاهن في القداس وقت المزامير لا بد أن يقول مزاميره بصوت شبه مسموع كإعلان عن الصلاة، وكذلك الشماس.

الكاهن والشماس والعريف يُقدِّمون للمُصلِّين شخص المسيح بصلواتهم وروحهم، فكَم يكون حرصهم ويقظتهم وغيرتهم وحرارتهم في الصلاة.



الاشتراك في سرِّ التناول

لا يجوز للمُصلِّين الحاضرين القداس الإلهي أن يمتنعوا عن التقدُّم إلى التناول من السرِّ المقدَّس، والذي يمتنع يُفرِّز ويُعاقب لأنه يُسبِّب سَجَساً (تشكُّكاً) في الكنيسة.

سرِّ التناول أُعِدَّ للحاططين وليس للأبرار، فليس هناك أي عُذر لمن

يَشْعُرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ.

الذي يَمْنَعُ عَنِ سِرِّ التَّائُلِ هُوَ الأَبُ الرُّوحِي، وَهَذَا يُقَرِّرُهُ كَنُوعُ مِنَ التَّأْدِيبِ لِلْمُؤْمِنِ، كَأَن يَكُونُ مُتَكَبِّراً أَوْ مُعَانِداً أَوْ مُتَهَاوِناً. الخ.

يَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَن يَمْتَنِعَ عَنِ سِرِّ التَّائُلِ إِذَا كَانَ فِي قَلْبِهِ غَضَبٌ أَوْ حَقْدٌ أَوْ دِينُونَةٌ تَجَاهَ أُخِيهِ وَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنَ الاعْتِرَافِ أَمَامَ الأَبِ الرُّوحِي فِي حَالَةِ غِيَابِهِ.

الاحتلام الليلي لا يَمْنَعُ مِنَ التَّائُلِ إِذَا ضَرَبَ الرَّاهِبُ ٥٠ مَطَانِيَةَ، وَهَذَا قَانُونُ الكَنِيسَةِ.

ملاحظة: يُلاحَظُ أَنَّ الشَّمْسَاسَ يَقِفُ دَائِماً عَنِ يَمِينِ الكَاهِنِ فِي الهَيْكَلِ وَخَارِجِ الهَيْكَلِ.



تَحذِيرٌ بِخُصُوصِ النُّظْمِ وَالتَّرْتِيبَاتِ الكَنِيسِيَّةِ

مارس ١٩٦٧

أَحذَرُكُمْ بِاسْمِ المَسِيحِ أَن لا يَحَاوِلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَن يَخْتَرِعَ شَيْئاً جَدِيداً فِي الطَّقْسِ أَوْ يُغَيِّرَ كَلِمَةً بَدَلاً مِنْ كَلِمَةٍ يَرَاهَا أَنَّهَا أَدْقُ أَوْ أَحْسَنُ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ عَمَلِ الكَنِيسَةِ. وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَا عَمَلْتُهُ أَنَا فِي نِظَامِ صَلَاةِ الأَنْتِيفُونَا (مِزَامِيرِ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ) كَأَنِّي مُخْتَرِعٌ. إِنَّ ذَلِكَ كَلَّفَنِي كَثِيراً جَدّاً مِنَ البَحْثِ وَالتَّدْقِيقِ مَعَ الصَّلَاةِ الحَارَّةِ وَالتَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى مَا أَتَمُّ تَرُونَهُ. فَإِن كَانَ وَلا بَدَأَ مِنْ تَغْيِيرِ شَيْءٍ فِي الطَّقْسِ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي عَدَمِ وَجُودِي وَتَكُونُ أَنْتَ أباً مُسْئِولاً مَعَ البَحْثِ الدَّقِيقِ وَالصَّلَاةِ الحَارَّةِ.

كُلُّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ فِي الخَوْلَاجِيِّ نُصَلِّيهِ وَلا نُغَيِّرُ فِيهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ فِي الأَجْبِيَّةِ وَالأَبِصْلُمُودِيَّةِ نُصَلِّيهِ وَلا نُغَيِّرُ فِيهِ، حَتَّى إِذَا تَنَبَّهْتَ الكَنِيسَةَ إِلَى شَيْءٍ وَغَيَّرْتَهُ نُغَيِّرُ نَحْنُ مَعَهَا.



تأملات في العهد القديم (مُلخَّص)

الرؤيا التي ظهرت في سفر الرؤيا أن ابن الإنسان مُتَمَنِّطٌ بِمِنطِقَةٍ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى صَدْرِهِ (رؤ: ١٣)، هذه إشارة إلى أن الرب يسوع في خدمته الآن يعمل كرئيس كهنة، لأن هذه المنطقة التي على الصدر كان يلبسها رئيس الكهنة وقت الخدمة في العهد القديم، وكذلك الآن يلبس رئيس الكهنة البِلِين (طوله ١٢ ياردة) الذي يربطه على صدره ويلف نفسه به.

رئيس الكهنة كان يمتحنه مجلس السنهدريم كل سنة قبل العيد في تقدم ذبائح الكفارة، لأن الطقس كان صعباً جداً. مجلس السنهدريم كان مُكوَّناً من كهنة وعلمانيين، وهم المُتعلِّمون الشريعة ويُعتَبَرُونَ العُلَمَاءَ فِي إِسْرَائِيل.

الكهنة الخدام في الهيكل كانوا ١٢ فرقة، ولكن كان لهم احتياطي ١٢ فرقة أخرى (وهذه توافقت الرؤيا في سفر الرؤيا: ٢٤ قسيساً). الكاهن هو الشخص المدعو من الله لكي يُقدِّس الشعب لله، وقد أخذ هذا السلطان من الله.

إذا رشم الكاهن الخبز والخمر صاراً في الحال جسد ودم عمانوئيل، وهذا بسلطان المسيح نفسه الذي اختار الكاهن لهذه الخدمة.



عمل أب الاعتراف أو المرشد

(مُلخَّص)

١٩٦٧ / ٣ / ٢٣

يجب أن نعرف أن عمل المرشد أو أب الاعتراف هو أن يُرشدني إلى النور الذي فيَّ. إن لم أجد صدق لكلام المرشد في داخلي، فلا يكون الإرشاد صحيحاً ولا يكون أب الاعتراف مُسترشداً بروح الله.

نحن جميعنا مولودون من الروح القدس ولنا مسحة الروح القدس التي تُعلِّمنا كل شيء. كل واحد فينا فيه النور، فيه المسيح، فيه الحياة الأبدية. والحياة هي نور الناس، فلا يُمكن أن يكون النور الذي في المرشد شيئاً آخر غير النور الذي فيَّ. يجب أن أصدق بكل قلبي على النور الذي في المرشد. يجب أن أحسَّ أن الكلام الذي يقوله لي المرشد هو هو بعينه الكلام الذي في داخلي وهو قد أظهره لي بوضوح.

إذا لم أحسَّ في داخلي بصدق الكلام الذي يقوله المرشد، فالمرشد يتكلم من ذاته وليس من الله.

المرشد الذي يُرغم الإنسان على اتباع تعاليمه بالرغم من عدم إحساس الإنسان بصدق هذه التعاليم في قلبه، فهو يجترئ على نفس الإنسان ويريد أن يُشكّلها ويصوّرَها حسب مزاجه.

حتى مُهمّة الكتب الروحية والإنجيل نفسه بالنسبة للإنسان الروحي هي إظهار النور الذي في داخله لكي يسير عليه الإنسان سيروا ما دام لكم النور لئلا يدر ككم الظلام (يو ١٢: ٣٥).

"المسيح نور العالم" (يو ٨: ١٢)، و"النفس سراج الله" (ارجع اصم ٣: ٣)، «إثبتوا في وأنا فيكم» (يو ١٥: ٤). فالنور موجود داخلنا، نحن في حاجة إلى مَنْ يرشدنا إلى النور الذي في داخلنا. الخطية تُعمينا وتفصلنا عن النور الذي في داخلنا.

المسيح موجود فينا بالرغم من خطايانا، "الرب مع جميعكم" كما يقول القداَس. والخطية تجعلنا بأيدينا نحجب (نُعَمِّي) عيوننا عن المسيح الذي فينا.

جوهر الخطية سَحَقَه المسيح، فلم تُعَد الخطية لها سلطان علينا إلا بقدر ما مُلِكها نحن بإرادتنا على أنفسنا، لأن المسيح النور الحقيقي قد حلَّ في داخل نفوسنا. فالذي يخاف من الخطية ويستسلم لها بإرادته كمن يضع يديه على عينيه فينحجب عنه نور المسيح ثم يحاول أن يبحث عنه فلا يجده، ويرفع نظره إلى السماء ويصلِّي بدموع ويقول: لماذا تركتني يا رب؟ أين أنتَ يا يسوع؟ مع أن المسيح في الداخل ينتظر رجوعه إليه. وهل يُمكن أن يترك خليقته التي صَوَّرها وفداها بدمه؟

قال الرب يسوع: «لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية، ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية» (يو: ٩: ٤١). «لدينونة آتيتُ أنا إلى العالم حتى يُبصر الذين لا يُبصرون ويعمى الذين يُبصرون» (يو: ٩: ٣٩).

المسيح هنا كَشَفَ لنا هذا السرَّ العجيب، فإن الذي يستطيع أن يَرى نور المسيح في داخله هو الذي سبق أن أحسَّ بالفعل بعماءه الروحي، فطلب أن يَرى المسيح فرآه، كالأعمى الذي أخذ يصرخ لكي يفتح له عينيه فنال البصر والبصيرة ورأى يسوع وآمنَ به إلهاً، بينما الذين كانوا يتبعون إذ كانوا يحسُّون في ذواتهم أنَّهم مُبصرون لذلك لم يطلبوا شيئاً، وبالتالي فلم ينالوا نعمة الرؤيا. لذلك، فإن الذين يحسُّون بخطاياهم ويشعرون حقاً بالعمى الروحي وأنهم في حاجة شديدة إلى المخلص يسوع الذي هو النور الحقيقي، هؤلاء يظهر لهم يسوع في داخلهم وينيرهم ويعطيهم بصيرة روحية وحياة أبدية؛ وأمَّا الذين يشعرون في ذواتهم أنَّهم مُبصرون ويظنُّون أنَّهم أبرار فهؤلاء لن يكتشفوا المسيح في داخلهم كنور إلهي يُرشدهم لأنهم ليسوا في حاجة إليه. فالذي يكتشف خطاياها، يُواجه الله في الحال - كما قال مار إسحق السرياني - أي يُشرق عليه نور المسيح في الحال.

كثيرون ينشغلون بخطاياهم ويَهْدُونَ فيها كل يوم ويُفَنِّدون تفاصيلها، هذا خطأ وله مضارٌ كثيرة على النفس، لأن ذكر تفاصيل الخطية المستمر يَثْبُت في العقل الباطن ويتحوَّل إلى أفكار متردِّدة تُثِقِل الإنسان وتُضَيِّع عليه سلامه وتقوده إلى اليأس.

إن كلمات داود النبي في الآية التي تقول: «خطيبي أمامي دائماً» (مز ٥١: ٣) تفيد أنني أجمع جميع خطاياي التي اعترفتُ بها أمام الكاهن وأطرحها أمامي وأشعر كل حين أني رجلٌ خاطئ بالفعل، ولكن من غير أن أهدأ (أي أتفحص) في تفاصيل الخطايا. المهم جداً أن أطرحها خلف المسيح أي أن أجعل المسيح دائماً بيني وبين خطاياي، حينئذٍ أرى كل خطاياي وخطايا العالم كله تذوب وتتلاشى بدم المسيح. إياك أن تجعل خطاياك فاصلاً بينك وبين المسيح لئلا تياس وتفقد النور الحقيقي.

المهم أن يُقَرَّ الإنسان بخطاياه أمام الكاهن الذي يصلي لله طالباً له الخَلِّ. هذا الخَلِّ يأخذه من المسيح وليس من الكاهن الذي يطلب من الله العفوان للمعترف ولنفسه أيضاً، فلا يقلق ولا يضطرب ولا يسعى باهتمام زائد وراء المرشد الروحي الممتاز لكي يُقَرَّ بخطاياه لأن ذلك عسيرٌ جداً في هذه الأيام. وبكل أسف فإن الاهتمام الزائد في البحث عن المرشد الروحي الممتاز جعل الناس يفقدون سرَّ الاعتراف الذي فيه يُقَرُّون بخطاياهم لنوال الخَلِّ ومغفرة الخطايا من المسيح، وهذا لا يلزمه أن يكون الكاهن على جانب عظيم من الروحانيات.

يجب أن نعلم أن لنا حرباً ليس مع الشيطان فقط بل مع الله أيضاً. لنا صراع عظيم مع المسيح نفسه، هو صراع الحُبِّ والتجديد، ويجب أن نغلب كما غلبَ يعقوب أب الآباء (تك ٣٢: ٢٤). الله يُسَرُّ جداً أن نغلبه، هو يُغَلِّب لنا من تحتُّه، ويقول في نشيد الأنشاد: «حوِّلي عينيك عني لأنَّهما غلبتاني» (نش ٦: ٥). فعلاقتنا بالمسيح فيها جهاد وفيها صراع حتى نغلب ونحظى بالشركة معه.

نحن نعلم أنه يُوجَد في طبيعتنا أمورٌ شريرة لا تتناسب مع طبيعة

المسيح، ولا يُمكن أن يثبت فينا المسيح إلا إذا تغيّرت هذه الأمور وتَنقَّت، لذلك فالأمر مُحتاج إلى صراع من جانبنا لكي نتغيّر ونتحدّد حتى نكون على صورة المسيح الطاهرة الإلهية.

إياك أن تظنّ أن الشيطان يستطيع أن يفعل فيك شيئاً بغير إرادة الرب. أفضى شيء يفعلهُ الشيطان هو أن يزأر حولنا لكي يُخيفنا؛ فإذا خِفْنَا نحن وسقطنا أمامه، فإنه يَلتَهمنا، أما هو من ذاته فلا يستطيع أن يغلبنا إلا إذا انغلبنا نحن له بإرادتنا، فهو «كأسد زائر يجول ملتَمِسا من يبتلعه هو» (١ بط ٥: ٨).



البكاء على الخطايا

سؤال: كيف أبكى على خطايي كل حين كما يقول البستان؟

جواب: هذا الأمر خطير ولا يُمكن أن نضعه على مستوى الجميع، إنه يُطرح فقط على مستوى الاعتراف والإرشاد الفردي.

فأحياناً يكون الإنسان في حالة روحية ونفسية رهيبة لا ينفعه البكاء على خطايه، بل على العكس يضره ويسدُّ باب الرجاء في وجهه ويُيسِّسه، وخصوصاً إذا كانت الأعصاب ضعيفة، فلا يتحمَّل الإنسان ضغطة الحزن. ففي هذه الحالة ينصحه أب الاعتراف بإلقاء الخطايا كلها خلف المسيح، وألاً يتأمَّل الإنسان إلا في شخص المسيح الذي فدانا وغفر لنا كل هذه الخطايا، فيفرح ويتهلَّل بالخلاص العجيب الذي قدَّمه لنا. فيجب على المرشد أن يُشجِّعه ويُدخِل السرور الروحي إلى نفسه، ويُهَوِّن عليه، ويُشدِّد إيمانه بالرب يسوع ودائماً يُظهر له رَحْمَتَهُ العظيمة وعمله الكفَّاري على الصليب من أجل الخطاة، وبذلك يستطيع بنعمة الله أن يقوده من الظلمة إلى النور، ومن اليأس إلى رجاء الإيمان، ويخلص نفسه من الهلاك.

- بينما في حالةٍ أخرى، نجد نفساً مستهينة بالخطية وما تُسبِّبه دائماً من الحزن لقلب الرب يسوع، أو تكون النفس قادرة على تحمُّل الحزن الشديد من غير أن ينهار الجسد أو تضعف الأعصاب، فيرى أب الاعتراف أن تذكُّر الخطايا السالفة والبكاء عليها لنوال رَحْمَةِ إلهنا ممكن جداً أن يدفع مثل هذه النفس إلى الأمام في الطريق الروحي فينصحها بذلك.

سؤال: [عن تصرُّف الأنبا صرابامون مع تاييس الثابتة]:

أليس في تصرُّف الأنبا صرابامون مع تاييس المرأة الزانية التي تابت، أليس فيه صرامة وشدة زائدة، إذ يقول لها أن لا ترفع يديها في الصلاة

لأنهما نجستان ولا تنطق بشفتيها اسم الله القدوس في صلاتها؟! ثم بعد ثلاث سنوات من حبسها نفسها في حجرة مُتعبدة على هذه الصورة من الصرامة، يذهب الأنبا صرابامون إلى الأنبا أنطونيوس ليسأله إن كان الله قد قَبِلَ توبة هذه المرأة أم لا؟!

الجواب:

كرامة اسم الله القدوس مأخوذة من الناموس اليهودي وكيف كان يُشَدَّدُ جداً على تقديسه وِحِشِيَّتِهِ.

خطية الزنا تُنحَسُّ الإنسان وتُشوِّه نقاوة تفكيره وتحتاج إلى جهاد كثير للتخلُّص من آثارها. مَنْ يَزِنِي، يُخطئُ إلى جسده. القديسة مريم القبطية ظَلَّتْ بعد توبتها سبع عشرة سنة تُحَارَبُ بألم الزنا.

ليس من حقنا كروحيين أن نُسمَّى تصرفات القديسين بأنها صرامة، لأنهم كانوا يفعلون ذلك مُساقين بالروح القدس، لذلك لا يجب أن ننظر إلى أعمالهم أو أقوالهم بِعَيْنِ النقد. روح النقد يُضَيِّعُ علينا فوائد روحية كثيرة نستطيع أن نحصل عليها من تصرفات القديسين لو أخذنا الأمور ببساطة الإيمان لا بطريق الفحص العقلي المُجرَّد.

الدليل على سلامة التصرف هو النتيجة. أنظر إلى النتيجة لقد استحقت تاييس إكليلاً أعظم من إكليل أنطونيوس نفسه، أليس هذا بالحقيقة عَجَباً!!

وعلى أية حال فإنَّه حتى عِلم النقد الحديث **Criticism** يُمكنه أن يقودنا إلى نفس النتيجة، فإننا نستطيع أن نحكم على الشيء بأنه صحيح لكونه حُفَظَ وَثِقِلَ لنا كما هو على عِلاته. فمثلاً، في بستان الرهبان هناك كلمات مَدسوسة على القديسين ولم يُحَاوَلْ أحد أن يُغَيِّرَهَا، هذه نفسها هي التي تُثَبِّتُ صحة وسلامة الأقوال الأخرى حتى أن أكبر النُقَاد الألمان قرَّروا صحة بستان الرهبان وأنَّه أعظم دليل على صدق وصايا الإنجيل وإمكانية تنفيذه عملياً.

حركة التكريس العلماني للخدّام (غير المكرّسين للكهنوت) في الكنيسة

أغسطس ١٩٦٨

من الواجب أن يكون بيت التكريس (الذي أقيم عام ١٩٥٨ في حدائق القبة ثم انتقل إلى حلوان سنة ١٩٥٩) أن يكون سنداً للكنيسة ومعاوناً لها بصفته مركزاً للخدّام العلمانيين (أي الذين ليسوا من الكهنة) في الكنيسة التقليدية. نحن نُكرّم الكهنوت ونخضع له ونُعاونه في خدمة النفوس.

أنا أرى أنه بدون خدمة الخدام العلمانيين على هذه الصورة سوف تنهار خدمة الكهنوت وسوف تنهار كرامتها في نظر الأجيال القادمة ويقوم عليهم الشعب، لأن الكهنوت ابتداءً من الآن أن لا يقوم بواجباته. في الكنيسة الأولى كان العلمانيون هم الذين يقومون بالخدمة، بينما الأسقف (الأب والرئيس) هو الذي يرثيهم ويرعاهم، والكهنة هم خدّام الأسرار. فلما تقوّت الرهبنة ابتلعت الخدمة والخدام العلمانيين. ولما ضعفت الرهبنة ضعفت الكنيسة، وأصبح العلمانيون لا يقومون بعملهم ولا يعرفون مسئوليتهم في الخدمة.



الكرازة لكل العالم (مُلخَّص)

أغسطس ١٩٦٨

كانت وصية الرب يسوع لتلاميذه قبل أن يفارقهم ويصعد إلى السماء كما ذكرها القديس متى البشير هي:

+ اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم،

+ وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به،

+ «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨ : ٢٠).

ونحن إذا تأملنا في هذه الوصية المثلثة، نجد أن التلاميذ لم يُنفذوا إلا الجزء اليسير جداً منها، لأنهم لم يستطيعوا أن يستوعبوا كما قصدوا المسيح، فلا هم استطاعوا أن يُبشروا جميع الأمم (بسبب ظروف صعوبة الوصول إلى أقاصي الأرض في ذلك الوقت) ولا استطاعوا أن يُعلموهم بكل ما أوصاهم به المسيح.

فإلى الآن ما زال ثلث العالم لم يسمع عن المسيح نهائياً، والثلث الآخر سمع مُجرّد اسمه ولا يعرف عنه شيئاً، والثلث الباقي هو المسيحيون ولكن غالبيتهم لا يعرفونه المعرفة الحقيقية.

أما وصايا المسيح فيقول يوحنا الرسول عنها: «وأشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يَسع الكتب المكتوبة» (يو ٢١ : ٢٥). إذاً، لم يكن في مقدور التلاميذ أن يُعلمونا بكل ما أوصاهم به المسيح.

إذاً، لا بد أن الوصية لم تكن للتلاميذ فقط، بل للكنيسة كلها من جيل إلى جيل. والدليل على ذلك قول المسيح لهم: "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨ : ٢٠)، أي إلى حين مجيئه. فالكنيسة وكل مسيحي مسئول عن تنفيذ وصية المسيح هذه.

والواقع أن التلاميذ في كرازتهم لم يخرجوا كثيراً عن حدود أورشليم وما حولها، وكان السبب في ذلك هو الاعتقاد السائد بينهم آنذاك بأن مجيء الرب ثانية قد اقترب، فكانوا دائماً في انتظاره. ولكن المسيح لن يأتي إلا إذا كملت بشاراة جميع الأمم حسب قوله لهم (مت ٢٤ : ١٤).

وقد كان انتشار الإيمان يتم عن طريق الاضطهاد الذي شتتهم، فجالوا مُبشِّرين بالكلمة (أع ٨ : ٤)، ثم وصل الإيمان إلى بلاد الدولة الرومانية التي كان هناك تبادل تجاري معها مثل الهند، ومع ذلك لم يكن أثر الإيمان قوياً واضحاً عندهم.

وظلت حركة البشارة ضعيفة ومحصورة إلى أن جاء القرن السادس عشر، وبدأ الكاثوليك في إرسال إرسالياتهم التبشيرية، ولكن النهضة التبشيرية الفعلية هي التي كانت بعد ذلك بواسطة البروتستانت التي فيها ترجموا الإنجيل إلى أغلب لغات العالم وأرسلوا المُبشِّرين إلى كافة أرجاء المسكونة. ولكن للأسف ظهرت من الدول التي أتى منها هؤلاء المُبشِّرين أغراض تجارية وسياسية، فباعت هذه النهضة بالفشل إلا في القليلين جداً من هؤلاء المرسلين الذين كانت سير حياتهم تنطق بصدق كرازتهم، لذلك أثرت في الناس وجذبوا كثيرين إلى المسيح. ومع ذلك فما زال العالم في آخر إحصائية عن تعداد المسيحيين فيه يُظهر العجز في التبشير كما قلت لكم في البداية. وهكذا صارت المسئولية مُلقاة على عاتق كل مسيحي.

ولكنك تقول: ماذا أفعل وأنا ضعيف، لا أعرف أن أتكلم أو أعظ أو أخدم أو أكتب؟ كل هذا لا يههم. يُعوزك شيء واحد: محبة المسيح من كل القلب. فالحب يُجدد ويُغيّر القلوب، والعالم لا يُعوزه أكثر من التهاب المحبة التي تحرق الواحد مئناً ولا تُبقي منه إلا الرماد فيصير فدية وذبيحة عن العالم. إن طقس المحرقة في العهد القديم لم يكن يُطهر النجس والأبرص بلحمها ودمها، ولكن برمادها المُتبقّي بعد حرقها الذي كانوا يرشونه على النجس فيتطهر. ومحبة المسيح إذا ملأت القلب لا بد أن تجعل

من الإنسان شريكاً للمسيح في آلامه من أجل الخطاة بل وشريكاً في ذبيحته.

كانت الوثنية تُعَمُّ العالم أيام الكنيسة الأولى، وكان يلزم العالم عملاً جباراً جداً لكي يُؤْمِنَ بالمسيح، كان كمريض في حالة هُزال شديد جداً وهو على شفا الموت، ويلزمه عملية نقل دم سريعة. وهذا ما تم بواسطة دماء الشهداء التي جمعها المسيح وجدَّدَ بها دماء العالم.

ما معنى هذا؟ هل لابد من دماء تُسْفِكُ لكي يتجدَّد العالم من جديد؟ كلا، بل الحاجة إلى ذبائح روحية من النفوس تُقَدِّم. أليست مقدمة حياتنا كرهبان مائتين عن العالم هي بمثابة استشهاد وفِدْيَةٌ عن العالم؟!

هل تتعجَّبون أن الإنسان يكون فدية عن الآخرين؟! ألم يَقُلُ اللهُ لإبراهيم: «إِنَّ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ عَشْرَةَ أَبْرَارَ فِي الْمَدِينَةِ فإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ» (تك ١٨: ٢٦-٣٢)؟! إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُدْرِكَ هَذَا السَّرَّ! وما هي النسبة التي يُمْكِنُ أَنْ يَفْدِيَ بِهَا إِنْسَانٌ إِخْوَتَهُ وَبَنِي جَنْسِهِ؟ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَيْضاً فِي سَفَرِ حَزْقِيَالِ أَنْ وَاحِداً يَصْنَعُ الْحَقَّ يُمْكِنُهُ جَدّاً أَنْ يَفْدِيَ الْمَدِينَةَ بِأَسْرَهَا (٢٢: ٣٠)!! لَقَدْ أُدْرِكَ بُولَسُ هَذَا السَّرَّ، فَقَالَ إِنَّهُ يَودُّ لَوْ يَكُونُ هُوَ نَفْسَهُ مَحْرُوماً مِنَ الْمَسِيحِ مِنْ أَجْلِ إِخْوَتِهِ أَنْسِبَائِهِ حَسَبِ الْجَسَدِ الَّذِينَ هُمُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ (رو ٩: ٣).

دعوني أبتجراً وأقول إنَّ المسيح كان واحداً، ولكنه فدَى العالم كله بموته، ولكنكم تقولون لي إنه الله، وأنا أُجيبكم، ولكنه قال عن نفسه إنه ابن الإنسان، وهو قصد أن يدعو نفسه هكذا لكي نتمثَّلَ به في فِدْيَتِهِ عَنِ الْبَشَرِ لِكَيْ يُعْطِيَ كُلَّ إِنْسَانٍ إِمْكَانِيَّةَ افْتِدَاءِ أَخِيهِ فِي اسْتِحْقَاقَاتِ ذَبِيحَةِ الْمَسِيحِ وَفِدْيَتِهِ.

ولكن ليس أمراً هيناً أن يصير الإنسان فدية عن الآخرين. فالمسيح لكي يصير فدية، حملَ خطايا العالم كله، صار خطية من أجلنا لكي نصير نحن بَرَّ اللهُ فِيهِ. وتهيئاً لي أن أیوب البار لم تُصِبه هذه الآلام العظيمة إلا بسبب أنه أراد أن يصير فدية عن أولاده إذ يقول: «وكان لما دارت أيام

الوليمة أن أيوب أرسل فقدسهم وبكر في الغد، وأصعد محرقات على عددهم كلهم لأن أيوب قال: ربما أخطأ بيّ وجدّوا على الله في قلوبهم. هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام» (أي ١: ٥).

الفدية تُعني، إذاً، تحمّل أخطاء الآخرين وقبول الآلام والأحزان والموت عنهم. وهذا هو عمل الراهب.

حركة الرهينة في بداياتها الفردية كانعزال عن العالم قبل مجيء آباءها العظام الأوائل أساءت إلى ذاتها وإلى العالم وإلى حركة التبشير والكراسة كثيراً، لأن الرجل كان يخرج من العالم على أساس أن العالم قد وُضِع في الشرير وأن مصيره هو الهلاك وأنه لا خلاص للذين في العالم. ولكن القديس أنبا أنطونيوس والقديس أنبا مقار صحّحا هذه الفكرة بالزيارة التي قام بها كل واحد منهما لعائشين في العالم، وخرجوا بنتيجة أن في العالم مؤمنين متزوجين يعيشون في العالم يفوقهما كمالاً وقداً كرهبان. ولكن ليست الرهينة هكذا، فالراهب فدية عن العالم، يحمل العالم بالحب في قلبه، ويشترك مع العالم في آلام وأحزان الخطية بالحب الملتهب للمسيح. وليست الأصوام والنسك والتقسّفات والتعليم والوعظ والكتابة وتسليم الجسد للموت هي التي بها يفدي العالم، لأن بولس الرسول يقول: «إن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً... وإن أطمعت كل أموالي وإن سلّمت جسدي حتى أحترق ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً... وقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن... المحبة لا تسقط أبداً» (١ كور ١٣: ١-٨).

أنا أمامكم مثال، فقد عشت في الطريقتين: الطريق الأول طريق الحب واليهام في المسيح والموت الكامل عن العالم لأقدم نفسي ذبيحة عنه، والطريق الثاني طريق الخدمة وتأليف الكتب لمنفعة الآخرين وخلصهم. ولكنني أشهد لكم أنه شتان ما بين الطريقتين، وأنا لا بدّ راجع إلى الطريق الأول لأنه أفضل جداً.

روح الإنجيل روح فدية (مُلخَّص)

المسيح احتمل آلام الصليب وعاره ليس لأنه كان يُعلَّم أن هذه الآلام إنما هي من أجل الآخرين لخلاصهم، فالحبُّ الذي في قلبه من نحو الخليقة جعله يقبل الآلام المريعة والمهزء والعار، وهذا هو معنى الفدية.

القديسة تريزا للطفل يسوع كان فيها روح فدية من أجل الآخرين، لذلك كانت تفرح في آلامها المريعة بصورة مُذهلة.

الذي فيه المسيح، يكون قد قبل روح الإنجيل، الذي هو روح الفدية. هذا يقبل ويرضى أن يتألم من أجل الآخرين ولا سيَّما الخطاة. لن تستطيع أن تتحمَّل الآلام والتجارب إذا كانت من أجل نفسك فقط، أمَّا إذا كانت بروح الفدية فهذا طريق احتمال طويل، إنه طريق الصليب حتى الموت، ولن يتراجع الإنسان عنه، لأن الحبَّ هو الذي يدفعه للاحتمال والصبر والشكر.

إذا حلَّ روح الإنجيل في إنسان، فهو روح بشارة وكرامة وخلاص لنفوس جميع الناس، فهو يجعل الإنسان لا يكف عن الصلاة ليلاً ونهاراً من أجل جميع فئات الناس سواء الأحياء أو الأعداء، للمؤمنين أو غير المؤمنين، الرؤساء أو المرؤوسين الخ. ولا تهلأ النفس حتى تُقلَّم بالصلاة تلك النفوس للمسيح لكي يشاركها ويُؤازرها بروحه حتى يجعلها تسعى للخلاص.

إنني أحسُّ يا آباائي أننا لم نقبل بعد روح الإنجيل، هذا الروح الذي يُلهب نفوسنا للصلاة من أجل جميع الناس، وهذا أمرٌ محزن جدا ودليل على أن الإنجيل لم يدخل بعد في داخل حياتنا، ما زال الإنجيل كلمات تُرددها وتتلذذ بها وليست وصايا تُعاش. هل إذا سألتني إنسان أن أصلي من أجله، أصلي من أجله بنفس الاهتمام الذي يُظهره هذا الإنسان في سؤاله عن نفسه؟ كلا. إذاً، فإن كنتُ لا أحسُّ بتعب الآخرين وقيمة خلاص نفوسهم، فروح الإنجيل لم يستقرَّ بعد في قلوبهم، وأنا بكل تأكيد ما زلتُ غريباً عن المسيح وعن أبناء الملكوت.

حياة الإيمان

أنت بالإيمان قَبَلْتَ المسيح فيك، المسيح المصلوب على الصليب، أخذتَ فيك دم المسيح، الدم المسفوك من أجل خطاياك، هذا الدم الإلهي صار في دمك. وبذلك تُؤمن بكل يقين أن قوة المغفرة موجودة فينا طالما أننا نُؤمن أن المسيح المصلوب موجود دائماً فينا.

الذي قَبَلَ المسيح المصلوب فيه، فلا بد بالضرورة أن يكون سلوكه الظاهري هو سلوك المسيح المصلوب، المسيح الذي «صُلب من ضعف» (٢كو ١٣: ٤)، والإنسان الذي اتحد بالمسيح المصلوب، كيف يظهر في تصرفاته وكلامه أنه مُعتمد على السلاح أو السلطان أو الشجاعة. الرب يسوع قال لبيلاطس: «لم يكن لك عليَّ سُلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيته من فوق» (يو ١٩: ١١)، فهل نحن نُقابل عدوَّنا ونحن واثقون أنه لا يمكن لهذا العدو أن يفعل فينا شيئاً ما لم يكن قد سبق الله وأعطاه هذا السلطان؟ أمَّا نحن في ذواتنا ضعفاء وشاعرون أننا ضعفاء، لا حَوْلَ لنا ولا قُوَّة ولا سلاح ولا سُلطان، فلو يشاء الله هلاكنا بيد عدونا فسنهلك، ولو لم يشأ ذلك فلن نستطيع عدونا مهما أُوتِي من قُوَّة وسُلطان أن يمسنَّا أو يضرنَّا أو يُؤذينا.

الذي يعيش حياة الإيمان يتكبل في كل شيء على الله وحده وليس على أية قُوَّة عالمية، وهو مستعد دائماً للموت في أية لحظة من أجل الله متى شاء ذلك، ولن يُحاول أن يظهر أمام عدوه بغير ذلك بل يُظهر له قوة اتكاله على الله الذي يعبده.

قامتنا في المسيح وقوة إيماننا تظهَران بوضوح بطريقة لإرادية في المواقف الصعبة، مثل مُقابلة الأعراب المتغربين في الصحاري، ولاسيما الذين نَظُنُّهم أعداء. يقول مثل فرنسي: "تستطيع أن تعرف أخلاق الإنسان إن أنتَ أسكرته، أو إذا وضعتَه في عمل شاق". نحن في هذه الأوقات الحرجة ننسى كل تعليم وكل واجب وكل وصية إنجيلية، وتظهر نفوسنا على حقيقتها. فإن كُنَّا قد تعرَّفنا بالفعل على المسيح

المصلوب فينا، فسوف يظهر ذلك بوضوح في كلامنا وسلوكنا،
وخصوصاً مع الذين يأتون إلينا بقصد إزعاجنا ومضايقتنا.
وبقدر موتنا عن ذواتنا، بقدر ما يظهر فينا المسيح المصلوب.



الناموس الأدبي

(مُلخَّص)

نستخلص من حوادث الكتاب المقدس على ممر العصور والأزمان أنه ما من خطية ضد الناموس الأدبي إلا وكان لها عقوبة واضحة، إلا أن هذه العقوبة بسبب كونها في الغالب لا تحدث في نفس الزمن الذي ارتكبت فيه هذه الخطيئة، لذلك لا يظهر بوضوح أمام القارئ أن هذه العقوبة حدثت عن الخطية المرتكبة. وبولس الرسول يُوضِّح لنا أنواعاً من الخطية ضد الله، وقع فيها بنو إسرائيل حتى لا نتعرَّضَ لِمَا تعرَّضوا له من عقوبات:

- "لكن بأكثرهم لم يُسرَّ الله لأنهم طرَّحوا في القفر، وهذه الأمور حَدَّثتْ مثلاً لنا حتى لا نكون نحن مُشتهين شروراً كما اشتهد أولئك، فلا تكونوا عِبْدَةَ أوثانٍ كما كان أناسٌ منهم، ولا تَزِنِ كما زنا أناسٌ منهم، فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً، ولا نُجْرَبِ المسيح كما جَرَّبَ أناسٌ منهم، فأهلكتهم الحيات، ولا تتذمَّروا كما تذمَّرَ أيضاً أناسٌ منهم، فأهلكهم المهلك. فهذه الأمور جميعاً أصابتهم مثلاً وكُتِبَتْ لِإِنذارنا نحن الذين انتهتْ إلينا أواخرُ الدهور" (١ كو ١٠: ٥-١١).

يُلاحَظ أن جميع الخطايا التي يأمر الناموس بالتكفير عنها بالذبائح هي خطايا عَمِلَتْ عن سَهْوٍ، أما الخطايا التي عَمِلَتْ عن إصرار وإرادة فليس لها تكفير وعقوبتها الموت.



المسيح جاء ليُكَمِّلَ الناموس والأنبياء

المسيح جاء ليُكَمِّلَ الناموس، جاء بشخصه لكي يُكَمِّله، لأن الناموس كان ينقصه شيءٌ جوهريٌّ، كان ينقصه شخص المسيح.

والنبوت كلها كانت تدور حول شخص المسيح، فجاء المسيح بشخصه لكي يُكَمِّلَ النبوت. هو المسيا المنتظر الذي بغيره يصير الناموس عقيماً لا قُوَّةَ له والنبوت لا معنى لها.

المسيح ألقى من الناموس كل ما كان يتصل بالأرض والأرضيات وهكذا ألقى تخريجات وتعاليم الشيوخ التي استخرجوها من وصايا الناموس لأجل منفعة أرضية، أما بخلاف ذلك فقد سلك به وأكمله أي أن كل ما كان يمتد إلى الروح في الناموس أبقاه وكرمه. فإذا وجدَ في الناموس وصيةً تَسْمَحُ بالطلاق أُلغاهَا وأفصح لهم عن سبب وضعها قديماً: «من أجل قساوة قلوبكم» (مت ١٩ : ٨)، وإن كانت هناك في العهد القديم وصيةٌ تُعطي الأمل بخير أرضي في حالة إطاعة وصايا الرب، إلا أن هذه أيضاً أُلغاهَا الرب واعدَّ تابعيه بضيقات كثيرة واضطهادات على فم تلاميذه ورسله (أع ١٤ : ٢٢).



"أما الفريسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم"

ونحن أيضاً نخشى أن نرفض مشورة الله من جهة أنفسنا. مشورة الله بخصوص خلاص نفوسنا، لا يكفُّ الرب أن يُوجِّهها إلينا في كل وقت وكل ساعة «هَذَا واقفٌ على الباب أقرع» (رؤ ٣: ٢٠)، فهو مُداوِمٌ على القرع على باب حياتنا حتى ننتبه إلى قرعه وإلى شخصه ونفتح له باب القلب، حينئذٍ يدخل إلينا ويتعشى معنا ونحن معه (رؤ ٣: ٢٠)، أي يشاركنا أولاً الآمناً، ثم بعد ذلك نُشاركه نحن عطاياه ومواهبه.

مشورة الله لنا يُرسلها على أي لسان وبأية وسيلة، ربما بكلمة من الإنجيل، وربما بكلمة من واعظ، وربما بكلمة من حبيب، وربما بكلمة من عدوٍّ. والأذن المُتَيَقِّظَة تستطيع أن تلتقط هذه المشورة الإلهية وتحسَّ بها، وتتيقَّن أنَّها لخلاصها في تلك الآونة.

الذي يحسُّ بمشورة الله ولكن لم يَقُمْ في الحال بتتبعها، كأن يحسُّ بأنه مُطالبٌ بالصلاة مثلاً في وقتٍ ما أو مُطالبٌ بصوم أو مُطالبٌ بخدمة أو بتوبة عن شيء، ولكنه يهمل الاستجابة، فهذا يفقد الله في حياته ويفقد صوتَ قرع المسيح على باب قلبه.

ربما تكون مشورة الله لك أن لا تتماشى مع راحة جسدك أو صحتك، ومع ذلك فنحن نثق، وبالرغم من أنَّها دائماً تَظْهَرُ أولاً وكأنَّها كذلك، إلا أن الرب يُنجي أخيراً المتكلمين عليه ويُقَدِّم من موتٍ مُحَقَّقٍ.



إنجيل عشية الأحد الثاني من شهر مسرى

أغسطس ١٩٦٨

"طوبى للبطن الذي حملك وللشدين اللذين رَضَعْتَهُمَا،

فقال الرب: «بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه» (لو ١١):

(٢٨).

يُلاحظ هنا نوعان من التطويب:

الأول: طوبى للبطن والشدين، وهذا تطويب جسدي أرضي ينتهي بموت الجسد.

الثاني: طوبى للذين يحفظون كلام الله، وكلام الله معروف أنه روح وحياة، فهو تطويب روحاني يدوم إلى الأبد.

المسيح يُوجِّهنا هذه الليلة إلى التطويب الروحاني لأن الجسد وحده لا ينفع شيئاً، فأسرار الكنيسة لو أخذها المؤمن على أنها أمور محسوسة ظاهرة ينال بها بركة وتعزية جسدية وفرحاً جسدياً، فهو حتى الآن لم يعرف المسيحية ولم يبلغ بعد إلى بركة التطويب الروحاني. العطية الروحية والعزاء الروحاني يفوقان كل عقل وكل لذة جسدية، لا بد أن نُؤمن أننا ننال العطايا الروحية دون شرط الإحساس بها بالجسد، لأن «الإيمان هو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمر لا تُرى» (عب ١١: ١).

- ففي سرِّ المعمودية ليست الأمور المحسوسة فيه هي السرُّ بأن تُغطس في الماء ثلاث مرات وتُدَهَن بالزيت. لا، لا، لا. هذه أمور ظاهرية القصد منها أن يُظهر المؤمن طاعته وخضوعه لأمر الله، أمّا السرُّ في ذاته فهو فوق تصوُّر الإنسان وإحساسه، فهو ينال بالإيمان أموراً خطيرة وعظيمة جداً جداً. كثيرون يتوقَّعون ويحاولون بعقلهم القاصر أن يشرحوا السرِّ والأمور الروحية المخفية في السرِّ ولكن هيهات، فكيف يشرحون ولادة المؤمن الجديدة في المسيح يسوع؟ وغيرها من الأسرار

وهي أمور تتم بالفعل ولكن من وراء العقل والإحساس.

- في سرّ الإفخارستيا كثيرون يجادلون ويقولون: نحن نأكل جسد المسيح ونشرب دمه ونحسّه أنه جسد وأنه دم، ويريدون أن يُوهّموا أنفسهم أنّهم يتقبّلون السرّ على المستوي المادي، هذا خطأ، «الروح هو الذي يُحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئاً» (يو ٦: ٦٣).

سرّ الإفخارستيا كبقية الأسرار يؤخذ على المستوى الروحي وليس الجسدي، إنه هو في ذاته جسد المسيح ودمه تماماً تماماً، ولكن ليس محسوساً باللسان والعين، الجسد والدم حقيقيان وبال يونانية **ἀλήθεια** أي هما "حق"، ومعناها دائم باق لا يتغيّر ولا يفسد، فالخبز والخمر صارا جسد المسيح ودمه الدائمين الباقيين للذين لا يتغيّران ولا يفسدان.

- لكن كيف تقول إنهما، أي جسد ودم المسيح، نزلًا إلى بطنك التي سيأكلها الدود وتفسد؟! كيف يستقرّ عدم الفاسد في الفاسد الذي سيبيلى؟!

الجسد والدم الكريمان قد دخلا فيك ليس للجسد الفاسد بل للإنسان الجديد أي المخلوق بحسب الله وهو الذي يتغيّر ويتجدّد وينمو بسرّ الإفخارستيا، والجسد والدم هما "حق" له، لأنه إنسان جديد على صورة المسيح، وهو أيضاً حقّ ولن يفنى ولن يفسد ولن يضمحل.

هَبْ أن أحداً بعد أن تناول من سرّ الإفخارستيا ابتهجت نفسه وأخذ يُخاطب بطنه قائلاً: افرحي يا بطني فإنه فيك الآن المسيح بجسده ودمه، فهل هذا القول حقّ؟ كلا. نخاطب هذا الأخ قائلين: إن بطنك هذه يا أخي سوف يأكلها الدود وتتنن، أمّا جسد المسيح ودمه فهما حقّ **ἀλήθεια** لا يفنيان ولا يفسدان وقد تقبلهما إنسانك الجديد الذي في داخلك، تقبلهما بطنك الروحاني الذي لا يفسد بالموت.

- فهل معنى هذا أن هذا معناه عدم صيرورة الخبز والخمر جسد المسيح ودمه الأقدسين (كما يقول البروتستانت)؟ حاشا، ولكننا نقول إن

التحوُّل قد حدث بالفعل بالإيمان، كقول الرب، ولكن نقبله بالإيمان ليس على مستوى الجسد بل على مستوى الروح. لذلك فالشخص الروحاني الحقيقي عندما يتقدَّم إلى سرِّ الإفخارستيا يتقبله بهيبة ووقار وبإيمان ثابت قوي أنه أمام جسد المسيح ودمه بالفعل، وأنه بهذا السرِّ يزداد اتحاداً بالمسيح بالفعل ويزداد ثباتاً في المسيح بالفعل، ويقترب جداً من صورة المسيح الكاملة، ومن فكر المسيح، ومن محبة المسيح، وإن كان الآن هو لا يحسُّ بالكامل لأنه ما زال بالجسد، ولكن تُؤمن أن كل هذا قد صار له، وسوف يُستعلن عند مجيء الرب، فيكون فرحه روحانياً أساسه الإيمان بوعود الرب، غير مُنشغل بالصورة المحسوسة للجسد والدم الموجودين على المذبح.

كلمة **Conceive** تحتل معنيين: "يُدرك"، و"يحمِل". فالذين يقبلون كلمة الله ويحفظونها في قلوبهم أي يُدركونها إدراكاً روحياً، هؤلاء يحملون بالكلمة، فعلى المستوى السريِّ تحدث زيجة روحية بين النفس وكلمة الله «خَطَبْتُمْ لرجل واحد لأقْدَم عذراء عفيفة للمسيح» (٢ كو ١١: ٢). وكل هذا على مستوى الإنسان الجديد، أي روحياً.

فالذين يحفظون كلمة الله ويُدركونها بقلوبهم ويلتصقون بها، هؤلاء مُستحقون أعظم التطويب، لأنهم بالحقيقة يصيرون على صورة ابن الله، فيتجددون ويصيرون لائقين للملكوت. هنا يتم قول يوحنا الرسول: "والكلمة صار جسداً" (يو ١: ١٤)، فالإلهي اتحد بالبشري أي حدثت الزيجة الروحانية بين كلمة الله ونفس الإنسان وذلك بحفظه كلمة الله.



سؤال: ما معنى "الخلود"؟

جواب: عندما يرتفع من إحساس الإنسان الماضي والمستقبل، «الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو ٥: ٢٥).

لو كان رجاؤنا على مسيح الزمان الذي شفي المرضى وأقام الموتى
وفتح أعْمى العَميان، لَكُنَّا نَحْسُ في ذواتنا أن هذا الرجاء ليس لنا، لأننا
مفصولون عنه بحكم الزمان، ولكن لو أحسستَ بالمسيح "الآن" واستعلمنا
لك شخصياً في ذاتك حينئذٍ لن نطلب شيئاً آخرَ معه ولن يَهْمَكَ ما
مضى ولن يجذبك المستقبل بشيء، لأنك مع المسيح الآن. هذا هو الخلود
وهذا هو مفهوم الملكوت.

شذرات عن سفر الرؤيا

(مُلخَّص)

يظن البعض أن الأحداث المذكورة في سفر الرؤيا حوادث مادية سوف تحدث للعالم، وهذا خطأ.

سفر الرؤيا هو سفرٌ رؤيويٌّ apocalyptic وليس سفرًا نبيياً، فالرسول يوحنا استُعِلت له أحداث واقعة عندما التحم مع ملكوت الله. الحوادث المذكورة لو أخذناها على المستوى المادى أنه ستحدث دَمَامِلٌ ونيران وقنابل وإبادة للجنس البشرى.. الخ، فإن هذا يقلب مفهوم الإنجيل والصليب.

الحوادث المذكورة في هذا السفر يجب أن تُؤخَذَ لا على المستوى المادى، بل تُؤخَذَ على المستوى الروحي. فإذا فهمنا مثلاً ضربة «الدمامل» المذكورة (رؤ ١٦: ٢)، على أنها الشكوك التي تصيب الناس من جراء ضعف الإيمان؛ وكذلك النيران التي أصابت ثلث سكان الأرض (رؤ ٩: ١٨)، ففهمها على أنها مثلاً الضلالات التي تعرّض لها العالم مثل "الشيوعية" و"الوجودية" وغيرها؛ وقس على ذلك كل الحوادث المذكورة في سفر الرؤيا، نجد أنها ستَنسَجَمُ مع مفهوم السفر. لأنه ماذا يهم الإنسان المسيحي المؤمن إذا ضُربَ الناس بالدمامل في أجسادهم أو مات ثلث الناس، مع أن المسيح يأمرنا ويقول لنا: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد» (مت ١٠: ٢٨) إذ أنهم لا يستطيعون أن يعملوا أكثر من ذلك.

يُلاحَظ في إحدى الضربات أنها لا تُصِيبُ الحيوان والنبات، فأى شيء يُصِيب الإنسان ولا يُصِيب الحيوان والنبات إلا إذا كان روحياً أو نفسانياً.

يُلاحَظ أن كل أحداث سفر الرؤيا قد حَدَثَتْ في العالم إذا فُسِّرَتْ على المعنى الروحي.

مفهوم الدينونة في العهدين القديم والجديد

من المعروف أن مفهوم الدينونة في العهد القديم غيرَه في العهد الجديد، الأول كان بصورة انتقام محسوس من الشعوب الشريرة والأمة الخاطئة والإنسان المنافق الشرير، أما في العهد الجديد فلا يُوجد هذا الغضب المادّي على الخطاة.

في أقوال المسيح نجد تارةً يقول: «لم آت لأدين العالم» (يو ١٢: ٤٧)، وتارةً يقول: «لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن» (يو ٥: ٢٢)، ومرةً أخرى يقول: «لدينونة أتيتُ أنا إلى هذا العالم» (يو ٩: ٣٩)، فهل هذا تضادٌّ paradox؟

لا يُوجد تضادٌّ في أقوال الرب، فالرب في الحالة الأولى يتكلّم عن الدينونة بمفهومها الذي كانوا يعرفونه من العهد القديم، لم يأت المسيح لدينونة الانتقام والإبادة بسبب الخطية، ما جاء ليدين العالم بهذه الصورة، بل ليخلصه من الخطية. أمّا الدينونة التي يقصدها في الحالة الثانية فهي تأخذ مفهومها من مفهوم النور، فقيل أن يَهَبَ النور الحسّي للأعمى قال: "أنا نور العالم"، وبالرغم من أنه أثبت ذلك القول بإعطائه النور لعبي الأعمى أمام اليهود إلا أنّهم قالوا عنه إنه رجلٌ خاطئ، ففي الحال وقعوا تحت الدينونة لأنّهم رفضوا النور الحقيقي الذي أمامهم: «لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية، ولكن الآن تقولون إننا نُبصر فخطيتكم باقية» (يو ٩: ٤١).

قال لهم: «فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال» (يو ١٠: ٣٨)، فأعمال المسيح التي عملها بينهم هي إظهاراً للنور الحقيقي، فلما رفضوه وقعوا تحت الدينونة، «أحبّ الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة» (يو ٣: ١٩).

فالمسيح أدان العالم بأقواله وأعماله لأنه أظهر الحق من الباطل. وأما دينونة المسيح العتيدة أن تكون في الدهر الآتي فليس فيها انتقام

أو غضب بل هي بهذا المفهوم عينه، فالحقُّ سوف يُستعلن كالنور
للجميع فيرى الجميع خطاياهم فينوحوا بحزنٍ شديدٍ ويدينون أنفسهم.
أمَّا الذي يجتاز هذه الدينونة بإرادته هنا في هذا العالم على ضوء نور
كلام المسيح (الإنجيل)، فيرى في نفسه الحقَّ من الباطل ودينها بشدَّة،
هذا ينجو من الدينونة العتيدة، لأن دم المسيح يخلصه، والخلاص لا يكمل
إلاَّ إذا دان الإنسان نفسه وحكَّم عليها بأنَّها تستحق الموت: « لأننا لو
كنا حكَّما على أنفسنا لما حكِّم علينا» (١ كو ١١ : ٣١).



علم النفس، والروح

١٩٦٨ / ٨ / ٢

توجد خصومة شديدة جداً بين علم النفس وبين الروح. فعلم النفس لا يطبق المسيحية ولا المسيح، لأن علم النفس يُحاول أن يُعالج مشاكل الإنسان النفسية على أساس أن النفس حيوانية، أمّا المسيحية فتقول إن نفس الإنسان روحانية وليست حيوانية.

علم النفس إذا رأى إنساناً غير متزوج، مَهما كان السبب روحانياً سامياً، يقول عنه إنه إنسان غير سويّ. وفي نظره أن الإنسان الطبيعي هو الذي يُنسل كالحَيوان تماماً غير ناظر إلى أي معنى آخر من معاني الأبوّة الروحية أو الإنتاج المعنوي في الخليقة، وكذلك إذا رأى إنساناً صائماً يعتبره غير سويّ.. الخ. وعلى هذا القياس فإنه يضادّ جميع وصايا المسيح التي ترفع الإنسان من المستوى الحيواني الترابي إلى المستوى الروحي.

ليس من المفيد أن يتعمّق الباحث الروحي في علم النفس، لأنه لا يفيد شيئاً. جيّد أن يعرف بدايات علم النفس وأصوله ولكن أن يتعمّق فيه فهذه خسارة عظيمة، لأنه سيصطدم بعثرات كثيرة جداً تُزعج نفسه الروحية وتخدش المسيح والإنجيل.

علم النفس لا يجب أن يُسمّى علماً لأنه لم يستقر على شيء محدّد حتى الآن، وكل الباحثين فيه يهتمون العلماء الذين قبلهم بأنهم أخطأوا في حكمهم، وهكذا فهو ليس فيه حقائق ثابتة بل كلها استنتاجات مُتغيّرة.

الألم في علم النفس

الألم في مفهوم علم النفس مرفوض باعتبار أن نفس الإنسان حيوانية، فلو طبّقنا على الحمار مثلاً نجد أنك إذا شككته بدبوس فإنه كرّد فعل مُعاكس يرفس من أجل الخلاص من هذا الألم الطارئ كخريزة عنده

وذلك حتى يعيش، وهكذا كل حيوان له غريزة الهروب من الألم حتى يمكن أن يعيش. أمّا الإنسان فهو ليس كذلك:

فإننا نرى مثلاً، أنه يمكنك أن تتكلم معي بكلمة واحدة تضايقني، فأحزن وأكتئب، وأتأثر بها إلى سنواتٍ طويلة، وربما أمرض، مع أنها كلمة واحدة مُحزنة وليست ألماً جسدياً ظاهرياً كآلم الحمار، ومع ذلك فنحن نتصرّف تجاه أمورٍ مثل هذه ما لا يُمكن أن يتصرف الحمار.

الإنسان يمكن أن يموت له حبيب فيحزن ويستمر في الحزن ويظل يُفكّر في حبيبه الراحل ويعمل فيه المراثيات والذكريات من سنة إلى أخرى، ولكن الحمار لا يفعل هكذا.

أحياناً يرجع الموظف إلى بيته محملاً وفي حالة إعياء شديد جداً وتَسأل: ما الذي حَدَثَ له؟ هل حَدَثَ له حادثة في جسده؟ يقولون: لا. هل كان مريضاً واشتدَّ عليه المرض؟ لا. ويكون الذي حَدَثَ له أن رئيس العمل أهانه فحزن حُزناً شديداً، فأنهار جسده ومَرَضَ ولم يستطع حتى مُجرّد الوقوف.

من الأمثلة السابقة يتضح لنا أن الألم في النفس البشرية ليس مثل الألم في الحيوان، فالألم ليس يقبله الإنسان ثم يرفضه كَرَدَّ فعل مُعاكس وحسب، كالحَيوان، ثم ينسى ما كان فيه، ولكن الألم في النفس البشرية يُؤثّر في كيانه الجسدي والعصبي والنفسي.

والخاتمة التي نريد أن نصل إليها الآن (ولو أُتيح لي فرصة الكلام، فلي كلام كثير جداً في هذا الموضوع)، هي:

إن الألم للإنسان هو وسيلة وطريق لرفع النفس البشرية من مستوى الحياة الأرضية الترابية إلى الحياة الأبدية.

وهذه الرهافة والحساسية للألم عند الإنسان تُشير إلى أن الألم يُحدِث تغييرات جوهرية سِرِّيَّة داخل النفس تزيد حساسية النفس إلى الأمور الروحانية التي فوق مستوى الجسد والمادة وكل ما هو منظور، فالشخص

الذي اجتاز آلاماً كثيرة واستوعب معنى هذه الآلام وفهمها جيداً، هذا يُقال عنه إنه أكثر معرفةً وأكثر حساسيةً وأكثر تَرَقُّباً للحياة الأخرى، وأكثر تَرَفُّعاً عن الحياة الجسدية. وهذا هو مفهوم الصليب. فالمسيح لكي يرفعنا إلى المستوى الإلهي احتمل الصليب وقال: «أن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلْيُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مت ١٦ : ٢٤).



شذرات عن الوجودية الإلحادية (مُلخَّص)

تقول الوجودية الإلحادية إن الإنسان كائنٌ حرٌّ يكتسب وجوده من ذاته، وحرّيته دليل على أنه كائن بذاته، ومن ذلك استخلصوا أنه لا يوجد إله للخلقية وأن الإنسان هو إله الخليقة.

نردُّ على ذلك:

الإنسان ليس حرّاً في أن يعمل الخير، ولا حرّاً في أن يعمل الشرّ. أعطى للإنسان حرية الاختيار ولم يُعطَ له حرية العمل أن يختار بين الله والعالم بين الخير والشرّ بين الحقّ والباطل، ولكن أن يعمل الخير والحقّ فهذا ليس له فيه حرية، فإذا عمل الشرّ فهو لا يعمل بحرّيته بل وهو مُستعبَدٌ لشهوته، وإذا عمل الخير فهو لا يعمل من ذاته بل بوحى من وصية إلهية أو قانون يحضُّ على ذلك. والقانون الموجود في العالم هو تقليد للوصية وأساسها الإلهام.

المطلوب من الإنسان أن ينحاز أو يختار الله وليس العالم، الحقّ وليس الباطل، وهذا ما سوف يُحاسب عليه الإنسان. أمّا أن يعمل الحقّ في ذاته، فهو ليس كفواً لذلك، ولا يملك ذلك إلا بقوة أعلى منه تُوهب له، وهذا دليل على أنه ليس حرّاً في سلوكه.

الله هو فقط الكائن الحرّ الحقيقي الذي يملك أن يعمل الحق من ذاته بغير دوافع، بحرية إرادته أي أنه ليس هناك انقسام في ذاته.

نحن كمسيحيين ننال الحرية الحقيقية عندما نتحد بالمسيح، فبقدر ثباتنا في المسيح ننال الحرية.



البتولية والزواج

سؤال: هل البتولية أفضل من الزواج؟

جواب: هذا يُؤخَذ على مستوى الفرد وليس على المستوى الجماعي، أي أننا لا نستطيع أن نقول إن البتولية للجميع أفضل من الزواج، ولكن نقول لكل فرد على حدة: "أنت يا فلان البتولية لك أفضل، وأنت يا فلان الزواج لك أفضل"، الأول بأمانته لموهبة البتولية التي فيها يصير قديساً عظيماً والثاني بأمانته لله ولزوجته ولأولاده أن يكونوا جميعاً لله بهذا يصير قديساً ويرث مع القديسين. الأول إذا اتكّل على بتوليته ولم يكن أميناً لله ساهراً على نفسه يسقط من رتبته ويصير المتزوّج الأمين لله في بيته ووسط أولاده أعظم منه.

فإن كان لك موهبة البتولية وزُغِتَ عنها وتزوَّجتَ، فأنتَ لن تأخذ أجرك بالكامل ولن تستريح، أمّا إن كنتَ غير قادر على البتولية وتزوَّجتَ وأرضيتَ الرب في زواجك وربيتَ الأولاد في مخافة الله «سَتَخْلُصُ بولادة الأولاد» (١ تي ٢: ١٥)، فهذا أفضل من أن تتبتّل ولا تسلك باستقامة قلب، فالمتزوّج الأمين في بيته لله أفضل جداً من المتبتّل المُستهترّ المُتّهاون، فليست البتولية من الناحية العامة لها أفضلية على الجميع بلا تمييز.

بولس الرسول يقول: «فأريد أن تكونوا بلا هم» (١ كو ٧: ٣٢)، هذا أيضاً على المستوى الفردي، لأنه فرد، وكل من يُحسُّ في نفسه أن له هذه الموهبة في نفسه، فليكن "مثلي" حسب قول الرسول بولس. وقال الرسول: «المتزوِّجة تَهْتَمُّ في ما للعالم... والعذراء... تهتمُّ في ما للرب» (١ كو ٧: ٣٤)، هذا من ناحية الاهتمامات في حياة العالم، وطبعاً معروف أن المتزوِّجة تهتمُّ وتتعب من أجل زوجها ومن أجل أولادها وبيتها، أمّا العذراء فهي مُتفرِّغة للفرح والمسرة بالرب. ولكن ليس هذا معناه أن العذراء التي لا تسلك باستقامة تصير أفضل من المتزوِّجة التي

تربى أولادها بمخافة الله وهي ستخلص بولادة الأولاد (١٥: ٢ تي) إن
ثبتوا في المحبة والإيمان.

- يقول سفر الرؤيا عن ال ١٤٤ ألفاً البتوليين أنهم حُسبوا للمجد،
طبعاً هذا عن البتوليين الذين لهم موهبة البتولية وساروا بحسب مقتضاها
بأمانة، هؤلاء حُسبوا أهلاً لهذا المجد، وهذا ليس معناه أن جميع البتوليين
في العالم لهم حق المجد.

من أجل كل ما ذكرناه نجد أن المسيح وضع البتولية لا كوصية وأمر،
بل قال: « من استطاع أن يقبل فليقبل، ليس الجميع يقبلون هذا الكلام»
(مت ١٩: ١١)، أي حسب استطاعة كل فرد.



كلمة روحية بمناسبة قيام الحرب بين العرب وإسرائيل

يونيو ١٩٦٧

يا آباي، استعدوا من الآن لمقابلة ساعة الموت التي ربما تأتي بغتة في هذه الظروف العصيبة. وساعة الموت لنا لا نستطيع أن نستعد لها عندما تأتي، ولا يكفي أن نقابلها بالصلاة فقط! ساعة الموت لابد أن نستعد لها من الآن، والاستعداد يكون بالتغيير الكلي من الداخل، لابد من تغيير شامل حتى نكون على استعداد لمقابلة الرب يسوع ولا نخزى.

الذي لا يستطيع أن يرى يسوع على الأرض (بالروح)، لا يستطيع أن يراه بعد الموت «وأظهر له ذاتي» (يو ١٤ : ٢١)، بل سوف يرى ظلمة ورعبة وقبول دينونة محيف.

من الآن فليسارع كل منا أن يطرح من قلبه كل ميل إلى العالم أو الأقرباء أو أية شهوة جسدية لئلا نكون غرباء عن المسيح ولن تنفعنا كثرة صلواتنا.

لنكن مُستعدين لمقابلة الموت بأي صورة من الصور ربما يكون موت الجوع ربما يكون موت القتل جماعة أو فرادى، فلنكن مُستعدين. وكما يقول الآباء لنا إن عيد الراهب هو حزنه وبكاؤه على خطاياها، كذلك أيضاً فالواجب أن يكون عيدنا المنتظر هو يوم موتنا. هذا هو العيد الحقيقي والفرح الروحاني أن نُؤخِّد جميعنا فحاة إلى الرب ونكون معه كل حين، فلنتيقظ جميعاً ونسهر على أنفسنا.

يجب أن نُدوم الصلاة من أجل المُتَحاربين العرب واليهود معاً، فمن جهة العرب فهم إخوتنا وأصدقائنا. وفي هذه الساعة هم يسقطون قتلى وجرّحى، ومن جهة أعداء الوطن اليهود ها هم أيضاً يسقطون قتلى وجرّحى، ونحن نطلب لهم رجوعاً عن عُدوانهم وغيهم.

كذلك نطلب من الله أن يُحوّل نتيجة هذه الحرب في النهاية إلى خير روحي عام للطرفين وللعالم كله حتى تؤول أخيراً لمجد الله.

سؤال: هل لنا كرهبان أن نتكلم عن الأحداث الجارية الآن في العالم؟

جواب: المفروض أننا رُوحيون، والشخص الروحي إذا تقابل مع حادثة زمنية، فالمفروض أنه يُحوَّلها إلى حَدَثٍ روحي إلهي. وهذا ما حدث تماماً مع المسيح الذي تجسَّد وظهر زمنيّاً، فحوَّل الزمن إلى خلود، والحوادث الزمنية العادية حوَّلها بشخصه إلى أحداثٍ روحية إلهية خالدة، فمثلاً إذا تكلم مع السامرية عن الماء والعطش، فإنه حوَّل ذلك إلى مفهومات روحية عالية خالدة، وإذا تكلم عن الطعام الجسدي مع التلاميذ فإنه حوَّل ذلك إلى الطعام الخالد الذي هو عمل مشيئة الآب، وإذا حَضَرَ عُرْسَ قانا الجليل فإنه حوَّله إلى بركة روحية إلهية، وأعلن كَشْفاً عَجيباً لِحُبِّهِ للبشرية، وإظهاراً لسرِّ الفداء والصليب، أمّا إذا أراد أن يُطعِمَ الجموع فقد صار هذا معجزةً خالدة تُظهِرُ قوة لاهوته وكثرة عطفه ورغبته في رفع الإنسان من المستوى الجسدي المحدود إلى عدم محدودية حُبِّهِ وقدرته على كل شيء.

هذا هو الأمر الحادث مع جميع القديسين إذ أنّهم في كل عمل كانوا يعملونه، ولو كان تافهاً حقيراً، أو حادثة زمنية بسيطة، كانوا يُروِّجُونَهَا وَيُصَيِّرُونَ عملهم إلهياً خالداً بالروح القدس الساكن فيهم.

فنحن إن كُنَّا مُلتزمين بإقحام نفوسنا في هذه الأيام بالدخول في مجال المعركة الجارية، فيجب أن نلتصق بالحقِّ ونتحسَّس مشيئة الله ولا نتحيز لأحد.



ملاحظات على كتب التفسير

سبتمبر ١٩٦٨

بكل أسف فإن كل كتب التفسير الموجودة حالياً والتي تُفسّر الإنجيل، فإن طريقة تفسيرها لا تُشبع النفس ولا تُوفي بالغرض لأنّها كلها تقريباً تلتزم بتفسير كل آية على حدة. ففي قراءتها يتوه العقل في هذه المعلومات التي تُعتَبَر من جانب واحد بحسب تصوّر واعتقاد مفسّرها، وأحياناً ينحرف المُفسّر ويُعطى معنى آخر غير المقصود، وأحياناً يتكلم كلاماً ساذجاً بسيطاً كان يناسب الوقت الذي كُتِبَ فيه التفسير.

ليس مناسباً أن يلتزم الباحث الروحي بقراءة التفسير حتى لا تُحدّد معرفته، وتُضيق أفق استيعابه للإنجيل.

من الموافق والمناسب جداً أن تقرأ كتباً تُلقى ضوءاً على شخصية الرب يسوع نفسه، فتكون علاقتك وثيقة به شخصياً وتعرّف عليه، وعلى محبته، واتضاعه، وقدرته على كل شيء، والخلاص الذي أكمله، حتى إذا قرأت الإنجيل يُسهّل عليك بنعمة الله بهذه المعرفة [التي تُخصّص لها بعض الكتاب المشهورين، مثل "حياة يسوع" تأليف Farer الأسقف الإنجليزي وترجمه جورج عقداوى، و"حياة يسوع" ترجمة حبيب سعيد]، يُسهّل عليك أن تقترب من فكر المسيح وتستنير في معرفة ظروف كل حادثة من حوادث الكتاب المقدس فتُحسّ بقصد الرب يسوع واتّجاهاته في كل معجزة.

من العجيب أننا عندما نقرأ الأناجيل نستفيد أكثر حين قراءتنا لرسائل بولس الرسول أيضاً التي هي عبارة عن توجيهات روحية هادفة ومبادئ روحية قويّة واضحة، وبدونها نجد في الأناجيل مُجرّد قصص ومعجزات بسيطة ليس فيها وصايا مُوجّهة واضحة أو مبادئ روحية ظاهرة.

ولكن إذا رجعنا إلى أعماق رسائل بولس الرسول نجد أنه قد وضع كل رسائله ومبادئه الروحية الخطيرة على أساس أقوال الرب يسوع

وأعماله مُعتمداً أساساً على الأناجيل، لذلك يلزم جداً لنا مثل هذه الاستنارة في قراءتنا للأناجيل لكي نصل بنعمة الله إلى الكَنْزِ المُحِبِّ فيها فنفتي نحن ونُغني الآخرين.

وأنتَ تَرَى معي كيف ألقيتُ ضوءاً بسيطاً جداً على قصة معجزة عُرْسِ قانا الجليل في كتاب السيدة العذراء "ثيوتوكوس"، فتكشفت لنا مبادئ خلاصية خطيرة جداً في شفاعاة العذراء عن كل الناس ومحبة الرب يسوع للنفوس اللاهية عنه على مُتكآت هذا العالم.

في تفسير الإنجيل يلزم فقط إلقاء أضواء على المبادئ الإيمانية الهامة، ويُترَك للقارئ بعد ذلك أن يتمتع بحسب ما يأخذ من الروح، فمثلاً في إنجيل القديس يوحنا يلزم إلقاء الضوء على موضوع "الكلمة" أو "اللوغوس" ولماذا أُختير هذا التعبير؟ وموضوع "الدينونة"، وقد تكلم عنه الرب يسوع كثيراً وجاء في معنيين مُتعارضين (ارجع إلى فصل "مفهوم الدينونة في العهدين القديم والجديد" في هذا الكتاب). كما يلزم أيضاً شرحه وتوضيحه، وقس على ذلك المبادئ التي تكلم عنها الرب. أمّا طريقة شرح آية آية فهذه تُحدّد القارئ وتُلزمه باتجاه واحد وهو الذي يراه المُفسّر، ولكن الإنجيل كُتِبَ لكل المستويات.



الروح القدس وإلهامه فكر المسيح للكنيسة

سؤال:

- معروف أن الآباء الأوائل في الكنيسة تتلمذوا على يد الفلاسفة اليونانيين الوثنيين، ولابد أن بعضهم أتروا على التفكير المسيحي بانطباعات الفلسفة اليونانية القديمة، فكيف نفصل ونُفَرِّق هذه التعاليم الغريبة من التعاليم المسيحية الصحيحة؟

جواب: هذا سؤال رائع.

الروح القدس هو مصدر قوّة فكر الكنيسة، الروح القدس يعمل طوال هذه الأجيال ليحوّل فكر الكنيسة إلى فكر المسيح فهو يستخدم طرقاً كثيرة ليحدّد فكرها ويُقرّبها إلى فكر المسيح.

نلاحظ أنه يوجد تيار فكري غريب يسري في الكنيسة من العصور الأولى هو التفكير الأفلاطوني الأوريجاني الأوغريسي بجوار التفكير الآبائي البسيط، ومن العجيب أن ترى أن التفكير الأول هو في الكتب فقط أمّا التفكير الثاني الآبائي البسيط فهو الذي تسير عليه الكنيسة في كل هذه العصور في أشخاص الأتقياء من الكهنة والرهبان والعلمانيين.

الروح القدس ساهر على كلمته ليُجَرِّبها ويُنقِّئها من شوائب الفكر البشري عبّر الأجيال بطول أناة كثيرة.

«بأمة غيبة أعيظكم، يقول الرب» (رو ١٠: ١٩)، هذه إحدى الوسائل الهامة التي يستخدمها الله لتجديد فكر الكنيسة، فكلما يرى الروح أن فكر الكنيسة تحجّر، وتوقف كل نمو روعي فيها، فإنه يُثبّر عليها من الخارج أفكاراً غريبة فيها مَساس بكرامة الله والمسيح، أو فلسفات إلحادية تُقاوم المسيحية بشدّة، ولكن لا تخلو هذه الفلسفات من قيم أخلاقية عالية موجودة في عمق المسيحية، فتثور أولاً ثورة رجال الدين والمسؤولين ضد هذه البدع والفلسفات ثم ينتهي الأمر عندما تفتح

عيون المسئولين إلى هذه القيم العالية، فيتبنون الخير والصلاح الموجود في هذه البدع التي هي في الواقع كانت من صلب المسيحية، ثم بعد ذلك قليلاً قليلاً تنهار هذه البدع وتنتهي.

هذا ما حدث في الكنيسة الكاثوليكية عند ظهور البروتستانتية، فقد قامت البروتستانتية في مواجهة أحلك عصور الكنيسة الكاثوليكية وكانت ظلمة مُريعة، والاستبداد البابوي كان على أشده، حيث كانت تحرق أجساد المقاومين أحياناً. فقامت البروتستانتية تُنادى بالإنجيل وتعاليم الإنجيل، وبالتعمق في كثير من مبادئ المسيحية الهامة، فثارت الكنيسة الكاثوليكية جداً وصالت وجالت، ولكن انتهى الأمر إلى أن تبنت الكاثوليكية على مدى الأجيال كل المبادئ المسيحية الهامة الموجودة في البروتستانتية التي هي أصلاً من صلب المسيحية. وبذلك انتهت شوكة البروتستانتية بعد أن تحققت مبادئ البروتستانتية في الكاثوليكية. وكذلك أيضاً في الأرثوذكسية فقد حققت أيضاً نتائج باهرة جداً لأنها أيقظت الوعي الكنسي إلى التعمق في الإنجيل الذي هو أساس المسيحية.

قس على ذلك، الشيوعية والوجودية وبقية الفلسفات الإلحادية والعلوم الإنسانية أو علوم الإنسان **Anthropology** التي ظهرت في عصرنا الحديث، كلها ظهرت بسمح وبفعل وقوة الروح القدس لإغاظة الكنيسة المتكاسلة اللاهية المتغطسة لأنها لم تكن تريد أن تتجدد في فكرها، فظهرت هذه التعاليم المقاومة تُنادى بحرية الإنسان وبالسلام العالمي، وبقيمة الفرد في البشرية، واعترفت بتأثير الفرد في الجماعة وتأثير الجماعة في الفرد، وبأن الإنسان يجب أن يقبل أن يكون سيد الخليقة وإهاً فيها، وهذا كان أصلاً من صلب المسيحية، وهي بعينها الأمور التي أتى المسيح نفسه إلى العالم ليعطيها لنا. ولكننا نرى أنه بالرغم من أن هؤلاء المُلحدِين كانوا يريدون أن يمنحوا هذه الحقائق للبشرية بغير الله والمسيح، وهذا طبعاً خطأ وغير ممكن، بينما هي مُعطاة في المسيحية مجَّاناً بالمسيح؛ ابتدأت الكنيسة في البداية تُورثها ضد هؤلاء الفلاسفة وشتمتهم

وأهانتهم، ولكن لما تبصّر علماء الكنيسة وفهماؤها في الأمر اكتشفوا حقائق هامة جداً أنها موجودة أصلاً في المسيحية ولكن الكنيسة كانت تحتقرها وتستهبطها، فابتدأت الكنيسة تتبنى هذه المبادئ الهامة، وقليلًا قليلًا ضعفت شوكة هذه البدع الإلحادية.

أليس من العار على الكنيسة أن يُنادى الملحِدون الذين لا يؤمنون بالله ينادون بحريّة الإنسان وحرية الدُول والشعوب، بينما الكنيسة نفسها تستعبد الأفراد (بالحِلِّ والرَبْط)، وتستعبد الشعوب بالكراسة [قصة دير كاثوليكي في وسط أفريقيا أقام حفلةً للوطنيين، فوزع تماثيل للسيدة العذراء على الحاضرين الذين أحضروا هدايا من الفواكه والأغذية للرهبان، وكان الكاثوليكية أعادت عبادة الأصنام مرةً أخرى لهؤلاء المساكين الذين قدّموا غذاءً أجسادهم لكي ينالوا تعاويز في بيوتهم لحمايتهم بدلًا أن يُقدّموا لهم مساعدات مادية عملية تنفعهم في حياتهم البدائية حتى يشعروا فعلاً بمعاملات المسيح وأولاده معهم].

ثم لاحظ أن تجارة الرقيق كانت موجودة في العالم حتى سنة ١٦٠٠ ميلادية تقريباً بالرغم من وجود المسيحية، ولم تستطع الكنيسة أن تضع قانوناً تُحرّم فيه استعباد الإنسان لأخيه الإنسان.

وهكذا قليلاً قليلاً يُوجّه الروح القدس فكر الكنيسة وينحس ضميرها وعلى مدى واسع بشئى الطرُق حتى تقترب من فكر الإنجيل والمسيح، ولكن ليس بالقسر والإلزام.

فلا تخفّ، يا أخي الحبيب، فإنّ الروح القدس ساهر على الكنيسة ليُنقيها من شوائب الفكر والتيارات الغريبة.

ملاحظة: في كتاب "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، الطبعة الجديدة (الثانية عام ١٩٦٨)، التزمت من أول الكتاب إلى آخره أن أوضح الخط الأفلاطوني الأوريجاني الأوغريسي الذي تسلّل إلى التعليم المسيحي المستقيم الذي دخل في اللاهوت والنسك والعبادة.

الفكر الآبائي الشعبي في تدبير الكنيسة القبطية

رد على سؤال:

الفكر الآبائي الشعبي هو الذي يُهيمن على الكنيسة القبطية منذ الأجيال الأولى وحتى الآن، والكنيسة بما فيها من رؤساء أساقفة وأساقفة وكهنة خاضعة بحكم هذا المبدأ تحت سلطان أراخنة الشعب الأتقياء العارفين بالأصول الإنجيلية والطقس الصحيح، لذلك نجد أنه مهما حاد الرؤساء ومهما أخطأ الكهنة ومهما تعثرت الكنيسة في بعض الأوقات، فإن الفكر الآبائي الشعبي في الكنيسة القبطية هو "كالأخطبوط" يستطيع أن يُحاصر ويلتهم أي خطأ أو انحراف في الكنيسة مهما كان سلطان المسئول عن الانحراف، وهذا هو السرُّ في بقاء الكنيسة القبطية حيّة حتى الآن، ليس فقط بسبب طقوسها، فقد كانت هناك كنائس كثيرة مشهورة بدقّتها في طقوسها، ومع ذلك انحلت واندثرت (مثل كنيسة القسطنطينية، وكنيسة شمال أفريقيا، وكنيسة النوبة)، وهذا يُوضّح عمل الروح القدس في الشعب في الكنيسة القبطية.

كنيستنا ظاهرياً يحكمها الإكليروس، ولكن بحسب الواقع فالعلمانيون (أي المؤمنون غير المكرسين لخدمة الكهنوت ويُلقَّبون في التاريخ الكنسي بـ "المقدّمون في الشعب" و"الأراخنة") هم القوَّامون على الإكليروس، لأنَّهم هم الذين ينتخبونهم، فهُم المسئولون عنهم، فنتقل هذه المسئولية أيضاً بعد تولّي الأساقفة مراكزهم، ويظلّ العلمانيون في شعور دائم أنّهم مسئولون عن الأساقفة. فلو حدث أن أسقفًا انحرف وسلّح نفسه بعلمانيين يتبعون أفكاره ويحمونه، فهذا أيضاً بعد أن تنتهي أيامه وأيام من معه تبحث عنه وعن أفكاره فلا تجد لها أيّ أثر وكأنه لم يكن. وتوجد حادثة في تاريخ الكنيسة تُظهر قوّة تأثير الفكر الشعبي الآبائي: [البابا كيرلس الثالث بن لقلق الذي كان يبيع الرتب الكهنوتية، فطلب منه الشعب والأراخنة والأساقفة - ومن بينهم الأسقف الأنبا بولس البوشي

وكان قديساً - أن يُوقَف هذه التصرفات فلم يَسْتَجِب وأهان الشعب جداً ولم يسمع له، فشكَّوه للسلطان، فأحضره السلطان وأقام عليه دعاوي الشعب ولم يتركه إلا بعد أن أخذ عليه تعهداً أنه لا يسلك بالسيمونية ولا يقاوم الشعب]. فانظر كيف بلغ سلطان الشعب وقوة صلابته ضدَّ بطريك كان في مُنتهي القوة والعناد.

فاطمثنوا! فإن أي أثر خاطئ يُؤثر به أي رئيس في الكنيسة، فإن الكنيسة بما فيها من شخص الروح القدس العامل دائماً في أولادها الأتقياء تستطيع أن تمتص أي انحراف ولا يبقى في الكنيسة إلا المستوى الروحي العملي الواقعي الإنجيلي.

أنظروا كم من لاهوتيين مُتقفين يذهبون إلى الخارج ويأتون بأفكار غريبة عن روح كنيستنا ويحضرون لكي يُبشِّروا بهذه الأفكار ويظلمون يُنادون ويُشوقون ويتكلمون بها وربما يتأثر البعض سريعاً، ولكن تبحث عن هذه الأفكار في واقع حياة الناس فلا تجد لها أي أثر.

كنيستنا ليست فيها "أوتوقراطية" (أي حُكم الفرد المُتطرف)، بل ثيوقراطية (أي حُكم الله). الله هو الذي يحكم في الكنيسة وليس الفرد. قد يكون هناك فرد يتسلط ويقول: أنا قررتُ وأنا حكمتُ، ولكنه لا يدرى أن الله وراءه، هو الذي يتسلط ويحكم حتى وإن ترك هذا الرئيس مؤقتاً يمارس طغيانه، «مَنْ ذا الذي يقول فيكون، والرب لم يأمر» (مراثي إرميا ٣: ٣٧).

الله يمارس حُكمه في الكنيسة على مَمَر العصور من خلال الفكر العام الشعبي الذي هو دائماً بحسب روح الإنجيل وبحسب فكر الآباء القديسين.



عيد الغطاس المجيد

يناير ١٩٦٧

الكنيسة تُوجّه أنظارنا في كل مرة نُجرى فيها الطقس إلى ضرورة إيمانية لازمة لنا، فالطقس ضرورة إيمانية وليس مجرد واجب. ما هي أهمية معمودية يوحنا؟ ويوحنا هو بجملته نبي الله المرسل أمام الله لِيُعِدَّ الطريق. جاء يوحنا لِيُعَمِّدَ لكي يُظهر المسيح. إن لم يكن يوحنا قد جاء وعمد، ما كان ممكناً أن يُعرَفَ المسيح.

منذ البدء أعلن بالنبوة أن يوحنا سيتقدّم الرب بروح إيليا، هذا كان ضرورة حتمية، وكأنما المسيح محتاج إلى يوحنا. النبوة ذكرت ذلك سابقاً، وكذلك زكريا وأيضاً يوحنا: «كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكّمة (الجبل الصغير) ينخفض، ويصير الموعُجُ مُستقيماً والعراقيب سهلاً» (اش: ٤٠: ٤)، ونبوة ملاخي: «فيردّ قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا أضرب الأرض بلعن» (مل: ٤: ٦). لا تخف يا ملاخي لقد جاء يوحنا! «صوتُ صارخٍ في البرية: أعدّوا طريق الرب اصنعوا سُبُلَه مُستقيمة» (مر: ١: ٣).

هذا الأمر عجيب حقاً أن نسمع أن يوحنا كان ضرورة لكي يظهر المسيح، المسيح نورٌ «بنورك نرى نوراً» (مز: ٣٦: ٩)، وقبّل المسيح كان الشعب في ظلمة، ومتى كان للظلمة أن تلاحق النور، هل يمكن للذي عاش في الظلمة أن يلاحق النور؟ هلمّ ننزل على مُستوى عملي لنفهم، فالشعب كان عائشاً في ظلمة برغم الكهنة والهيكل، كان المسيح آتياً والشعب لا يستطيع أن يُدركه، لا بد أن يتهيأ الشعب ويستعد لمجيء المسيح، الأكام (التلال المرتفعة عن الأرض) تنخفض، أي الأشخاص المتكبرون يتضعون، والوطأ يرتفع أي الأذلاء وصغار النفوس يرتفعون، لا بد أن يأخذوا نفحة فيتشدّدون حتى يُظهر لهم المسيح. والموجّات أي ذوو القلوب المتلويّة لا بد أن تتطهر قلوبهم، والعراقيب أي المُعثرّون لا بد أن يرفعوا العثرة لئلا يصطدم بهم المسيح حجر الصدمة، كيف يكون

هذا؟

هل تطلب تجديداً؟ لا، إرفع الخطية من الوسط فيروا النور والرجاء، معمودية مُتوسطة بدائية فيها تُنخس القلوب لتعترف بخطيئتها، وإذا اعترفت النفوس بخطيئتها يُمكن أن ترى النور.

جئتُ أعمد بمعمودية خاصة، معمودية التوبة والاعتراف بالخطايا ونوال المغفرة، وبهذا يتأهل ويُعدُّ القلب البشري لقبول النور.

الذي عاش في خطيئة كيف يتعرف على الله؟ كان يوحنا يصرخ: "اعدوا طريق الرب"، "يا أولاد الأفاعى كيف تهربون من الغضب الآتي؟"، "لا يحلّ لك أن تأخذ امرأة أخيك" مع أن الذي يكلمه كان ملكاً، كان يوحنا المؤتّب والمؤبّخ الشديد قبل أن يأتي المسيح. والعجيب أن الشعب استوعب يوحنا ومعموديته، جاء الناس منحوسين بقلوبهم، جميلٌ جداً ومنظرٌ مُبدع أن نرى الشعب كله يخرج إلى يوحنا للتوبة، وهنا نرى جمال السيمفونية الرائع، لقد أُعلن مجيء الحمل، عندما خرج الشعب للاعتراف بخطيئته، في الحال أُعلن المسيح أنّه حمل الله الذي يرفع خطية العالم، فإذا اعترفت بخطيئتك يظهر لك الحمل. أنظروا التوافق الإلهي العجيب، عندما خرج الشعب للتوبة وجدوا المسيح أمامهم، ويوحنا يُعلن لهم أن هذا هو حمل الله الذي يرفع خطيئتك وخطية العالم كله.

يوحنا عمّد بمعمودية سُميت معمودية التوبة لمغفرة الخطايا. لو تتبعنا هل ذكر في العهد القديم عن المعمودية، نتحير، لأننا لا نجد لها أي ذكر أو إشارة، ولكن يمكن أن نتحسّس كالأعمى بعض لمحات.

- في سفر التكوين نقراً: «وكانت الأرض خربةً وخاليةً وعلى وجه العمر ظلمة وروح الله يرفُّ على وجه المياه» (تك ١: ٢) ، ثم بعد ذلك ظهر النور ثم الحياة، عجيبٌ جداً جداً، أنا أتكلم كلاماً سرّياً لا يُدرّكه إلا الذي يتعمق هذه الأسرار: ظلمة، نور، حياة.

- الشعب في العهد القديم في سفر الخروج "اعتمد" تحت السحابة في البحر الأحمر، «كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر» (١كو ١٠: ١؛ خروج ١٤: ٢٠)

معمودية بالجملة، لأنه ما كان يُمكن في ذلك الوقت الخلاص الفردي. البحر الأحمر كان يمثّل الموت، وفرعون مات فيه، وأمّا بالنسبة للشعب فكان البحر الأحمر يمثّل الموت والحياة: هو موت بالنسبة لفرعون، وحياة بالنسبة لشعب الله.

أما معمودية نهر الأردن فكانت تمثّل معمودية من نوع واحد، حياة فقط.

في الطقس اليهودي كان الكاهن يَرْحَضُ جسده (أي يستحم) بالماء قبل الخدمة لثلاث يموت، وكانت هذه أول إشارة إلى أهمية المعمودية وخطورتها. وفي دير السريان كانت تُوجَد مَرْحَضَةٌ (إناء الحميم) نحاس كانت تُستخدَم في الجليل الماضي للكهنة يَرْحَضُونَ فيها أرجلهم وأيديهم قبل الخدمة [ذَكَر لي ذلك راهب شيخ في دير البراموس ثم قرأتُ عنها في مخطوطة بعد ذلك].

أرأيتَ هذا التسلسل العجيب!!

من أين أتت معمودية يوحنا؟ معمودية يوحنا أتت وصارت ضرورة بعد أن توقفت ذبائح العهد القديم منذ مُدَدٍ طويلة، هنا أوجَد الله هذا المخرَج للشعب حتى يعرفوا المسيح ويقبلوه، ما كانت تُوجَد ذبيحة ليقبَر عليها الخاطيء بخطيئته! فكان لابد من أن تُوجَد له طريقة ليعترف بها بخطيئته، هنا أمرَ الرب يوحنا أن يُجرِي معمودية التوبة للناس.

قصة يوحنا معروفة: أنه وهو ابن سنتين خطفه ملاك الرب من على المذبح من يد أبيه زكريا الكاهن، الذي رَسَمه كاهناً وهو طفل، عندما أراد جنود هيرودس أن يقبضوا عليه ويقتلوه (حين كانوا يقتلون أطفال بيت لحم أيام ميلاد المسيح)، فأتى ملاك الرب وخطفه من يد أبيه بعد أن

لبسه أبوه جبة الكهنوت ونقله ملاك الرب إلى البرية، وهناك كبر إلى سين الثلاثين، حينئذٍ أرسل من الله إلى الناس المعمودية التوبة.

المعمودية على هذه الصورة بغير فادي أو مخلص معناها موت، كان الاعتراف بالخطايا يُوقِعُ المُعْتَرِفَ في حُكْمِ الموت، وبسبب عدم وجود الذبيحة التي تحمل الموت يصير المُعْتَرِفُ تحت حُكْمِ الموت، مثل واحد يعترف للقاضي أنه قتل فيحكم القاضي في الحال بالإدانة والموت، هنا المعمودية يوحنا تُوقِعُ حُكْمَ الموت على المُعْتَرِفِ إلى أن يأتي مَنْ يَفْدِي.

هنا يتدخل عنصر بديع جداً من عناصر الإنقاذ الإلهي التي تأتي في أوقاتها المُبَدِعة في روية، إسمع قوله: «غير عالم أن لطفَ الله إنما يقتادك إلى التوبة» (رو ٢: ٤)، وسمع كلمة: «نعمة الله المُخْلِصة لجميع الناس» (تي ٢: ١١). هل حُكْمُ الحياة كان أسبق أم حُكْمُ الموت؟ حُكْمُ الموت مُتخلف وأضعف من حُكْمِ الحياة، كما تطرح ٥ من ٦ ويتخلف باقي ١. كذلك الحياة أسبق وأعمق من الموت. فبالرغم من أننا أخطأنا، ولكن ما زالت لنا حصيلة من الحياة، وبالرغم من أنني آخذ صورة الشيطان عندما أخطئ إلا أن صورة الله التي أخذتها في الخليقة أولاً ما زالت أعمق وأقوى. ولذلك نسمع عن "نعمة الله المُخْلِصة" لنا جميعاً.

الله هو الذي حَكَمَ بالموت وهو الذي يستطيع أن يُوقِفَ حُكْمَ الموت، هذا ما حَدَثَ في المعمودية يوحنا، أرسله الله لكي لكي كل مَنْ يُقِرُّ ويعترف بخطيئته وينطق بها جهاراً أنه خاطئ، حينئذٍ يُحْكَمُ عليه بالموت مع وقف التنفيذ. هنا يتفوق الله على حُكْمِ القانون لأن الله لا يخضع للقانون و«كلمة الله لا تُقَيَّدُ» (٢ تي ٢: ٩)، بمعنى أن تستمر حياة المُعْتَرِفِ بخطيئته وهو في حُكْمِ الموت، وهنا في هذه اللحظة العجيبة لآبد من ظهور الحَمَلِ المسيح.

معمودية يوحنا قِسْمان:

الأول: الاعتراف بالخطايا وقبول حُكْمِ الموت.

الثاني: العفو المؤقت والاستمرار في الحياة.

أما المعمودية المسيح بجدِّ ذاتها فتشتمل معمودية يوحنا ضمناً، لأنها اعتمد من الماء والروح، والماء يمثل موتاً وحياة، والبروتستانت يقولون لا داعي للمياه، ولكن بدون هذه لا يمكن أن تتم المعمودية.

جاء المسيح الذي حمل فعلاً على نفسه خطية الإنسان، لذلك فمعمودية المسيح لا تحتل إلا معنىً واحداً هو قبول الحياة الأبدية، هي حياة في حياة وإن كنتُ أعتمد لموت المسيح أي آخذ المسيح المائت المقام، أي أنها موتٌ وحياة، ولكن المسيح يُعطي الحياة فقط، لذلك نَعَم أنا أجوز الموت حتماً لأن المسيح مات، ولكني سأقوم معه كما قام.

معمودية يوحنا لم تنته، يوحنا ما زال يُعِدُّ طريق الله، لا يزال يصرخ في النفوس لكي تتوب لكي يظهر لها المسيح، نحن نمارس كل يوم معمودية يوحنا.

النقطة الأخيرة من تأملنا في معمودية المسيح: بأيِّ حقٍّ وبأيِّ معنى يأتي الفادي ليعتمد من يوحنا؟ قال له المسيح: «اسْمَعْ الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نُكْمَل كلُّ برٍّ، حينئذٍ سَمَحَ له» (مت ٣: ١٥). كان لا بد أن يوحنا يُعَمِّد لتظَهَر أنتَ يا يسوع، وأما أنتَ فلأبِّي سبب تَعَمُّدِ وأنتَ القدوس؟ الجواب: "لكي نكْمَل نحن كلُّ برٍّ". هنا إذاً يُوجَد أكثر من برٍّ، بأكثر من معنى، بأكثر من قيمة روحية، وسوف أركز على قيمتين:

أ - كان لا بد للبشرية أن تعتمد، أن تعتمد اعتماداً صحيحاً مضبوطاً، «من آمنَ واعْتَمَدَ خَلَّصَ. وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنَّ» (مر ١٦: ١٦)، وقد رأى الرب بنظرته على ممر الأجيال الإهمال الشديد في إجراء سيرِّ المعمودية على المَعَمِّدين سواء من جانب الكهنة أو الطوائف التي تجهل سيرِّ المعمودية أو الذين يموت أولادهم من غير عماد طقسِي مضبوط، كان لا بد أن يعتمد المسيح في الأردن عن كل ذي جسد تحت يد يوحنا الكاهن ابن الكاهن لكي يتقبَّل، باتضاع، العمل الذي يستحقه كل مَنْ كان يشتهي أن يصير مُؤمِناً ولم يعتمد عماداً مضبوطاً، هكذا تعمَّد

المسيح لنا جميعاً، ونحن تعمَّدنا في المسيح.

ب - بأيِّ حقِّ يا يوحنا تضع يدك على الهامة المقدَّسة الإلهية؟ وكيف تنحني الرأس الإلهي تحت يد إنسان؟ أليس هذا هو صورة مُبدِعة للموت الذي ماتهُ المسيح؟! هذه هي صورة الإماتة العُظمى التي جازها المسيح، هذه دعوة لنا لنجتاز هذه الإماتة، دعوة أن نُكَمِّل هذا البرِّ، "نُكَمِّل" (هنا في صيغة الجمع) في شخص المسيح، هذا البرُّ التواضعي العجيب، والتواضع موت.

إن كان الإله قد تذلَّل تحت يد إنسان، فإلِمَّن ينبغي أن أتذلَّل أنا حتى أصير مثل إلهي؟ هل إلى الحيوان؟! أنا مُنذِهْل، حتى ولا هذا يأتي بالنسبة، فعندما تُقارن الإنسان بالحيوان نجد أن لا ملامَّة على الحيوان، لأن الحيوان لم يُخطئ! أمَّا الإنسان فأخطأ!! ومع ذلك أنا مُتَعَجِّب كيف لا يُخني كل واحد مِنَّا رأسه لأخيه؟

يوحنا نفسه لم يُوافق من نفسه على أن يضع يده على رأس المسيح، ولكن هذا تمَّ بناءً على أمر إلهي، متى نصير مثل المسيح؟ أنا مُتزعج، لماذا تَنَالَهُ؟ متى نَتَضَع لأخينا؟ متى نُباشِر فعل الإماتة؟ أندهِش أنه في الحياة الرهبانية لا أنحأ أو أبا يُخني رأسه لأخيه! فبأيِّ حقِّ يُخني الإله رأسه؟ يا آبائي وإخوتي، أنا أخاطب أرواحكم، إن لم يكن من خلال موت المسيح هذا، فانظروا الميلاد والعماد وسوف لا تروُن وليمَّة ولا حياة ولا ملكوتاً، وهكذا وضعت الكنيسة في طقسها أن تُعطيكم قُوَّة إيمانية من سنة إلى سنة.

سألني أخ: أعطني مشورة لأحيا بها في العالم، فقلتُ له: اذهب ومُت، اذهب وباشِر كيف تَميت نفسك.

لا يُمكن أن يرى الإنسان الله ويعيش «لأن الإنسان لا يراني ويعيش» (خر ٣٣: ٢٠)، أي لا يستطيع الإنسان أن يرى الله ويظل عائشاً، إن مُتَّ تستطيع أن ترى الله، مثل أيوب الذي كان يصرخ إلى الله بِشَتَّى أنواع الاحتجاجات، ولكن لما قال أخيراً أنه بغير جِلده وعظامه سوف

يرى الله حينئذٍ تحنن عليه الله ورفع عنه البليّة وأراه ذاته، أي عندما وصل ووضع في نفسه حكم الموت وآمن أنه بغير الجسد سوف يحيا ويتمسك بالله، حينئذٍ رأى الله.

ولذلك فالذي يحبه الرب يُؤدّبهُ بأن يختفي عنه بالتخلية، لن نرى عيداً ولن نرى حياة أبدية إلا من خلال هذه الرؤية، من خلال الفقر والموت، ولربنا المجد الدائم إلى الأبد.



ظهور المسيح أُلغى الأفلاطونية في علم اللاهوت

عيد الغطاس ١٩٦٧

المسيح جاء ليُعلن ما لم يكن مُعلنًا ويُظهر ما لم يكن ظاهرًا للإنسان، وبالتالي لم يترك للعقل فرصة أن يتصوّر غير المنظور، أو أن يرسم لنفسه صورة عن اللاهوت من تشبيهه الخاص أو من تصوّره، إذ أن اللاهوت بكماله حلّ بكلّ الملء جسدياً في المسيح، وكقول التسبحة "الأبدي صار زمنيّاً، وغير الملموس صار ملموساً، والذي لا يُحْدُ صار ممسوكاً *αἰθέρα* (أي تحثّر أو صار غليظاً). هنا أُلغى المسيح كلّ الأفلاطونية القديمة^(١) واللاهوت المنحجب، وسهّل على العقل أن يستسلم للإيمان لأن الإيمان صار ملموساً، وهنا علم اللاهوت القبطي واضح في تسبحة يوم الخميس في الأبصلمودية.



(١) الأفلاطونية نسبة إلى الفيلسوف اليوناني القديم "أفلاطون *Plato*" (عاش ما بين ٤٢٧ ق.م، ٣٤٧ ق.م). وتدور فلسفته حول السعي الدائم لتحصيل المعرفة الكلية الشاملة التي تستخدم العقل وسيلة لها وتجعل الوصول إلى الحقيقة أسمى غايتها، واللاهوت عنده يعني مجرد تصوّر عقلائي للإله المحتجب غير المنظور.

عيد القيامة المجيد

٣٠ أبريل ١٩٦٧

لا نستطيع أن نُؤمن ونُحسَّ بالقيامة المجيدة التي للرب يسوع، إن لم نقبل أولاً روح القيامة، فمثلاً مريم المجدلية التي رأت المسيح القائم من بين الأموات ولكن لم تستطع أن تعرفه أولاً إلى أن أعطاها المسيح قوَّة سيريَّة في حديثه معها، فقالت في الحال: "ربوبي" أي يا مُعلِّم. ومثال آخر هو تلميذا عمَّواس (يُقال إن الأول كان "كليوباس" والثاني "لوقا" لأنه كَتَبَ بالتفصيل عن هذه الحادثة). كان المسيح القائم من بين الأموات يسير معهما ويتكلم، ومع ذلك لم يعرفاه. أخذ يُفسِّر لهما موسى والكتب والنبوات التي تشير إليه، فلماً قَبِلَا الكلمة وصدَّقاها أعطاهما قوَّة القيامة «فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما». (لوقا ٢٤ : ٣١). واستطاعا أن يَرَيَا المسيح ويعرفاه.

لا نستطيع أن نُحسَّ بالمسيح المُقام إلا إذا قَبَلْنَا أولاً قوَّة القيامة في ذاتنا. وقوَّة القيامة أخذناها في المعمودية ولكنها مُتوقِّفة لعدم تصديقنا لكلمة الله والنُّبوءة. عندما نَقْبِل الكلمة ونُصدِّقها تعمل فينا قوَّة القيامة، فنؤمن به إيماناً أكيداً، هذا الإيمان بعلو على النظر المحسوس «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يوحنا ٢٠ : ٢٩).



تكلمنا كثيراً فيما سبق عن القيامة، ولكن ما زال ينقصنا أشياء كثيرة عن القيامة وستظل تنقصنا حتى يوم القيامة.

من الأشياء المدهشة أنكم تسمعون أن المسيح يقوم والتلاميذ لا يُصدِّقون! افتحوا عيونكم وقلوبكم، إن فهِمْتُمْ هذا الكلام الآن، يُزهر غداً. من المدهش حقاً أن مريم تُبشِّرهم ويأتي بطرس ويوحنا إلى القبر ويظَّهر المسيح أيضاً وحده، ولكن تلميذي عمَّواس في آخر النهار يقابلان يسوع وهما يتطارحان الأمر معاً قائلين: «بعض النساء منا حيرتُنَا إذ كُنَّ

باكراً عند القبر» (لوقا ٢٤ : ٢٢).

لم يقبل المسيح هذا الكلام أبداً، فقال لهما: «أيها الغيبان والبطيئان القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن يتألم المسيح بهذا ويدخل إلى مجده» (لوقا ٢٤ : ٢٥-٢٦).

كرّر المسيح هذه العبارة للتلاميذ، «ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدّقوا الذين نظروه قد قام» (مر ١٦ : ١٤) ، هذا الأمر يخصّنا.

قيامه المسيح من الأموات لها إعلان:

أ - فِعْلٌ زَمَنِي تَارِيخِي مَنْظُورٌ وَمُحَقَّقٌ.

ب - فِعْلٌ رُوحِي سِرِّيٌّ غَيْرُ مَنْظُورٍ وَغَيْرُ مُحَقَّقٍ.

والمسيح أكمل الفِعْلَيْنِ، فارتضى أن تكون قيامته حَدَثًا تَارِيخِيًّا مَنْظُورًا وَمُحَقَّقًا:

+ سَبَقَ فَحَدَّدَهُ زَمَنِيًّا: فِي ثَالِثِ يَوْمٍ يَقُومُ (مت ١٦ : ٢١، ١٧ : ٢٣،

١٩ : ٢٠؛ لو ٩ : ٢٢، ١٣ : ٣٢، ١٨ : ٣٣، ٢٤ : ٧، ٤٦).

+ وَأَكْمَلَهُ بِظُهُورِ حَقِيقَتِي مَلْمُوسٍ «انظروا يديَّ ورجليَّ إني أنا هو جسّوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي» (لوقا ٢٤ : ٣٩).

أ. فِعْلُ الْقِيَامَةِ الزَمَنِي: هُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ النَّادِرَةِ الَّتِي حَدَّدَهَا الْمَسِيحُ بِالزَّمَنِ. ظَلَّ الْمَسِيحُ طَوِيلَ كِرَاثَتِهِ يَقُولُ: «ينبغي أن يتألم كثيراً و يُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَ يُقْتَلُ وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ» (مرقس ٨ : ٣١)، لَمْ يُحَدِّدْ الْمِيْلَادَ، وَلَكِنْ حَدَّدَ الْقِيَامَةَ بِالضَّبْطِ، الْإِنْجِيلِ كُلَّهُ غَيْرَ مُحَدَّدٍ، وَلَكِنْ الْقِيَامَةَ تَرِبْطَنَا وَتَحَقَّقَ لَنَا الْإِنْجِيلِ.

هذا الفعل الزمّني مُفِيدٌ جَدًّا لَا بِخُصُوصِ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَلْزَمُ أَنْ يَتَحَقَّقَ بَدُونَ فِعْلٍ زَمَنِيٍّ، لِذَلِكَ نَرَى الْمَسِيحَ يُوبِّخُ تَوْمًا وَتَلْمِيزِيَّ عَمَّاسَ

بشدّة: «فقال لهما أيها الغيبان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء. أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده.» (لوقا ٢٤، ٢٥). أي أما كان ينبغي أن تؤمنا من أنفسكما وبدون برهان تاريخي ملموس أن المسيح يقوم؟! ولكن بخصوص تحقيق حياة المسيح التي لا يمكن تحقيقها تاريخياً، إلا أن القيامة أثبتتها كافة معجزات المسيح، كما أثبتت ميلاده البتولي من عذراء، كما أكدت وعد مجيئه الثاني.

لذلك نجد أن المسيح يظهر لمريم أولاً ثم للرسل ثم لخمسة مائة أخ، ويأكل معهم ويتحدث معهم ويستمر يظهر لهم مدة أربعين يوماً، وذلك لكي يتأكد للجميع تحقيق أساس تجسده، وموته الإعجازي، ومجيئه الثاني للمجازاة أي لكي يدخل كافة أفعال المسيح الفائقة للزمن والحواس إلى داخل الزمن والحواس، أي إلى دائرة المعقول والمحقق. لذلك أصبحت القيامة التي حققها المسيح كآخر معجزة هي الباب الوحيد والمفتاح الوحيد الذي ندخل به إلى كافة أسراره وبالأخص سرّ التجسد والفداء ثم سرّ مجيئه الثاني للدينونة.

فإذا لم يكن المسيح قد قام، فهو لم يمّت من أجل خطايانا «أنتم بعد في خطاياكم» (١ كورنثوس ١٥: ١٧)، وإذا لم يكن المسيح قد قام فهو لن يأتي ثانية، وبالتالي «إذا الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا» (١ كورنثوس ١٥: ١٨)، «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم. إذا الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا» (١ كورنثوس ١٥: ١٧، ١٨). فقيامه المسيح الزمنية فعلٌ حتّمي للإيمان بكل ما هو غير زمنيٍّ وما يفوق العقل (المعجزات).

ب. أمّا الفعل الثاني فهو فعل روحي غير منظور وغير مُحقق زمنياً، وهو الذي نتقبّله نحن الآن بالإيمان ونعيش فيه ومن أجله. فنحن الآن ننظر بالإيمان إلى فوق حيث المسيح جالس عن يمين العظمة في الأعالي، فالقيامة هي مصدر نور إيماننا أي نعيش فيها. كما أننا نجاهد كل يوم على أساس أن نُستعلن لنا القيامة في حياتنا، لكي نعيش فوق مُستوى هذا

الدهر ومطالبه، لأن هذا هو مضمون القيامة وقوتها أي برجاء آخر غير رجاء هذا العالم، «وأما أنتم فتروني أي أنا حيٌّ فأنتم ستحيون» (يو ١٤: ١٩)، أي نعيش من أجلها.

العلاقة بين الفعلين:

القيامة كفعل زمي تحقّق لنا الماضي: العهد القديم وكافة حوادثه، والعهد الجديد بكافة حوادثه. القيامة كفعل روحي تُعطينا هذه الحوادث عينها لنعيش بها ونعيش من أجلها، هذه وعود. والمفروض أننا نحقّق القيامة كفعل زمي، أن نتأكّد منها عقلياً وحسيّاً من مصدرين:

أولاً: من الكتب (أي أسفار النبوات وسفر المزامير)، وهكذا فعل المسيح مع تلميذي عمواس (لوقا ٢٤: ١٣-٣٢).
ثانياً: من شهادة الذين رأوا القيامة ولمسوها.

كذلك نحقّق القيامة روحياً:

أولاً: باتصالنا بالمسيح رأساً كعلاقة شخصية تقوم على المحبة والأمانة والطاعة «أظهر له ذاتي» (يوحنا ١٤: ٢١).

ثانياً: بتجرّدنا الداخلي، وتغرّبنا عن شهوة العالم، وانفكاكنا من الرُّبُط التي تربطنا بالناس المسوكين من هذا العالم، وحينئذٍ تسرى فينا قوّة القيامة أي الانتقال من الموت إلى الحياة.

والدرس الذي ألقاه المسيح على تلميذي عمواس يختصُّ بهذين الفعلين معاً، فالتميذان بصفتها تلميذين عاينا الرب ورأياه وسمعا تعاليمه ومعجزاته وتصريحاته بالقيامة التي سوف يكملها بعد موته بثلاثة أيام، ولكنهما كانا بطبيعي الإيمان فعلاً، إذ لم يتعدّ إيمانهما قيامة المسيح العتيدة أن تكون في نهاية الزمن كإيمان مرثا ومريم أي لم يستطع إيمانهما أن يحمل فعل القيامة الزمنية، وذلك لأن إيمانهما لم يستطع قبلاً أن يحتمل

إمكانية تألم المسيح وصلبته، فكان التلاميذ في الواقع ينتظرون استعلان ملكوت المسيح في الحال بدون موته، وإلا ينحصر الإيمان بعد ذلك في مجيئه الثاني، على أن يصعد المسيح بمجدٍ مثل إيليا تمهيداً لمجيئه الثاني، وهذا واضح جداً من تعليق التلميذَيْن على أخبار القيامة التي بَلَّغْتَهُمْ، «ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك. بل بعض النساء منا حيرنا إذ كُنَّ باكراً عند القبر. ولما لم يجدن جسده أتين قائلات إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي. ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت أيضا النساء وأما هو فلم يَرَوْهُ.» (لوقا ٢٤: ٢١-٢٤).

ومن هذا الاعتراف وَصَّحَ أن التلاميذ ظلُّوا حتى بعد إعلان القيامة وتحققها الفعلي غير مُؤْمِنِينَ!! والأكثر من ذلك تصريح توما الرسول، «فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب، فقال لهم: إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع إصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه، لا أؤمن» (يو ٢٠: ٢٥).

والتلاميذ بالإجماع لم يستطيعوا إيمانهم قبول فعل قيامة الرب بصورته الزمنية، «أخيراً ظَهَرَ للأحد عشر وهم مُتَكَبِّونَ وَوَبَّخَ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يُصَدِّقُوا الذين نظروه قد قام» (يوحنا ٢٠: ٢٥).

أما سبب توبيخ المسيح لهم بسبب عدم إيمانهم:

أولاً: فَلِكُونِ حَيَاتِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ كَانَتْ تَكْفِي لِلإِيمَانِ بِقِيَامَتِهِ، فالعهد القديم كان يكفي للإيمان بتجسُّد المسيح وتألمه وموته للفداء. وحياة المسيح وأعماله تكفي للإيمان بقيامته، وقيامته تكفي للإيمان بمجيئه الثاني.

ثانياً: لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الذين نظروه قد قام، حتى توما لم يُصَدِّقْ شهادة عشرة تلاميذ.

أسباب عدم إيمان التلاميذ بالقيامة في البدء:

- ١ - عدم استطاعتهم الجمع بين نُصرة القيامة وسحق الصليب.
 - ٢ - تصوُّر القيامة كحالة روحية غير عادية غير جسدية يصحبها قوَّة ومجد وسلطان ودينونة (في الجيء الثاني).
 - ٣ - الانحصار في الحوادث، وعدم الالتفات إلى الكلمات التي قالها الأنبياء والتي أوضَّحها المسيح لهم بخصوص موته وقيامته، وعدم التمسُّك بها وتُصديقها في الحال.
 - ٤ - عدم القدرة على تصوُّر انتهار الموت وغلَبته، فيقوم الجسد كما هو، كما أوضَّح المسيح لتوما: «قال له يسوع لأنك رأيتني يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٩).
- لذلك فإنَّ دَرَسَ المسيح كان مُنصَّباً على هذه العقبات، سواء لتلميذَي عمواس أو لتوما أو للتلاميذ المُحتَمِعِينَ، فشرَّح لهم الكتب (أسفار الأنبياء والمزامير)، وأراهم يديهِ وجَنَبِهِ، ولمسوه، وأكل معهم. وكان من نتيجة درس المسيح وشرحه النبوات لهم، أن قَبِلُوا القيامة لا كَفِعَل زَمَنِيٍّ يحتاج إلى ظهور الجسد ولمسه ولكن كحقيقة حيَّة خالدة يمكن التبشير بها للعالم أجمع دونما حاجة إلى مشاهدة القيامة. ففِعَل القيامة الروحي الذي هو مجدُّ ذاته قوَّة داخلية ونور وحياة أبدية وخلص هو مُتوقِّف بالدرجة الأولى على الإيمان بالقيامة كَفِعَل زمني تم وحدث، وذلك بتصديق الكتب (أسفار الأنبياء والمزامير) ووعده الرب.
- وطالما أنت تُؤمِن أن كلمة الله حقيقة أصبحت القيامة كَفِعَل زَمَنِيٍّ حقيقة أيضاً، لذلك تكون أنت غير مُحتاج أن تَرَى المسيح القائم من الأموات ولا أن تطلب أن تراه وتلمسه. لقد وَبَّخ المسيح توما والتلاميذ على عدم إيمانهم (يوحنا ٢٠: ٢٩ = ٢٤).
- + وها نحن لنا شهود كثيرون رأوا المسيح المُقام. وبولس الرسول نفسه وضع نفسه كَشَاهِدٍ «لي أنا أصغر الرسل ظَهَر لي» (١ كورنثوس ١٥: ٩).

+ ووعود كثيرة من قِبَل الرب تُقرِّر قيامته الزمنية المُحدَّدة.

لا يكفيك أن تُؤمن بقوة القيامة كحدث زمني فقط لكي تأخذ قوَّة القيامة السريَّة. دليل ضَعْف إيمان التلاميذ أنه بعد أيام من قيامة الرب رجع بطرس وبعض التلاميذ إلى صيد السمك!! ولكن المسيح ظَهَرَ لَهُم وقال لبطرس: «ارْعَ غَنَمِي» (يوحنا ٢١: ١٧).

الحَدَث الزمَني لا يكفي. لا بدُّ من الحدَث فوق الزمني لِتَقْبُلُ القيامة كَفِعَل إلهي. التلاميذ نظروا للقيامة كعمل غير مُختصَّ بهم بل مُختصَّ بالمسيح فقط أي أن المسيح سيأتي في مُلكه ويملك وأن ذلك أمرٌ خارج مسؤوليتهم أي أنهم سيملكون معه فقط كما قال لهم: «سَتَجلسون معي في مَجدي» (متى ١٩: ٢٨). إن تَفَهُمهم للقيامة كَفِعَل غير مُختصَّ بهم هذا حرَمَهُم من قوَّة القيامة. وكانوا يعتقدون كذلك أن القيامة تختصُّ بتحوُّل في الحياة يحدث لَهُم. فباختصار، ذهبت عنهم قوَّة القيامة لما أبعدها عنهم كَفِعَل إلهي إلى أن قال لهم المسيح: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (متى ٢٨: ١٩). لقد قال لمرثا أن تُخبر التلاميذ: «أن يذهبوا إلى الجليل (موطن الخدمة) وهناك يَرَوْنِي» (متى ٢٨: ١٠).

وكما كان المسيح يتألم، هكذا الكنيسة، وكما تألم وهو الإله هكذا نحن. الكنيسة مُتألِّمة في المسيح ولذلك فهي تتألم مثله ومعها.

يا إخوة تيقظوا معي، القيامة فعل إلهي، ولن يعمل فينا هذا السِرُّ الإلهي إلا إذا فهمنا أن القيامة فعلٌ نتقبَّله الآن، ولا ننتظره.

في وضعها الروحي، القيامة سارية فينا الآن:

المسيح، وهو الإله الذي فيه تكمن قوَّة القيامة، تألم وجُلد وشتم وضُرب! نحن مدعوون أن نستثمر القيامة تحت الآلام، أن نستثمر مجد القيامة تحت ثقل جزري وفضيحة الآلام. حينئذ تُثمر فينا القيامة، إلى أن نتقبَّل حقيقة القيامة كَفِعَل إلهي سِرِّي بنفس الآلام التي تجري على إخواننا الذين في العالم (بطرس الأولى ٥: ٩).

المسيح التصق بالآلام، جعلها شيئاً قريباً إلى نفسه أقرب من قربها لجميع بني البشر. المسيح كان مُنفِعاً للآلام حتى أنه مات قبل اللصين على الصليب، لم يدرأ عنه المأ ولم يستعف من أي ألم، لقد كان يستمتع بوضع العراقيل في طريقه! [مثال: عندما مات لعازر، انتظر المسيح ٤ أيام حتى تصعبت المسئولية. ومثال آخر: عندما قالوا له إن هيرودس يريد قتلك، لم يترك المكان بل أكمل خدمته ولم يهرب، وقال: « قولوا لهذا الثعلب: إني أعمل اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أكمل » (لوقا ١٣: ٣٢)، كان يقصد أنه سيواصل تكميل خدمته في ذلك المكان.

في بداية رهنبتي كانت عندي نفس الروح بدون أن أعلم أنها كانت طريقة المسيح، كنت أستمتع بوضع العراقيل أمامي وتألمت بسبب ذلك كثيراً وكنت أحسُ بخطورتها، ولكني بها عرفتُ المسيح، ولكن ما كنتُ أعرف لماذا أنا أعمل هكذا؟ ولكن المسيح كان يُقيمني دائماً.

طوبى للإنسان الذي يتقبل فعل القيامة لكي يكون أقل الكل، ويضع أمام نفسه العراقيل ولا يستعفي من العراقيل الموضوعه أمامه [مثال: مضايقات الإخوة لك في المجمع (وزملائك وأي إنسان) هي فعل قيامة لك وليست فعل صلب، لا يمكنك أن تحمل الصليب بدون قوة القيامة السريّة].

أساس قبول قوة القيامة السريّة: يلزم أن تكون مُستعداً أن تحيا حياة المسيح بالآلامها.



عيد الميلاد المجيد

يناير ١٩٦٨

يقول إشعياء النبي: «حقاً أنتَ إله مُحتَجَب يا إله إسرائيل» (إش ٤٥:

١٥).

هذه الآية ليس فقط استرعت نظري أو فكري، بل استرعت حياتي، في الحقيقة أنا وجدتُ أيضاً هذا، ولكني مُتَعَجَّب إن كان إشعياء النبي قد رأى الرب رؤيا العَيْن وقال: "ويلٌ لي إنِّي هلكْتُ لأني إنسان نجس الشفتين... لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود" (إش ٦: ٥). وبعد ذلك يقول: "أنتَ إله مُحتَجَب يا إله إسرائيل". رأيته أنا أيضاً هكذا، رأيته أنه مُحتَجَب جداً بالرغم من أني فُقتُ إشعياء النبي لأني رأيتُ الرب يسوع، رأيته بإيمان قلبي، ولكن بالرغم من ذلك أقرُّ أنه إله مُحتَجَب.

سمعت الملائكة تُهلل في السماء برؤيا واضحة لرعاةٍ ليسوا نُسَّاكاً ولا مُتَوَحِّدين ولا قديسين ولا كهنة، بل رعاة مُتَبَدِّين (أي يعيشون في البادية أي الصحراء) يحرسون حراسات الليل في قرية بيت لحم أو على مُرتَفَع بجوار بيت لحم، ومع الملاك المُبَشِّر ظَهَرَ فجأةً جمهورٌ من الجند السماوي يُسَبِّح بصوتٍ واضحٍ مَسْمُوعٍ سَحَّلته البشرية بطريقة عجيبة مُعْجِزِيَّة كما نُسَجِّل الآن على الاسطوانة والأشرطة: «المجدُ لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرَّة» (لوقا: ٢: ١٤). أقول: بالرغم من ذلك كلُّه، ظلَّ يسوع إلهاً مُحتَجَباً.

نما يسوع وكبَّر، واسْمُحوالي أن أتجاوز بيت لحم، إذ يجب أن أنْصِر الآن في بيت عَبْرَة حيث كان يوحنا يُعمِّد وأقف مع يسوع على نَهر الأردن لأرى، ليس ملائكة ولا رئيس ملائكة، ولكن إذ السماء انشقت والروح القدس ينحدر بشكل جسميٍّ بهيئة حمامة، وصوت ليس صوت ملائكة، بل صوت من المجد الأسنى، صوت الآب نفسه يقول: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت» (مت ٣: ١٧) أو «بِكَ سُررت» (لوقا: ٣: ٣٠).

٢٢) كما سَجَّلَهَا لنا القديس مرقس الرسول. وأيضاً أجتاوز العماد وأصعد على جبل التجلي وأرى مرةً أخرى السماءَ تصير أرضاً والأرض تصير سماءً، والتلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا شهود رؤياً يُسجّلون لنا كيف تجلّى الرب، ليس كَنَبِيٍّ ولكن أعظَم من نَبِيٍّ، وجهُهُ يلمع كالشمسٍ وحتى ثيابه صارت كالنور، وبالرغم من ذلك أقرّر لكم أن يسوع ظل وسيظل إلهاً مُحتَجَباً.

في هذه الليلة، وفي مثل هذه الليلة، يُعيّد جميع الطوائف بعيد الميلاد، ولو أعطيتُ للإنسان بصيرةً ليدرك مقدار التهليل العظيم الذي على الأرض كلها في هذه الليلة، كنائس كنائس، على وزن "قبائل وشعوب وألسنة" (رؤ ٧: ٩). كنائس تُهلّل وتُمجّد وشعوب وأمَم وألسنة من كل صنف تُهلّل وتُمجّد، ومع ذلك أقول: "بالحقيقة أنتَ إله مُحتَجَب يا إله إسرائيل". لأنه في الواقع بالرغم من التهليل الذي تُهلله البشرية، وبالرغم من صوت الملائكة الذي سُمِع، وبالرغم من صوت الأب الذي سُمِع ثلاث مرات (في العماد، وفي التجلي، والمرة الثالثة قبل الصليب، سُمِع صوت يقول: «مَجَّدتُ وأُمجّد أيضاً» (يو ١٢: ٢٨) عندما قال يسوع: «مَجَّد ابنك» (يو ١٢: ٢٨)، والسماء تنطق بمنطق الإنسان وعلى مَسْمَع البشر، ولكن بالرغم من ذلك كله فقد ظلَّ إلهاً مُحتَجَباً.

لم تستجب البشرية استجابة حقيقية لصوت السماء ولا لتجلي الرب، ولا استجابت لصوت الرب نفسه الذي قال في التجلي: «له اسمعوا» (مت ١٧: ٥)، وفي الأردن لما قال له: «بك سررت» (لو ٣: ٢٢). وبالرغم من هذه الإعلانات الباهرة، وبالرغم من أن المسيح نفسه يقول عن يوحنا المعمدان إن «يوحنا شهد له» (يو ١٥: ١٥)، ومع ذلك نجد يوحنا يُرسِل إلى يسوع تلاميذه مُتَسَائلاً: «أنتَ هو الآتي أم ننتظر آخر؟» (مت ١١: ٣)، والتلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا الذين رأوا التجلي على الجبل وكل ما هو مُتَجَلِّي في المسيح، نجد أن بطرس يُنكِر، ويوحنا من بعيد واقف، ولولا وجود العذراء لكان قد هرب.

إن البشرية لم تَسْتَجِبِ الاستجابة الكافية.

ولكن ما هذا التهليل في عيد الميلاد؟ هذه تهليل كاذبة، تهليل ظاهرية غير حقيقية. لو بحثنا عن هؤلاء المهللين نجد كل واحد منهم أتى وبطنه ملاءنة، ودَفِيَانًا، وجيبه فيه فلوس، أو واحد دَرَجَتَه وحالته طيبة إن كان موظفًا أو كاهنًا، إن كان خادمًا أو غير خادمٍ أو حتى أفقر فقير، إِبْحَثْ عن أفقر إنسان في أية كنيسة يوم العيد واسأله: هل بطنك مليانة؟ يقول لك: نَعَمْ، نشكر الله. إِبْحَثُوا عن الجوعانين سوف لا نجدهم في الكنيسة، عن العريانين سوف لا نجدهم في الكنيسة، التعلبى والمهمومين سوف لا نجدهم في الكنيسة، والذين خائهم الزمان، وظلمهم أخوهم الإنسان، سوف نجدهم تعبانين يَكْتُون غير قادرين على التهليل.

في الواقع وُلِدَ المسيح في بيت لحم وهَلَّت السماء، ونحن نُعَيِّد ميلاد المسيح على الأرض الآن في كل مكان ونُهَلِّل له، ولكن في الحقيقة ظلَّ المسيح «إله مُحتَجَب» (إش ٤٥ : ١٥). ففي كل المهللين على الأرض لا نستطيع أن نلمس المسيح مَولودًا، لأن التهليل كلها ظاهرية من قلوب أكلت وشبعت ومن فضلة الأكل والشبَع هَلَّت. وأنا أسأل: هل يُوجَد قلبٌ مكسور يُهَلِّل؟ إن وُجِدَ، فهذا يكون شاهدَ عيان أو يكون قد استُعِلن له إله إسرائيل.

في الواقع نحن لا نستطيع أن نقول عن تسايحنا في هذه الليلة أنَّها تسايح حقيقية إلا إذا كُنَّا نستطيع أن نُقدِّمها ونحن في أشدَّ العوز وفي أشدَّ الضيقات.

سألني أحد الرهبان: يا أباي، أنتَ تقول في إحدى كتاباتك إن الإنسان يكون مَضْنوكًا بضيقاتٍ كثيرةٍ وعوزٍ، ما معنى العوز؟ فضحكتُ في نفسي، نحن لم نَنصُنك بالعوز، العوز هو أن تجوع وتعطش ولا تجدَ أكلًا ولا ملابسَ تُغَطِّيك أو تُدْفِئكَ، كان هذا الأب يريد مِنِّي أن أشطب كلمة العوز لأنَّها غير مَفهُومة عنده أو مَبْلوعة في فمه.

في الواقع لا أستطيع أن أقول إن تسايحنا في هذه الليلة تسايح

حقيقية، فكل واحد سبَّح على المنجلية لا أستطيع أن أقول إنه قد سبَّح إلا إذا كان قد دخل في الضيقة وذاق العوز والظنك والألم ثم يهَلِّل ثم يشكر ثم يُسبِّح، لهؤلاء أستطيع أن أقول إن إله إسرائيل ليس محتجَباً ولكنه مُعلَن له، أمَّا الذين يُسبِّحون على أصوات الموسيقى وعلى أصوات كل آلات الموسيقى في الخوارج المنسقة في كافة كنائس العالم لا أستطيع إن أقول أن هذا تسبيح أو تهليل أو صدَى أو رَجَع لأصوات الملائكة التي علمتنا تسبحة الميлад. كل كنيسة في هذا الوقت تُسبِّح وتقول "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة"، ولكن ما هذا التمجيد لله وهذا الشعور بالسلام على أرض الشقاء وهذا الإحساس بالفرح في القلوب الحزينة والمتألِّمة؟

هذه التسبحة تكون حقيقية وتكون صادقة حينما نستطيع أن نُردِّدها في أحزاننا وآلامنا وضيقاتنا وأعوازنا، ولكن إن كُنَّا شبعنا بالطعام وامتأنا واستدفأنا فَمِنَ العسير على نفسي وعلى المسيح المولود في بيت لحم أن يقول إن هذه تسبحة.

في الواقع إن الأرض كلها لا زالت مُحتجبة عن حقيقة الميлад، وحقيقة الميлад ما زالت مُحتجبة عن الأرض كلها، لأنني في الحقيقة، كما قلت لكم، من خيرتي شعرتُ في حياتي وآمنتُ بآية إشعياء النبي إنه "بالحقيقة إله مُحتجَب"، لأنني تعلمتُ في سببي حياتي كلها أن أُسبِّح الله من أعماق قلبي، وبدلال (دالة) كنتُ أُسبِّح، ولما دخلتُ في الضيقات تُعثرُ لساني وخرج التسبيح مُتعثراً من لساني إن خَرَجَ، مَشوباً بالبكاء مُتأثراً بالآمي، لا أقول آلام من إنسان ومهما كان الإنسان، ولكن تجارب النفس التي يسوقها الروح القدس على الإنسان لكي يتشدَّد ويتقوى، هذا ما أقصده من تجاربي، ومنها تجربة كثيراً انحصرت نفسي في داخلي، ولما أحسستُ في نفسي بأني في فترة تحلِّي وظننتُ أن الرب تركني، وظني طبعاً خاطئ، صَعَبَ عليَّ التسبيح جداً، وتعثَّر لساني ولم يستطع التهليل، والتسبحة التي كنتُ أحبُّها جداً صارت غير ذات معنى،

والتسبحة التي كنتُ أسبِّحُها كل يوم بلا ملل عند شروق الفجر وهي
 ΠΙΟΤΩΙΝΙ ΝΤΑ ΨΑΛΜΗ في أيام ضيقتي حينما كنتُ أبتدئ أن أنطقها،
 يسكت لساني وأجد الدمع يسبق لساني وأسبِّح له تسبحة ليس فيها شكر
 ولكن فيها أنين وفيها دموع، وأخيراً عرفتُ أن تسيبحي السابق كان
 تسيبح الشَّبَع، كان تسيبح الدلال، ولم يكن تسيبهاً، وتيقنتُ أن الرب
 كان معي في خصومةٍ، لأنه لم يستسغ أنه في أوقات ضيقتي وآلامي أن
 ينحبس لساني عن التسيبح والتمجيد.

أحبابي، إخوتي، أنا لا أعظ الآن أنا أكلمكم من خلف السنين، من
 خلف الدموع، من خلف الضيقات، هذه ليست عظة، أستطيع أن أقول
 لكم أو أنقل لكم خبرتي وأقول: إن لم تستطع تمجيد الله في الأعلى في
 وقت ضيقتك لن تستطيع أن تُحسَّ بالسلام حينما ترتعد الأرض تحت
 قدميك، وحينما يستحيل عليك الشعور بالمسرة في لحظات ضيقة النفس،
 فالمسيح لم يُولد لك بعد ولم يترأ لك بعد، ولا يزال إله إسرائيل مُحتَجَباً
 بالنسبة لك. ولكن في اليوم الذي يستطيع فيه لسانك أن ينفك من حزن
 ظروفك ومن ضيقاتك وينطلق يُسبِّح لله في الأعلى وحينما تشعر بالسلام
 بملأ قلبك بالرغم من كل ما يُحيط بك من ظروف صعبة وحينما تشعر
 بالمسرة وأنتَ بين الناس وهؤلاء الناس ليسوا معك في مسرةٍ، فحينئذٍ
 تكون هذه المسرة وهذه التسبحة هي تسبحة الملائكة.

يا إخوتي أنقل لكم تجربتي ولا أعظ، هي تجربة خلاصة الحياة كلها.
 إن الملائكة حينما علّمت الرعاة تسيبح وتمجيد الخوارس السماوية
 لَقْنَتها إياها في منتصف الليل. وبعد منتصف الليل أشرق نورٌ، هذا معناه
 أنهم كانوا في ظلمة. ومعروف حسب الطقس أن المسيح وُلِدَ في نصف
 الليل واستعلنت الرؤيا في وسط الآلام والبرد والضيقة والحراسة الداخلية
 والخارجية. لم تكن في أوقات مسرة بل في أوقات ضيقة. هذه التسبحة ما
 زالت مُحتفية ولا زال كثيرون يقولونها من أفواههم ولا يستطيعون أن
 يَزِنوا عمق كلامها.

حينما نمجّد الله بالحقيقة، ما معنى التمجيد؟ نمجّد الله أي نرفعه، الله مجّد أي مُرتفع، وهو أبو المجد، أي القادر وأبو كل قدرة في رفع كل خليقة إليه، فحينما نمجّد الله أي نرفع خليقتنا الضعيفة إلى علوّه بالتسبيح والتمجيد. كونك نمجّد الله، لا تستطيع أن تمجّده وأنت في فنور؛ لا تستطيع أن تمجّد الله إلا وأنت في حالة صعود داخلي، صعود نفساني، في حالة تجلّي، في حالة رفعة، في حالة حرارة. لا يستطيع إنسان أن يمجد الله تمجيداً حقيقياً إلا إذا هو ارتفع بكيانه الداخلي، فيصير هذا الارتفاع الداخلي تحقيقاً لمجد الله لأن الله مجيد، أي رفيع أي مُرتفع، أي يقدر أن يرفع المنخفضات. يرفع المتواضعات والمتواضعين. حينما نشعر باتضاعنا نستطيع في حرارة هذا الاتضاع وهذه المسكنة أن نرفع كيانا كله بالتسبيح لله، هذا هو التسبيح، لا نستطيع أن تمجّد الله وأنت في حالة عظّمة أوفي حالة شعور بفخر أو بمجد، ولكن نستطيع أن تمجّد الله في اتضاعك وفي مسكنتك، حينما تشعر أن كيائك كله مُرتفع كذبيحة أمام الله، هذا هو عطاء المجد لله، كثيرون يسألون: ما معنى أن نُعطي المجد لله؟

كيف يُعطي الإنسان المجد لله؟ يُعطي! يُعطي! يُعطي المجد لله!

الله يُعطي المجد وأنا أُعطي المجد أيضاً!! أنا أُعطي المجد لله بكل كياني حينما أرتفع من التراب من المذبة من مزبلة الخطية ومن تراب الغريزة. أرتفع بقلبي بحرارة روعي لأُسبّح إلهي في السماء، هذه الرفعة هي تمجيد لله من غير شك، هذا إعلان وشهادة أن الله قادر أن يُقيم من المذبة ويجلس مع الرؤساء. حينما أرتفع بقلبي بتسبيحي الداخلي في أية لحظة، فيكون هذا هو التمجيد لله.

وما هو السلام على الأرض؟ الأرض لم تكن ولن تكون موطناً للسلام، من قال هذا؟ إن الأرض ليست موطن سلام، أبداً، ولكنها صارت كذلك حينما تلامست وتلامس وجهها مع جسد الرب يسوع، المسيح الموضوع في مزود البهائم في مغارة بيت لحم، صار سلام على الأرض بالضرورة. حينما نكون في أتعاب وضيقات ويكون المسيح بالحق

مولوداً في حياتنا وفي قلبنا، ونحن شاخصون بقلبنا شُحوصاً دائماً مُستمرّاً غير منقطع إلى ميلاده المُعجزِي وتَجسُّده الحادِّثِ فينا والذي نتشارك معه بالسِّرِّ كل حين، كما نحسُّ بهذا الإحساس أن الرب مُتلامس معنا، حينئذٍ لا بد أن يكون هناك سلام على الأرض. ومهما كانت الظروف شاقة وصعبة، إذا استطعنا أن نستوعب ميلاد المسيح استيعاباً روحياً حقيقياً حينئذٍ لا بد أن نحسُّ بالسلام. هذا هو السلام، حينما ترتعد وتتزلزل الأرض من تحتي، أشعر بالسلام، لأن الرب معي وهو في كياني، لأن الرب نَزَلَ وانحدر إلى الأرض وباركها.

الشياطين ظهرت للراهب وأزعجته من النوم وسَمِع صوت بوق حرب فخرج ينظر مَنْ بالطاقة، وقال: ما هذا؟ هل هي حرب؟ فَرَدَّ عليه الشيطان: نعم هي حرب يا راهب، تُحارب أم ترمي السلاح؟ هذه قصة رمزية، إن الراهب والناسك وأي إنسان اعتزل العالم هو في حرب مُستمرّة مع قوات الظلمة المُنبئة في الأرض وفي السَّماء، وهي قادرة أن تُزلزل الأرض والهواء حولك وتزعجك بلا إزعاج، وبلا سبب تجعل نفسك متضايقاً وفي حزن شديد.

إن لم يكن المسيح قائماً في كيائك وأنت تحسُّ بميلاده الحقيقي وتبَلامُسه معك على هذه الأرض التي هي سبب التعب والشقاء، حينما تحسُّ بهذا السلام، حينما تحسُّ بميلاد المسيح، تصير هذه الأوجاع كلها بمثابة دُخان، كما يقول كتاب بستان الرهبان عن أحد القديسين: "عندما رَسَم الصليب أو قال لِيَتَنَهَرَكُ الرب يا شيطان، صار الشيطان كدُخان". في الحقيقة لا نستطيع أن نشعر بالسلام على هذه الأرض أرض الشقاء، إلا إذا كان معنا رئيس السلام، إلا إذا كانت عيوننا شاخصة لا إلى فكرة لاهوتية تقول ضمناً إنه تجسَّد ونَزَلَ على الأرض، ولكن شاخصة إلى حقيقة حيّة ثابتة أن المسيح الإله جاء وتلامس مع أرضنا تلامساً أدياً، والى الآن تُسمّى الأرض موطئ قدميه. حينما نشعر بهذا، حينما نتعلّق به، يصير لنا سلام على هذه الأرض.

أما المَسْرَّة، فكثيرون يتوهَّمون أنَّهم في مَسْرَّة، ليست المَسْرَّة، يا إخوتي حصيلة اكتفاء ولا حتى اكتفاء روحي، ليست المَسْرَّة، يا أحبائي، التي جاء المسيح ليعطيها على الأرض، نتيجة أو حصيلة اكتفاء مادي حتى ولا حتى الروحي! ليس عندما تصلّي وتشفع في الصلاة وتشعر بالسرور، يكون هذا هو السرور الذي جاء المسيح ليعطيه على الأرض، ولا لما تصوم وتُحسَّ بحلقك الجاف، وبطنك كالكهف، وريقك الناشف المرّ، ورائحة فمك الكريهة، تنبسط لأنك تُقدِّم ذبيحة صوم لله فيكون هذا هو السرور، ولا لما تعيش في مجمع مع إخوة طيبين حلوين ووجوه كلها تُحب وتُبارك وتُعين وتُؤازر في كل وقت وفي كل مناسبة فنقول: يا سلام إن نصيبي حسن فُتسّر وتفرح، ليس هذا هو السرور الذي جاء المسيح ليُلقيه على الأرض، ولا لما تكون في نشوة روحية على أثر منظر إلهي، حتى ولو كان هو السيد الرب، فيمتلئ قلبك بالمسرة فتكون هذه هي المسرة التي جاء المسيح ليعطيها.

المَسْرَّة التي هتفت بها الملائكة يوم ميلاد الرب هي المَسْرَّة التي تستطيع أن تسود على الحزن، التي تستطيع أن تُولد في عمق أحزان الإنسان، هذه هي المَسْرَّة، ففي اليوم الذي فيه وأنت في شدّة الضغطة والحزن وفي وسط هذا الحزن وفي عمقه ينبثق لك فرح داخلي ومَسْرَّة وتعزّي، اعلم أن هذا هو السرور الذي جاء المسيح ليعطيه، إنه سرور عزيز لا تستطيع أي خليقة ولا أي اكتفاء ولا أي نعمة أو موهبة أن تُعطيه للإنسان، إلا الرب يسوع المسيح هو بنفسه الذي يُعطيه لأنه وُلِدَ في حُزن الأرض وفي صميم أحزانها وخطاياها. "ونحن بعد خطاة" وُلِدَ المسيح من أجلنا ومات. أي في عمق الحُزن، في عمق الموت، في عمق ألم البشرية وُلِدَ المسيح. إذاً عندما هتفت الملائكة في السماء بالفرح الذي علي الأرض وقت ميلاد المسيح، كان هذا هو الفرح الذي يعزُّ على الأرض جداً جداً والذي لم يُوجد بغير ميلاده أو بغير وجوده، فرح المسيح الذي يُولد في وسط أحزان الإنسان وفي وسط ضيقاته وفي وسط جفافه وبرودته يُولد الفرح، فيكون هذا هو الفرح الذي بشرت به الملائكة: "المجد لله في الأعالي

عيد الغطاس المجيد

٢٠ يناير ١٩٦٨

تُعَدُّ الكنيسة هذا العيد السيدي المبارك العظيم، وقد جعلته كبيراً، وهو بالحقيقة كبير، ليس للذين يفحصون عن المسرات العقلية أو الألحان، هذا العيد في الكنيسة القبطية أقل الأعياد ازدحاماً بالألحان ولكنه مزدحم بالمعاني القويّة، مزدحمٌ بالنبوات المتركزة في حِقبة ضيقة جداً. يومٌ هو يومٌ، يا آبائي، وحادثة بسيطة: اعتماداً في نهر سَبَقَ الروح وتنبأ على فَم الأنبياء قبل أن تتم هذه الحادثة بـ ٥٠٠ سنة. إشعياء يَصِفُ يوحنا وصفاً دقيقاً، ولم يَفْتُ زكريا أبو يوحنا الكاهن المُلهم أن يكتشف الصلة السريّة العجيبة ما بين إشعياء النبيّ، وبين الابن المولود في حضن أمّه رفعه على ذراعيه قائلاً: «أنتَ نبي العلي» (لوقا: ١: ٧٦).

يا آبائي، هنا يتعانق العهد القديم مع العهد الجديد تعانقاً عجيباً وتتصاغر السنون وتلتصق الحوادث، ولنقل بطريق شعيرية كالآباء: "تعال يا إشعياء النبي، تعال اليوم وهلل، لأن رؤياك تحققت، تعال بالإنجيل لترى مَنْ تنبأت عنه طفلاً صغيراً في حضن أمّه". وهذا زكريا الشيخ آخر المباركين والمعيّنين من الله ينطق بالنبوة مرةً أخرى، مَنْ أدراك يا زكريا؟ مَنْ أدراك أن هذا هو النبيّ؟ مَنْ أدراك؟

ولكن، يا آبائي، لكي يُكرّم الكهنوت في كل مكان وزمان، لم يُعوزَ هذا الزمان الذي اضمحلت فيه كل ناحية في إسرائيل كما قيل عنه: «جيل شرير وفاسق» (مت ١٢: ٣٩). هذا هو حُكم يسوع المسيح على الجيل الذي رآه والذي انتهى إليه شعب إسرائيل، ولكن الله لا يترك نفسه بلا شاهد، ففي هذا الجيل الفاسق حُفِظَت النبوة في فَم الكاهن، حقاً تكلم النبي: «لأن شَقِيَّ الكاهن تحفظان معرفة، ومن فمه يطلبون الشريعة لأنه رسول ربّ الجنود» (ملا ٢: ٧). وإن كان قد أعوزَ ذاك الجيل كل حكمة وكل نعمة، إلا أنه لا يمكن أن يُعوزَ الكهنوت قط في

أي جيل، وهذه هي علامة وشهادة أن نطقَ زكريا بنفس النبوة التي نطق بها إشعياء النبي وقال: «أنتَ أيها الصبيُّ نبيُّ العليِّ تُدعى» (لو ١: ٧٦)، أنتَ «صوتُ صارخٍ في البرية الذي سَتُعِدُّ الطريقَ أمامَ الربِّ» (إش ٤٠: ٣؛ مت ٣: ٣).

في التقليد الكنسي يُقال إن زكريا حينما طُلبَ منه ابنه لكي يُقتلَ بأمر هيرودس الملك أخذ ابنه في حضنه وهو ابن سنتين أو أقل وذهب به مُسرِعاً إلى الهيكل وأصعده على المذبح. وختَلَع أفود الكهنوت وألبسه لابنَه وكرَّسه كاهناً. وبعد أن أتمَّ تكريسَه إذا بملاك خَطَفَ الولدَ من بين يَدَيْه، فَخَرَجَ زكريا وإذا بعسكر هيرودس يطلبون يوحنا فقال لهم: "غير موجود"، فقتلوه. ومن هنا تُفهمُ الكلمة التي تقول: "إنه سيُطلب من هذا الجيل كل دمٍ أُهْرِقَ زوراً وظلماً من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بَرَحِيَا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح". واختطف الروح يوحنا وذهب به إلى البرية.



المعمودية والتوبة عن الخطايا

حديثنا هذا المساء ليس تاريخياً بشرياً، حديثنا رهبانيٌّ مُطْلَقٌ، فحينما أكتب أو أتكلم مع علمانيين أُحدِّثهم وأسرد لهم القصص، ولكن مع آبائي وإخوتي أتكلم عن التوبة، فهذا هو عيد التوبة. من التعبيرات السريّة العجيبة التي عبّر المسيح بها عن المعمودية، سمّاها صبغة **Βάπτισμα**. ولكن الذي يُدهش هو أنه حينما طُلبَ منه مرتين من أمّ يعقوب ويوحنا أن يجلسا الواحد عن يمين الرب والآخر عن يساره في ملكوته، قال لهما أن **يَصْطَبِغَا** بالصبغة التي **يَصْطَبِغُ** بها هو (مت ٢٠: ٢٢). ربنا سمّي الصليب، سمّي الذبح على الصليب، وسمّي تَحْضِيْبَ الجسد بالدم على الصليب، سماه "صبغة". هنا رَبَطَ الرب ما بين المعمودية والموت.

أحبائي، المعمودية في الحقيقة توبة، والتوبة صليب، فالتوبة موت. حينما أكلم العلمانيين عن التوبة أكلمهم عن عملية ثانوية يجب أن تتغلغل في حياتهم، فبعد أن يكدّ الرجل ويكدح في عمله أثناء النهار يقول لنا: "ماذا أعمل لكي أتوب؟" نقول له: "صل، اقرأ في الإنجيل، اعترف، تناول، افتح قلبك إلى الله.. الخ"، ولكن عندما يقول لي الراهب: "ماذا أعمل لكي أتوب؟" أسأله: "ماذا تعمل لكي تتوب؟!!!" حياتك كلها توبة أو بتعبير المسيح: حياتك كلها صبغة، أو بفكّ الرموز: حياتك كلها جهاد حتى الدم، صبغة دموية. يا آبائي، إنها موت حقيقي. حينما نتكلم معاً عن التوبة، كرهبان، ندخل إلى العمق. لا يستطيع إنسان أن يتذوّق التوبة إلاّ إذا كان قد تذوّق الخطيئة، ولا يستطيع إنسان أن يتذوّق الحياة الأبدية إلاّ إذا تذوّق التوبة. يا آبائي، الخطيئة موت، والتوبة موت، الخطيئة موتٌ يُنشئ موتاً، موتٌ في موتٍ وغضبٌ. نحن نعرف الموت معرفة حسّية، نعرف الموت أنه خروج النفس من الجسد، ولكن هذا التعريف بسيط غاية البساطة، الموت الحقيقي مُفْرِعٌ جداً ومُرْعِبٌ جداً. الموت الحقيقي هو فقدان الحياة الأبدية، شيء يستحيل

أن يُدركه إنسان إلا إذا أدرك الخطيئة، لأن الخطيئة وحدها قادرة أن تُذيقنا الموت الأبدي. الخطيئة وحدها هي التي تدلنا على معنى الحرمان من الله والحرمان من الحياة الأبدية. لذلك أقول لكم: ستظل التوبة تافهة إلى أن تُدرك عمق الخطيئة وفعلها في النفس والعقل، وستظل حقيقة الحياة الأبدية مُغلقة على أفهامنا حتى تُدرك معنى الموت والحرمان والغضب. يستحيل، يا آبائي، أن تُدرك معنى الحرمان والغضب والموت الأبدي إلا إذا أدركنا فاعلية الخطيئة في الكيان البشري، ساحموني في هذا، نحن استصغرنا الخطيئة جداً واعتبرناها شيئاً يدخل ويخرج، شيئاً يستطيع أن يُداعب فكرنا فنطرده أو يدخل قلبنا فيزعجه وحينئذٍ نزرجه فينطرد. يا أحبائي، نحن عرفنا الخطيئة معرفة تافهة جداً، لذلك لم تُدرك معنى الموت الحقيقي، لذلك لم نستطع التعمق في التوبة إلى الوضع الحقيقي، وبالتالي لم نستطع أن نُدرك إلى الآن معنى الحياة الأبدية أو أن نُحسها روحياً. يا أحبائي، الخطيئة ذات طبيعة شديدة البأس جداً، الخطيئة ذات طبيعة تستطيع أن تغلغل في كياننا البشري. الخطيئة، أول ما تُصيب فهي تُصيب العقل، وثاني ما تُصيب فهي تُصيب النفس، وثالث ما تُصيب فهي تُصيب الجسد. إذا أصابت الخطيئة العقل ونحن مُصابون كلنا، تحرمه من المعرفة الحقيقية الصالحة ومن إدراك الحق إدراكاً كلياً، يعرف بعض الشيء ويجهل كل شيء بالنسبة للحياة الأبدية، يعرف بعض الشيء فيما يختص بالخلاص، ولكن إدراك الحق الكامل للحياة الأبدية هذا يستحيل على العقل الذي سَكنته الخطيئة، إذا سَكنت الخطيئة الكيان البشري تُعذر جداً رؤية النور، تُعذر جداً معرفة الحق، تُعذر جداً الإحساس به.

ولا يُسعفني الوقت الآن حتى أتدرج بكم لكي تُدرك خطورة الخطيئة، ولكني أختصر القول، أنظروا ماذا كلفت الخطيئة الله نفسه!! حينئذٍ تُدركون حقيقة خطورتها، ولكن صدقوني، الذي يُدرك الخطيئة يستطيع أن يعرف ويقيس مقدار ما بذله الله من أجلنا.

يتيهياً لأنفسنا أنه حينما تأتي الخطيئة وتسكن فينا، يُمكننا بسهولة أن

نخلعها، ولكن الحقيقة أن الخطيئة إذا سكنت الإنسان يكون لها آثار من الصعب وشبه المستحيل التخلص منها.

وحينما تُصيب الخطيئة الإنسان يكون لها اتجاهان أساسيان: اتجاه في النفس، واتجاه في الجسد. فالخطايا التي تُصيب النفس أصلها وأبوها هو الكبرياء، والخطايا التي تُصيب الجسد أصلها وأبوها هو الزنا. الخطيئة التي تُصيب النفس وهي الكبرياء، إذا اعتبرناها أباً أو أمّاً، فلها "أولاد" بلغة كتاب "سُلم السماء، للقديس يوحنا الدرّجسي"، إذ يقول: "إبنتها البكر هي العداوة"، والأخرى الحقد، والغضب، والحسد، تفرّعات من خطية الكبرياء، ولكنها تفرّعات نفسانية. وإذا اعتبرنا خطية الزنا بلغة الدرّجسي أنّها أمٌّ أو أبٌ، فأولاد الزنا بلغة النُسّاك هم: شهوة الحنجرة (شهوة التلذذ بالطعام)، الشرّ، البطنة، شهوة الأطمعة، والتلذذ بها والامتلاء، وأيضاً يتبعها الراحة الجسدية والتلذذات الحسّية والمسرات الجسدية.

كل خطية من هذه الخطايا إذا سكنت الإنسان قادرة أن تُفسد كل هيكل الإنسان. يستحيل، يا آباي، أنه إذا سكنت الخطية الإنسان تخرج كما دَخَلتْ، لا يكون هذا ممكناً. لو كانت الخطية ممكنٌ خروجها كما دخلت، ما استلزم الأمر أبداً أن يتحسّد المسيح ويُولد، خروج الخطية أمر فوق الطاقة البشرية. لا تفكّر أنك إذا قبلت العداوة فيك أو إذا قبلت الغضب أو البغضة أو الحسد أو الحقد أو الشرّ أو الزنا أو البطنة.. إلخ، أنك تقدر أن تخرّجها. والزنا له درجات، يحكي عنه بولس الرسول فيقول: «زنا عهارة نجاسة دعارة» (غل ٥ : ١٩)، فكل خطية من هذه الخطايا لها تفرّعات، كل خطية من هذه الخطايا إذا سكنت في الإنسان يستحيل أن تُخرجها، مَنْ أنت؟! لا تظن أنك إذا أنت داعبت الخطية مع عقلك وتداعبت مع شهوة ما أو خطيئة من الخطايا التي ذكرناها، أنك تستطيع بعد أن تقبّلتها في عقلك وبقيت فيك وقتاً ما، وتركتها تسكن فيك وقتاً آخر وتتلذذ بها، وتعيش في حضنك بعض الوقت أنه يكون في إمكانك أن تتخلص منها ولو أضعت حياتك كلها في التوبة. هزّة

كبرياء، إذا دخلت داخل نفسك وسكنت فيك مُدَّة، وارتضيتها تداعب قلبك وعواطفك وقيلتها فعلاً، فمن المستحيل بحسب الطاقة البشرية كلها أن تُوجد قُوَّة تستطيع أن تُخرجها، إذ يحدث اتحاد بين الخطيئة والكيان البشري. لو أمكن للخطيئة أن تخرج من الإنسان ما استلزم الأمر أبداً أن يُصلب يسوع المسيح ابن الله، لكنه هو الوحيد الذي يستطيع أن يُخرج مِنَّا الخطيئة.

هكذا استهنا بالخطيئة. ولكن نريد اليوم أن نراجع أنفسنا، ماذا تقول لي؟ أتقول لي: أصوم؟ فلتصم!! أتقدر بالصوم أن تُخرج الزنا؟! هذا ليس ممكناً، قد يمكنك أن تُوقف قليلاً حركة الزنا، ولكن أن تُخرجه، فهذا ليس ممكناً، ولا أن تُخرج آثاره التي تُربك وتُخرِّب النفس؟! هذا ليس ممكناً. وأظن أنكم تذكرون كلكم قصة أبنا مقار لما سمع ذلك الشيخ الجليل الذي قال عن نفسه أنه غلبَ الزنا وحُبَّ الفضة والسُّبح الباطل، فذهبَ إليه أبنا مقار الحكيم وقال له: "يا أبي، أخبرني هل إذا رأيت امرأة في قلايتك على حصيرك، هل تحسبها رجلاً؟!" قال: لا، أراها امرأة. قال له: ألا تتأثر بها؟ قال له: أتأثر. فقال له: "إذا كنتَ تراها امرأةً وتتأثر بها فكيف تقول إنك غلبتَ الزنا؟! قل: أنا ربطتُ الزنا، ولكنك لم تغلبه بعد". أنتَ تُوقف الخطيئة فقط ربما كل حياتك، ولكنك وبالرغم من كل جهادك وكل آمالك وكل دموعك وكل نُسُكك، لا تقدر أن تصل بكل هذا أن تُوقف الخطيئة قليلاً، فإذا أرادت الخطيئة أن تشتعل ثانية تقدر أن تشتعل. من أجل هذا صُلبَ ربنا يسوع المسيح وسفك الدم، ونحن إذا اصطبغنا بصبغة الدم الإلهي نستطيع أن ننعث من هذا الموت، فالخطيئة موت.

يا آباي، أنا أسأل سؤالاً، أولاً أنا قلتُ إن موت الخطيئة يفوق موت الجسد مرات ومرات ومرات، أنتم معي في ذلك والإنجيل معي في ذلك، موت الخطيئة يمتدُّ لكي يجرمنا من الله والحياة الأبدية، هل يقدر موت الجسد أن يجرمنا من الله والحياة الأبدية؟ كلا. أسأل سؤالاً آخر: هل

تستطيع أن تتخلص من موت الجسد؟ أتستطيع أن تنزع موت الجسد منك؟ ما وجدنا إنساناً قط إلا الرب يسوع المسيح استطاع أن ينزع الموت من كيانه، نزعته كما ينزع الإنسان ثوبه. فهل تستطيع أن تنزع الخطية؟! أي هل تستطيع أن تنزع الموت من الحياة الأبدية؟! أي الحرمان من الله؟ هذا أمرٌ غير ممكن أبداً. الخطيئة صَبَّغَة مميته جداً جداً، تُميت بمعنى الحرمان من الحياة الأبدية وحلول غضب الله على الإنسان، من أجل ذلك قال يوحنا: «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياةً بل يَمُكُث عليه غَضَبُ الله» (يو: ٣: ٣٦) الذي هو موت الخطيئة. هذا هو عمل يوحنا المعمدان في هذه الليلة، فهو جاء لكي يُنبِّه الشعب إلى أثر الخطيئة.

موت الخطيئة هو موتٌ كياني يشمل النفس والعقل والجسد. يستحيل لأية قوَّة بشرية مهما أتت من عزيمته وإرادته أن تُخْرِج الخطيئة، الخطيئة تُميت العزيمة والإرادة، فقلُّ لي كيف تستطيع أن تُخْرِج الخطيئة بالعزيمة والإرادة؟! الخطيئة إذا مَكَّثت في الكيان البشري، إذا سكنت الإنسان، إذا استوطنت في الأعضاء، فإنها تستعبده للموت. وأقصد بالأعضاء أعضاء النفس وأعضاء العقل وأعضاء الجسد، وكل واحدة لها مراكز فيك. يُعْطِنِي الرب فرصة لأكتب في هذا الموضوع، النفس لها مراكز كثيرة: مركز الثقة، مركز الإحساس بالذات، مركز التغيرير بالذات، مركز الفحص، مركز المراجعة، مركز الإصلاح، مركز الملامة، هذه مراكز داخل النفس. والمراكز داخل العقل هي: مركز السلطان فوق العاطفة، مركز السلطان فوق الغرائز، مركز الطاعة لناموس الله، هذه مراكز عقلية. أمَّا مراكز الجسد فهي معروفة: مركز الجنس، مركز الشهوة.. إلخ. إذا أصابت الخطيئة الإنسان، أية خطيئة، فإنها تُفسد كل المراكز وكل الكيان، لها تأثير سلبي على كل المراكز إذ تُفقد كل ما لها من إيجابية إلهية من نور ومعرفة وحق وحياة. ما اكتسبته أنت بالموهبة وبالنعمة وما اكتسبته بالطبيعة تستطيع الخطيئة أن تُضعِف هذه المراكز

وَتَسْلِبُهَا قَلِيلاً قَلِيلاً كُلَّ مَوَاهِبِهَا، الْخَطِيئَةُ قَادِرَةٌ إِذَا اسْتَوْتَّطَتْ فِي الْجَسَدِ أَوْ فِي النَّفْسِ أَوْ فِي الْعَقْلِ أَنْ تَشْتَغَلَ وَحِدهَا حَتَّى تَنْتَهِيَ بِمَوْتِ الْإِنْسَانِ. بِمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا ارْتَضَى الْإِنْسَانُ بِالْعَدَاوَةِ أَنْ تَسْكُنَ دَاخِلَ قَلْبِهِ أَوْ بِالْبُغْضَةِ أَوْ بِالْحَسَدِ أَوْ.. الخ، فَإِنَّهَا تُخْرِبُ كُلَّ الطَّاقَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَكُلَّ الْمَرَاكِزِ الَّتِي تَكَلَّمْنَا عَنْهَا، وَيُصْبِحُ الْإِنْسَانُ فِي تَفْكِيرِهِ غَرِيباً. فَالْإِنْسَانُ الْحَقُودُ فِي تَفْكِيرِهِ غَيْرَ الْإِنْسَانِ الْحَلِيمِ الْبَسِيطِ الْحَلُوهِ، وَالرَّجُلُ الْحَقُودُ لَهُ تَرْكِيبُ نَفْسَانِيٍّ غَيْرِ الْإِنْسَانِ السَّوِيِّ. وَالْحَسَدُ أَيْضاً، فَإِنَّهُ لَوْ أَمَكَّنَ وَجُودَ طَيِّبِ مَاهِرٍ وَأَجْهَزةَ حَسَّاسَةٍ وَعَدَدْنَا إِنْسَاناً سَوِيّاً لَيْسَ فِيهِ حَقْدٌ وَإِنْسَاناً آخَرَ فِيهِ حَقْدٌ، فَإِنَّهُ يَمَكُنُ اكْتِشَافَ الْحَقْدِ الَّذِي فِي الْإِنْسَانِ الْحَقُودِ بِالطَّبِّ الْجَسَدَانِيِّ. وَأَقْلَبُهَا وَأَبْسَطُهَا أَنِّي إِذَا أَحْضَرْتُ جِهَازاً يَمِيسُ الذَّبذَبَاتِ الْعَصَبِيَّةَ وَطَوَّلَهَا، فَإِنَّا نَجِدُ أَنَّ الرَّجُلَ الْحَقُودَ أَعْصَابُهُ غَيْرَ أَعْصَابِ الرَّجُلِ السَّلِيمِ، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ: الْعَدَاوَةُ، الْحَسَدُ، الْغَضَبُ، الْبَطْنَةُ، الزَّنَا.. الخ. فَالْخَطِيئَةُ إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى إِنْسَانٍ فَإِنَّهَا تَسْتَوِلِي عَلَى جَمِيعِ مَرَاكِرِهِ.

وَلِنَفَرَضِ أَنَّكَ أَوْقَفْتَ الْخَطِيئَةَ حَتَّى لَا تَشْتَغَلَ فِيكَ، هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُذَلِّلَ آثَارَهَا؟ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ. وَأَطْنُ أَنْكُمْ كَلِّكُمْ تَعْرِفُونَ النَّاسَ الَّذِينَ يُصَابُونَ بِضَغْطِ الدَّمِ وَالسُّكْرِ. فَمِثْلًا رَجُلٌ تَشَاجِرُ مَعَ آخَرَ أَوْ يِعَادِي إِنْسَانًا، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ عِلْمَانِيًّا أَوْ شِمَاسًا أَوْ قِسًّا أَوْ رَاهِبًا، ثُمَّ يَدْخُلُ فِي قَلْبِهِ حَسَدٌ أَوْ حَقْدٌ أَوْ عَدَاوَةٌ، وَيَدُومُ مَعَهُ وَيَرْضَى بِهِ، فَإِذَا قَسْنَا ضَغْطَ الدَّمِ عِنْدَهُ، فَقَلِيلًا قَلِيلًا نَجِدُ أَنَّ ضَغْطَ دَمِهِ يَرْتَفِعُ، ثُمَّ يَشْتَدُّ الضَّغْطُ جَدًّا، وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يُصَابَ بِذَّبْحَةٍ صَدْرِيَّةٍ أَوْ يَصِيبُهُ مَرَضُ السُّكْرِ، وَالسُّكْرُ مَرَضٌ لَا شِفَاءَ مِنْهُ. طَبْعًا، مَرَضُ السُّكْرِ لَا يَأْتِي عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ نَتِيجَةُ الْخَطِيئَةِ، إِذْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ وَرَاثِيًّا، وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ هَذِهِ الْأَمْرَاضَ بِالذَّاتِ تَأْتِي نَتِيجَةُ أَعْتَابِ نَفْسِيَّةٍ (وَهَذَا لَفْظٌ طَيِّبٌ)، وَبِتَعْبِيرِنَا نَحْنُ وَبِتَعْبِيرِ الْأَطْبَاءِ أَيْضًا يَقُولُونَ لِمِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ: لَا بَدَّ أَنْ تَأْخُذَ الْأُمُورَ بِبِيسَاطَةٍ وَلَا تُزَعِّلَ نَفْسَكَ لِأَنَّ الزَّعَلَ يَأْتِي بِمَرَضِ السُّكْرِ، وَالزَّعَلَ يَأْتِي بِضَغْطِ الدَّمِ. الزَّعَلُ خَطِيئَةٌ يَا أَبَائِي. نَأْتِي بِالشَّخْصِ وَنَقُولُ لَهُ: لِمَاذَا أَنْتَ

زعلان؟ يقول: لأنهم لم يعطوني الدرجة أو لأن رئيسي مزعَلني. أقول له: وهل أنت تُصَلِّي من أجله؟ فيتساءل: أصَلِّي من أجله؟! بل أنا أدعي عليه ليلَ نهار. الحسد والحقد والعداوة والبغضة مَلَكَته من أوله إلى آخره، رفعت الضغط عنده فأصابته ذبحة صدرية، أو مَرَضَ بالسكر. هل يستطيع هذا الإنسان بعدما يُوقَف العداوة بعد أن أَكُون قد أَرَشَدْتُهُ ووعظتُهُ وعلمتُهُ وأفهمته المسيحية والمحبة ويكون قد ارتضى بقولي وآمن، ويقول لي: خلاص يا أبونا. هل يقدر أن يُخْرِج السكر؟ هل يقدر أن يُعيد ضغط الدم إلى وضعه الطبيعي؟! كلا.

يا آباي، الخطية لها آثار في الجسد يستحيل رَفَعها، أنظروا الآثار البسيطة، فما بالكم بالآثار المُمتدَّة المستطيلة غير المنظورة التي تمتدُّ إلى أن تصل إلى درجة الحرمان من الحياة الأبدية، أنا في الواقع لا أقدر أن أجمع شمل الموضوع، فهو كبير جداً جداً، ولي سنوات كثيرة وأنا أفكر فيه وأعيش فيه، لأن الخطيئة تداعبني وأنا أنزعها بكل إمكانياتي، ولكن ما هي إمكانياتي؟! إن كانت آثار الخطيئة يَعَسُر جداً رَفَعها، فما بالكم بالخطيئة نفسها! أظنُّ أنكم لستم في حاجة أن أشرح لكم الفرق بين الفعل وأثره. فَأَثَرُ الفعل أقل جداً من الفعل، الأثر شيء خارجي والفعل جوهرى، فإن كنتُ أعجز عن أن أرفع أثر الخطية، فهل يمكنني أن أرفع الخطية؟! هذا أمرٌ مستحيل.

حينما تسكن الخطية في إنسان، تبتدئ تعمل كما يبتدئ السرطان في نسيج من أنسجة الجسم، فإذا تُرِكَ قليلاً، ثم يحضر الطبيب ونقول له: يا دكتور، إستأصل لنا السرطان، فيفحص ويقول: متأسف جداً لقد فات الأوان، واستشرى المرض، ومَلَكَ السرطان في كل غُدَد الجسم، وتسرب إلى الدم. فالعلاج صار مستحيلًا! نقول له: يا دكتور أنظر شكل المريض، إنه شديد وهو يقدر أن يحتمل أية عملية. ويرد الطبيب: لا فائدة!! هكذا الخطية، هذا أقرب مثل للخطية وهو مثل محسوس. فالسرطان عندما يسكن الجسد، فإذا أُسرِعنا باستئصال السرطان من

الجسد بعملية سريعة فمن الممكن أن نُجَنَّب الجسد النمو السرطاني المميت، ولكن إذا تأخرنا قليلاً فسيقول الأطباء: لا فائدة، السرطان انتشر في الجسم كله.

كل هذا تمهيد، مُجرَّد تمهيد، حتى أقول لكم إن الخطية إذا سكنت في الجسم والعقل والنفس أصبح من المستحيل التغلب عليها من جهة آثارها ومن جهة فعلها ومن جهة جوهرها أو طبيعتها، فهذا أمر مستحيل. ماذا تقول؟ هذا بالحق أمرٌ خطيرٌ جداً جداً، لقد استهنا بالخطية، هل تظن أنك إذا رضيت بأن تُداعب عقلك خطية من الخطايا وتسكن فيه بعض الوقت، والدليل أن القلب قد صار ينشغل بها، هل تظن أنه يمكن الخلاص منها؟ وأوضح مثال لذلك هو العداوة والزنا، لأن هذين هما أمٌّ ومركزٌ لباقي الخطايا.

فالعداوة إذا سكنت الإنسان، فإنك تجد قلبك يهيج من الداخل؛ فإذا أتيت لتنام فإنك لا تستطيع، وعندما تتكلم تتلعثم في الكلام.

وكذلك أيضاً الزنا، فإذا ارتضى الإنسان بخطية الزنا أن تسكن قلبه وفكره، فإنك لا تجد فيه الثقة في النفس بل تجده يتلعثم في الكلام، ويدهمه شيء من الخجل فلا يكون سويّاً في المجتمع لأنه يعرف في نفسه أنه إنسان زانٍ، وطبعاً أنا أقصد زنا الاحتراف وليس الفكر العابر، لقد قبلَ الزنا فدخل إليه. ومثله كذلك احتراف العداوة. فإذا قبلت العداوة داخل قلبك وتفكرت في قلبك بالبعضة تجاه أحد، وأعددت له الأذى، وتمنيت له الضرر، بل وتضمن له الإساءة إلى حدٍّ أن تمنى له الموت أيضاً، فإذا وجدت أن هذه الإساءات لم تتحقق له، فإنك تبدأ في التفكير بأن تُسعى أنتَ إليه، وهذا معناه أن العداوة قد سكنت داخلك أو أن الزنا قد سكن في الداخل، فإذا سكنت الخطية داخل الإنسان، سكنه الموت بل سكنته الهاوية، فمنَ ذا يستطيع أن يرفعه من الهاوية؟! منَ ذا يستطيع أن يقيمه من الموت؟!

في عُرْفنا الرهباني البسيط الذي بغير تزويق: أننا عاثشون حياة توبة،

تسأله: تتوب عن ماذا؟ يقول: أتوب عن خطاياي. جميل، جيد، حسن للغاية. وما معنى التوبة؟ وما معنى أن تتوب عن خطاياك؟ أقول له: **اقتلِها، اقتلِها!** هل تقتلع الخطية؟ نعم. وكذلك أثرها؟! يقول لي: صعبة. فأقول: إن كان توقيف الأثر صعباً عليك، فكيف إذن تقتلع الأصل؟!!

معنى التوبة :

يا أحبائي؛ أقول لكم ما معنى التوبة بحسب ما أراها في ظلّ الصليب؛ بمعنى الصبغة التي تكلم عنها المسيح: «لي صبغة أصطبغها» (لو ١٢: ٥٠). التوبة إن كانت بالصوم أو إن كانت بالصلاة أو إن كانت بسهر الليالي أو إن كانت بالتضييق على النفس أو إن كانت بالبكاء أو إن كانت بالحزن، فكل ذلك لغاية واحدة هي أن أعرف ما هي الخطية. لذلك، كل جهاد توبتنا، يا آبائي، لا أستطيع به أن أرفع أثر الخطية ولا أن أقتلع الخطية بالتالي، كما قلتُ لكم، وإلا ما كان هناك عَوَزٌ ليتحسّد الإله ويصلب وينصبغ بالدم على الصليب. ولكن كان ذلك لغاية واحدة هي أن نتوب نحن، لغاية واحدة نحن تركنا العالم واحتمينا في هذه الوحدة وفي هذه البرارى المقفرة الموحشة: لكي نقيس طول الخطية وعرضها، واليوم الذي تستطيع فيه أن تتعرف أنت على طول الخطية وعرضها وتحسّس طبيعتها، حينئذٍ سوف تُدرك خطر الموت، الموت الحقيقي الذي هو فينا، وحينئذٍ سوف تُدرك خطورة الحرمان الأبدي الذي نحن مُعرّضون له بقدر ما فينا من خطية.

- وكما قرأنا في سيرة الأب سلوانس الروسي أنه بعد جهد جهيد وصل بعد تعذيب نفسي وبعد أن صمم أنه لا فائدة من الحياة وذهب إلى أب اعترافه وقال له: لا بد أن أنزل إلى العالم، لا توجد فائدة، أنا إنسان غير نافع لأني أحييا في الخطية وأنا غير قادر أن أغلبها، أعيش إذاً في العالم وأموت في العالم. ولما وصل إلى النقطة الحرجة ظهر له الرب، مُباركٌ سلوانس، وقال له الرب: اسمع منّي هذه النصيحة: "اجعل عقلك في

الجحيم وأحفظ نفسك من اليأس وأنت تخلص".

يا آباي، هذا ما أقوله لكم هذا المساء، الذي يُدرك الخطية ويحسها، تماماً هو مثل الذي وصل إلى الجحيم. عبثاً تحاول أن تعرف ما هو الجحيم، عبثاً تحاول أن تفهم ما هي الهاوية إلا إذا دخلتها، منطوق واضح غاية الوضوح هل تستطيع أن تعرف الشيء وأنت خارج عنه؟ ما هو الجحيم؟ وكيف أدخله؟ يا ربُّ رحمةً بسلوانس! قال له: اجعل عقلك في الجحيم تطوعاً.

ولكن في هذا المساء أنا لا أدعوكم أن تتطوعوا تواضعاً أي أن تتصوروا أنفسكم في الجحيم، ولكني أقول لكم: إنكم تستطيعون بسهولة أن تدخلوا عمق الجحيم وتعرفوا ما هو الجحيم حينما تُدركون ما هي الخطية وما عملها في النفس وما عملها في العقل وما عملها في الجسد، أدخل داخل نفسك وانظر ماذا عملت فيك الخطية وماذا حرّبت فيك، حينما تحصر نفسك مع الخطية كما في عنق زجاجة ولا مفرّ، وأعني أن تتواجه أنت والخطية وجهاً لوجه بحيث لا تستطيع أن تفلت منها ولا هي تفلت منك، حينما تواجهها تماماً كل يوم وتحسها حينئذٍ سوف تُدرك فرعها ورعبتها ومرارتها وجحيمها سوف تحس وتُدرك أنك في عمق الجحيم وسوف تصرخ من عمق الجحيم.

أنا لم أستطع في هذا المساء أن ألمس معكم فعل الخطية وليس أثرها، أي فعل الخطية في الكيان البشري. ولكن أقول عنه تنويهاً بما استلزمه هذا الفعل من موت الرب على الصليب، أستطيع أن أستشف من بُعد خطورة الخطيئة واتساع مدى فعلها في الإنسان، فقد استلزمت موت الرب على الصليب وتعذيب المسيح ابن الله، كل هذا لكي تُرفع حتى أصغر خطيئة في البشر، لأنه لو مع أصغر خطيئة يصير ضرورة رفع الخطيئة كلها، فمن أجل أصغر خطيئة أنت أخطأتها: «لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل» (يع: ٢: ١٠). من أجل هذا صُلب المسيح.

يا آباي، نحن هنا نعيش معموديتنا، نحن هنا نعيش توبتنا، نحن نعيش هنا لنعيش موتنا الأبدي، حينما نقيس خطيئتنا لا بد أن نقيس خطيئتنا تماماً ونُدرك موتنا تماماً، فحينئذٍ سوف نستطيع أن نرفع أعيننا للمسيح كتائبين ونقبل فعل الدم الإلهي على الصليب. فلتُنزَعِ الخطية مِنَّا بنعمة الله، وليرتفع أثرها أيضاً، ولتُكْتَبْ لنا الحياة الأبدية، ولربنا المجد الدائم إلى الأبد، آمين.



أحد الشعانين

(ملخص)

أبريل ١٩٦٨

لماذا نقرأ اليوم في الكنيسة أربعة أناجيل؟

إني أحسُّ بكل أسف أنكم غير منتبهين إلى ما ذكَّرته الأناجيل الأربعة، لذلك أحسُّ أنكم لم تُدركوا الحكمة من قراءتها، وهذه خسارة عظيمة، لقد ذكرتُ لكم مراراً كثيرة يا آبائي أن قراءة الكلمة هي حالة حلول للروح القدس، وتساءلتُ كيف يحلُّ الروح في نفوس غير واعية أو غير مُتيقِّظة؟! وإني لا أقصد اليقظة العقلية فقط، فكثيرون من العلماء عقولهم في مُنتهى اليقظة والانتباه ولكنهم لا يحظون بتأييد الروح القدس، لأن قلوبهم غير مُفتحة لكلمة الله. إن انفتاح القلب ويقظته يُوهِّلان الإنسان لقبول النعمة وعمل الروح في القلب والعقل معاً.

يا آبائي، بغير الهذيد في الكلمة واستيعابها بالقلب والعقل لا يُوهِّل الإنسان لقبول النعمة وعمل الروح في حياته بل ستكون حياته مجديبة عقيمة حتى ولو كَبُرَ عمره وشابَّ شعره، وحتى إن تكلم مع أحد لأجل المنفعة، فسيكون كلامه مُجرَّد خرافات عجائزية لأنه لم يتعلم شيئاً جديداً من الروح لأن قلبه لم يفتح يوماً للكلمة ليقبل عمق أسرارها. وها نحن قد سمعنا أن الهذيد في الأسفار كان شُغل آبائنا الشاغل حتى أنه من كثرة قراءتهم في الأسفار واستيعابها كانوا يحفظونها عن ظهر قلب.

وها نحن قادمون على أسبوع الآلام نسمع فيه قراءات كثيرة من أسفار كثيرة. فنحن، إذًا، مُحتاجون جداً للانتباه الشديد واليقظة القلبية لربط المعاني معاً لمعرفة ما يريد الروح أن يُعلِّمنا في كل ساعة لأجل خلاصنا.



في حادثة دخول المسيح إلى أورشليم تُوجد أمورٌ عجيبة نستقرؤها من

في حادثة دخول المسيح إلى أورشليم تُوجد أمورٌ عجيبة نستقرؤها من روايات الأناجيل الأربعة معاً، ومن التأمل في الحوادث الأخيرة للرب يسوع:

- الرب حضر وليمة العشاء يوم السبت في بيت عنيا في بيت لعازر حيث سكبت مريم الطيب على قدميه.

يُلاحظ أن بيت عنيا قرية من أورشليم نحو الشرق وبجوارها بيت "فاجي" أي مكان زراعة التين Fig، والكلمة مُشتقة من الكلمة اليونانية، وهو المكان الذي جاء إليه يسوع بعد ذلك بيوم (مر ١١: ١٢) ليطلب تيناً من إحدى الشجرات القريبة من الطريق ولم يجد، ويُلاحظ أن الآتي إلى أورشليم على الطريق من الشرق لا يرى إلا الجزء القبلي من المدينة وهو جبل صهيون لأنه عال. وأما الجزء البحري وهو أورشليم نفسها فلا تظهر للآتي إلا إذا اقترب من المدينة، لذلك تقول النبوة من زكريا: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون واهتفي يا بنت أورشليم، هوذا ملكك يأتي إليك وهو عادل، ومنصور (مُنْتَصِر)، وديع، وراكب على حمار وعلى حشش ابن أتان» (زك ٩: ٩).

- ثم يقترب الرب من المدينة فتظهر أورشليم فجأة (وهو الجزء البحري المنخفض عن الجزء القبلي)، ويقول الإنجيل في (لو ١٩: ٤١) إنه بكى عليها، وفي ترجمة أدق: "ناح عليها" أي بكى بحزنٍ ودموع قائلاً: «لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك ولكن الآن قد أخفي عن عينيك» (لو ١٩: ٤٢).

- لما سمع الذين كانوا في أورشليم بمناسبة العيد أن يسوع قادم من بيت عنيا، أخذوا سعف النخيل وأغصان الزيتون وخرجوا من أورشليم لاستقباله، فكانت المدينة هائجة والكل يتكلم عن معجزة إقامة لعازر من الموت.

يُظهر البعض أن الرب أرسل تلميذين ليحضيرا الأتان والحشش بدون أي تمهيد لذلك، ولكن الرواية لها تمهيد، فإذا عرفنا الآن كيف أن كل

أورشليم، لذلك كان من السهل جداً أن يذهب التلميذان إلى بيت فاجي المقابلة لبيت عنيا ويطلبان الأتان والجحش ليركب عليهما الرب.

- وَتَرَى أَنْ يَسُوعَ أَتَى إِلَى أُورُشَلِيمَ يَوْمَ الْأَحَدِ السَّابِقِ لَعِيدِ الْفِصْحِ. ولم يذكر الإنجيل ما هي المناسبة الطقسية التي تنطبق على دخول المسيح إلى الهيكل، ولكن باستقراء الحوادث وجدنا أن هذا اليوم يُقابل عند اليهود العاشر من نيسان الذي كان فيه يذهب كل واحد بخروف الفصح الذي سوف يذبحه يوم ١٤ نيسان (حسب خر ١٤)، ويُقدّمه للكاهن في الهيكل لأجل أن يفحصه. فإذا أقر بأنه صحيح، يصير هذا الخروف تحت الحفظ حتى يوم ١٤ نيسان مساءً لكي يُذبح فصحاً للرب. فهذا هو الانطباق المبدع بين الرمز والمزمور إليه، إذ تَرَى الرب يسوع يذهب بنفسه إلى الهيكل لكي يُقدّم نفسه للكهنة لكي يُفحص منهم. ونراه في هذه المرة يُقدّم نفسه ملكاً على أورشليم، فلما طلب منه الكهنة أن يُسكت تلاميذه والأطفال الذين يُردّدون الهتافات التي لا تُقال إلا للرب أو للملك المقام من الرب، لم يُوافقهم، بل على العكس قال لهم: «إِنْ سَكَتَ هَؤُلَاءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ» (لوقا ١٩ : ٤٠)!

- الرب يسوع كان دائماً يدخل أورشليم في هدوء وخفية، وكان يصنع آياته ومعجزاته ويوصي الناس أن لا يقولوا لأحد شيئاً، ولكننا نراه اليوم يدخل إلى أورشليم علانية، ويرضى أن يُهلّلوا له ويُقدّموا له أنشودة المسيا المُخلص.

- كان يجب أن يدخل المسيح كملك إلى أورشليم ليس كملك أرضي راكباً حصاناً (وهو ما يركبه الملوك الغزاة بالقوة)، ولا مُتقلداً شيئاً ما هو دليل السلطان الأرضي، ولكنه دخل كملك سلام، راكباً جحشاً، وذلك كملك يملك على القلوب المؤمنة المُحبّة للسلام. إن أورشليم الأرضية كان يجب أن يدخلها المسيح ظاهراً على الأرض، ولكن على حمار دليل السلام، وتحقيقاً لمعناها أنّها مدينة السلام.

- تَرَى أَنْ التَّلامِيذَ والأطفال كانوا يُهلّلون ويهتفون ويُسبحون.

ويقول الإنجيلي للقديس يوحنا إنهم كانوا يفعلون هذه الأمور وما كانوا يفهمونها أولاً، ولكن لما تمجد يسوع، حينئذٍ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه وأنهم صنعوا هذه له (يو ١٢: ١٦). فإذا سألت الأطفال والتلاميذ عن بهجتهم وفرحهم وتهليلهم فستحدهم لا يعرفون شيئاً سوى أنهم ببساطة قلب يتهللون للمسيح الذي أقام لعازر من الموت، ولا يدركون شيئاً أعمق من هذا. هذه هي حياة الإيمان. نحن نُهلل الآن، نحن نُصلّي، نحن نُسبِّح، نحن نصوم، ثم أسألك: هل أنت تعمل هذه الأمور مُنتظراً أن تنال شيئاً على الأرض؟ موهبة روحية مثلاً؟! تقول لي: كلا، أنا أُسبِّح وأهلل وأُصلّي فقط لأني فرحان بالرب يسوع ولستُ أعلم شيئاً آخر، هذه حياة الإيمان. وأخيراً سوف نعلم وتنكشف أمام أعيننا الأسرار العظيمة التي وراء تسييحنا وتهليلنا كما انكشف سيرُّ تهليل الأولاد الذين ما كانوا يعرفون شيئاً.

- كانوا يفرشون القمصان تحت أرجل المسيح، والقمصان هي رمز الشباب الذي تقدّم تحت أرجل المسيح، والأغصان رمز القلوب الطاهرة. لم يرفض المسيح هذه المشاعر الظاهرة الطيبة وهذه التقدّمات الثمينة، وقد سبق وأعلنها في بيت عنيا، عندما قدّمت مريم أخت لعازر الطيب وسكّبت عليه على قدميه. لقد قبلَ الرب التكريم لأنه التكريم اللازم للملك العظيم.



البصخة المقدسة

(مُلخَّص)

أبريل ١٩٦٨

أريد أن أسأل سؤالاً واحداً: هل كلُّ منَّا يستقبل البصخة المقدَّسة وقراءاتها وطقسها كما كان يستقبل باهتمام شديد الامتحانات عندما كان طالباً؟ هل تفزع وتضطرب عندما يفوتك معنى القراءات وكأنك مُقدِّمٌ على امتحان ستمتحن فيه هذه المعرفة الروحية التي فقَدْتها؟! أم أن الأمور كلها تسير في هدوء وبساطة ويأتي أسبوع الآم ويمرُّ آخر ونحن على ما نحن عليه!

أريد أن تكونوا جميعاً مثلي أن تأخذوا الأمور الروحية بجديَّة تامة.

مُلخَّص حوادث يوم الاثنين

في يوم الاثنين تُتلى قراءات قليلة. فقد رجع يسوع يوم الأحد إلى بيت عنيا وبات هناك، ثم رجع مُبكِّراً إلى أورشليم. ورأى شجرة التين التي لَعَنَهَا لأنه لم يجد فيها ثمراً، وشجرة التين ترمز إلى شعب إسرائيل وقد جاء الرب ليطلب الثمر منهم فلم يجد.

- تَرَى أن الرب كان جوعاناً في صباح الاثنين مُبكِّراً وهو سائر على الطريق إلى أورشليم، ونستقرئ من ذلك أنه كان يقضى الليل في الصلاة بعد يوم الأحد المزدهم بالحوادث.

- نلاحظ أن الرب في يوم الاثنين طهَّر الهيكل من باعة الحمام والحيوانات مرَّةً أخرى غير مرَّة يوم الأحد، فتصدَّى له رؤساء الكهنة قائلين: "بأي سلطان تفعل هذا؟" والمعروف أن بيع الحمام والذبائح كان يستفيد منه رئيس الكهنة، فكان جواب المسيح: "معمودية يوحنا كانت من السماء أم من الناس؟"، فكان سؤالاً مُخرِجاً للرؤساء، لأن كل الشعب كان يؤمن أن يوحنا نبيٌّ من الله، والرؤساء كانوا يعرفون ذلك ولكن لا

يُقرُّون، وأن يوحنا نفسه شهد عنه وقال إن هذا هو المسيا! هذا ابن الله! فَهَمُوا فِي الْحَالِ سَوَالِ الْمَسِيحِ لَهُمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُجِيبُوهُ. وَنَفَهُمَ مِنْ تَصَرُّفِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ ضَدُّ الْمَسِيحِ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنَّهُ هُوَ الْمَسِيَّا، وَأَنَّهُ لَمْ يُحْطِ، وَقَدْ سَمِعَ بِأُذُنِهِ عَنِ الشَّهَادَةِ الَّتِي شَهِدَ بِهَا يُوْحَنَّا عَنْهُ. نَفَهُمَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَنَّ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ كَانَ شَخْصًا لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَا بِالْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّهُ دَاسَ كُلِّ هَذِهِ الْحَقَائِقِ فِي سَبِيلِ الْإِحْتِفَازِ بِأَطْمَاعِهِ وَشَهْوَاتِهِ وَمَرْكَزِهِ.



يوم الثلاثاء:

الذين قاموا الرب يسوع في الهيكل يوم الثلاثاء هم:
أولاً: رؤساء الكهنة والكهنة والشيوخ، عندما سألوهم: «بأي سلطان تفعل هذا؟» (مت ٢١: ٢٣).

ثانياً: الهيروديسيون والفريسيون، أرسلوا له رسلاً لكي يُجربوه بخصوص إعطاء الجزية لقيصر، وهذه تُعتبر أول مرة تتفق فيها الشيعتان، لأن الفريسيين يكرهون جداً الهيروديسيين الذين كانوا يُعتبرون من أصل أدومي، فهم في نظر الفريسيين وثيون. ولكنهم اتفقوا معاً ليُجربوا المسيح بخصوص الجزية، وكان معروفاً بين اليهود جميعاً أنه لا يجوز إعطاء الجزية لقيصر، فالأمر كان مُبتئناً أن يُوقعونه في المصيدة أمام الجميع علناً، فأجابهم الرب: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (مر ١٢: ١٧)، وذلك بعد أن سألوهم: «لكن هذه الصورة والكتابة؟» فقالوا: لقيصر. قال لهم: إن كنتم قد ارتضيتم أن تضعوا على العُملة صورة قيصر وما أنتم تضعونها في جيوبكم وتعاملون بها فمن الواجب أن تُعطوه حقّه.

- ولكن هل هذا يعني أنني لا أستطيع أن أعطي لله كل ما لي؟

- الجواب في نفس الإصحاح في إنجيل مرقس ١٢: ٤٢: «جاءت أرملة فقيرة وألقت فلسين». وقال عنها المسيح: إن هذه «من أعواها أَلَقَتْ كل ما عندها، كل معيشتها» (١٢: ٤٤)، حينئذ لا يُقدّر قيصر أن يأخذ منها شيئاً لأنها لم يُعد معها شيء.

سؤال: كيف عرفوا أن المرأة أَلَقَتْ فلسين؟!

جواب: كان في الخزانة ١٣ صندوقاً، كل صندوق مكتوب ومرسوم عليه القيمة التي ستوضع فيه، فذهبت المرأة لتدفع الفلسين في صندوق الفقراء. والذي كان عليه نذُرٌ تطهير مثل السيدة العذراء، فرخي حمام أو زوج بتمام كانت تذهب إلى الصندوق المُعين لذلك وتدفع قيمة النذُر.

ثالثاً: الصدوقيون، وهؤلاء قومٌ مُتَقَفُونَ يُسْمُونَ بِاسْمِ أَبِيهِمْ "صادوق"، وهو شخصية قديمة، وقد تتقَّفوا بالثقافة اليونانية ولهم بدع كثيرة. هؤلاء أتوا ليُحَرِّبُوا المسيح عن المرأة التي تزوجت بسبعة أخوة، فَلَمَنْ تَكُونُ زَوْجَةً فِي الدَّهْرِ الْآتِي؟ قال لهم: «تَضِلُّونَ إِذْ لَا تَعْرِفُونَ الكِتَابَ وَلَا قُوَّةَ اللَّهِ... لَيْسَ اللَّهُ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ، فَأَنْتُمْ إِذَا تَضِلُّونَ كَثِيراً» (مت ٢٤: ٢٧).

نَرَى أَنَّ الرَّبَّ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ فَنَّدَ ادِّعَاءَاتِ رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ: «بَأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا» (متى ٢١: ٢٣)، وادِّعَاءَاتِ الهيروديسيين والفريسيين فِي إعْطَاءِ الجِزْيَةِ لِقَيْصَرَ، إِلَّا أَنَّ رَئِيسَ الكَهَنَةِ سَجَّلَهَا، وَالاْتِهَامَاتِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الْبَارِّ أَنَّهُ «يَعَادِلُ نَفْسَهُ بِاللَّهِ» (يو ٥: ١٨).

حوادث الثلاثاء:

جفاف التينة فِي الصَّبَاحِ وَتَعَجُّبُ التَّلَامِيذِ، وَقَوْلُ الرَّبِّ: «لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللَّهِ» (مر ١١: ٢٢).

— سؤَال: "بَأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا؟"

مَثَلُ الْاِبْنَيْنِ: وَاحِدٌ خَالَفَ أَبَاهُ ثُمَّ نَدِمَ وَرَجَعَ، وَالْآخَرُ قَالَ: "هَا أَنَا ذَا يَا سَيِّدَ،" وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمْضِ. ثُمَّ «إِنَّ الْعَشَارِينَ وَالزَّوَانِي يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ، لِأَنَّ يُوْحَنَّا جَاءَكُمْ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، أَمَّا الْعَشَارُونَ وَالخَطَاةُ فَآمَنُوا بِهِ، وَأَنْتُمْ إِذْ رَأَيْتُمْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَحْيَرًا لِتُؤْمِنُوا بِهِ» (مت ٢١: ٣١، ٣٢).

مَثَلُ الْكِرَامِيِّينَ الْأُرْدِيَاءِ:

إِرْسَالِيَّةُ الْهِيَرُودِيْسِيِّينَ وَالْفَرِيْسِيِّينَ:

مَثَلُ الْعُرْسِ: «قُولُوا لِلْمَدْعُوبِينَ: هَا غِذَائِي قَدْ أَعْدَدْتُهُ، ثِيَابِي وَمُسْمِنَاتِي قَدْ دَبَّحْتُ وَكُلَّ شَيْءٍ مُعَدًّا. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ، وَلَكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضُوا وَاحِدًا إِلَى حَقْلِهِ وَآخَرَ إِلَى تِجَارَتِهِ... ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ: فَادْهَبُوا إِلَى

مَفَارِقِ الطَّرِيقِ وَكُلِّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ فَادْعُوهُ إِلَى الْعُرْسِ... أَشْرَاراً وَصَالِحِينَ»
(مت ٢٢: ٣-١٠).

إِرْسَالِيَةِ الصَّدُوقِيِّينَ: «آيَةٌ وَصِيَّةٌ هِيَ الْعُظْمَى» (مت ٢٢: ٣٦)،
«قَالَ دَاوُدُ بِالرُّوحِ: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَن يَمِينِي حَتَّى أَضَعَّ
أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ» (مت ٢٢: ٤٤). «تَحَرَّزُوا مِنَ الْكُتْبَةِ الَّتِي
يُرِغِبُونَ الْمَثْنَى بِالطَّيَالِسَةِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي الْأَسْوَاقِ» (مر ١٢: ٣٨).

وِيَلَاتِ الْكُتْبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ:

«يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ... هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً» (مت ٢٣:
٣٧، ٣٨). وَلَمْ يَعْذِرْ الرَّبُّ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أُورُشَلِيمِ.
وَحِينَمَا أَرَاهُ أُنْبِيَاةَ الْهَيْكَلِ قَالَ: «لَا يُتْرَكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَّا
يُنْقَضُ» (مت ٢٤: ٢).

- سَوَالِ بَطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا وَأَنْدْرَاوَسَ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ
الزَيْتُونِ عَن عِلَامَاتِ آخِرِ الزَّمَانِ، وَإِعْلَانِ الرَّبِّ عَن عِلَامَاتِ خَرَابِ
أُورُشَلِيمِ وَعِلَامَاتِ مَحِيئَةِ الثَّانِي: «أَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْزِمُ
بِهِمَا أَحَدٌ... إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ» (مت ٢٤: ٣٦)؛ «اسْهَرُوا وَصَلُّوا»
(مت ٢٦: ٤١). طُوبَى لِلْعَبْدِ الْأَمِينِ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ سَاهِراً: مَثَلُ
الْعَشْرِ الْعِذَارَى (متى ٢٥).

فِي نَهَايَةِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ أُقِيمَتْ لَهُ وَليمة عشاءٍ فِي بَيْتِ سَمْعَانَ الْأَبْرَصِ،
وَامْرَأَةً فِي الْمَدِينَةِ تَشَبَّهَتْ بِمَرْيَمِ أُخْتِ لِعَازَرِ الَّتِي جَاءَتْ وَسَكَبَتْ قَارُورَةَ
طِيبٍ عَلَى رِجْلَيْهِ، وَالْأَخِيرَةَ سَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ لِكَيْ يَكْمُلَ تَطْيِيبَ جَسَدِهِ
لِأَجْلِ تَكْفِينِهِ.

مَثَلُ الْوِزْنَاتِ:

يَوْمَ الدِّينُونَةِ: «تَعَالَوْا إِلَى يَا مُبَارَكِي أَبِي رَثُوا الْمَلِكُوتَ الْمُعَدَّةَ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ
الْعَالَمِ لِأَنِّي جَعْتُ فَاطِعَمْتُمُونِي، عَطَشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي، كُنْتُ غَرِيباً فَأَوْثَمْتُمُونِي،
غَرِيباً فَكَسَوْتُمُونِي، مَرِيضاً فَزُرْتُمُونِي، مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمُونِي» (مت ٢٥: ٣٤-٣٦).

يوم أربعا البصخة

من الواضح أن الرب يسوع اعتكف في ذلك اليوم للصلاة، وهذه كانت عادته قبل الأحداث الخطيرة.

إجتاز التلاميذ كلهم محنة شديدة إزاء كلمات الرب بأنه بعد يومين سوف يكون الفصح وابن الإنسان سوف يُسَلَّم ليُصَلَّب وقد قال هذا علانية.

لم يستطع التلاميذ أن يتقبلوا ضعف المسيح، فانبرى بطرس يريد أن يحمل هذا الضعف عنه إذ أحسَّ بضعف المسيح خُلُوعاً من قُوَّته، فقال للرب: «ولو اضطرَّرتُ أن أموتُ معك لا أنكرُك» (مت ٢٦: ٣٥)، فقال الرب: «ستنكرُني ثلاث مرَّات» (مت ٢٦: ٣٤). أمَّا يهوذا الإسخريوطى فقد اصطدم أيضاً بضعف المسيح ونظراً لأنه لم يؤمن من قبله أن هذا هو المسيح لذلك ساعدته شهوة المال في تلك الفترة الحرَّجة على الهروب من وراء المسيح والارتجاء في أحضان رؤساء الكهنة لكي يبيع سيده!!

يُلاحَظ في سلوك بطرس عندما اصطدم بضعف المسيح أنه سقط في سلوك شائن، فقد أنكر سيده ولَعَنَ وَسَبَّ؛ ولكن الفرق بينه وبين يهوذا أن بطرس كان يحوي في قلبه إيماناً عميقاً قوياً أن هذا هو المسيح بقوله سابقاً: «كلام الحياة الأبدية عندك» (يو ٦: ٦٨) «أنت المسيح ابن الله الحي» (يو ٦: ٦٩). فبالرغم من ضعفه الذي ظَهَرَ في إنكاره بحسب الظاهر والمحسوس إلا أن في أعماق قلبه كان المسيح ما زال موجوداً يُعِينه على التوبة والرجوع والثبات: «قد طلبتُ من أجلك لكي لا يَفْتَنِي إيمانك» (لو ٢٢: ٣٢). هذا الأمر خطير جداً في حياتنا، فكثيراً ما نضطدم بضعف المسيح إذ نطلب منه أن يُظهر ذاته محسوساً في مُشكلة من المُشاكل، ولكن الرب لا يُظهر ذاته على المستوى المحسوس، فيشكُّ الإنسان في المسيح ويظنُّ أن الرب تَرَكَه.

وأحياناً يَزَلُّ الإنسان بِحَسَبِ الظاهرِ وَيَسْلُكُ سُلُوكاً مَشِيناً مثُلما سلك بطرس الرسول، فينكر اسم المسيح في موقف من المواقف أو يكذب في أنه مسيحي، ثم يرجع لنفسه ويقول: "أنا قد صرتُ مثل يهوذا لأنني أنكرتُ الرب يسوع، فيئأس من نفسه ومن خلاصه!"، هذا خطأ، لأن المسيح في داخلك بالإيمان وهو يطلب من أجلك لكي لا يفنى إيمانك، أنت اصطدمتَ بضعف الرب فأنكرته، ولكن لأن في أعماق نفسك الجوهرة الثمينة وهي الإيمان به، لذلك لا يمكن أن تَسْقُطَ كما سَقَطَ يهوذا الذي لم يُؤْمِنَ بيسوع كَمُخْلِصٍ وكَفَادٍ، لذلك استطاع الشيطان أن يدخل إلى قلبه ويُيَسِّسه.

يهوذا كان التلميذ الوحيد الذي من مدينة "إسخريوط" في اليهودية، أما جميع التلاميذ فكانوا من الجليل، وهم معروفون أنهم سامريون تهودوا أخيراً، ولو أنهم غيورون على الدين، إلا أنهم مشهورون بالبساطة وعدم التعمق في العلم والمعرفة. وكان لهم مهنة يتعيشون منها، وليسوا كاليهود الذين يُتاجرون ويربحون ويتعمقون في العلوم والدراسات اللاهوتية.

فيهوذا تبع الرب أولاً لما رأى معجزاته وكلامه، فَوَثَّقَ أنه المسيا الذي سَوفَ يخلص إسرائيل، ولكن بكل أسفٍ كان ذلك بالمفهوم المادى العالمي مُشْتَهياً أن يكون له نصيب في المجد الأرضي للمسيح المنتظر، فجاء إليه وسار وراءه مُنتظراً أن يحصل على شيء يتناسب مع مؤهلاته التي كانت غير موجودة عند كل التلاميذ، فقد كان ذكياً حاذقاً في البيع والشراء، باحثاً في علوم الدين، مُدققاً. ونظراً لدرابته في البيع والشراء أعطوه الصندوق الذي جعله واسطة للسرقة، ولكنه اصطدم بأقوال الرب التي تُشير إلى إظهار ضعفه: أنه «يُسَلِّمُ لِيُصَلِّبَ» (مت ٢٦: ٢)، وأنه «ليس له أين يسند رأسه» (مت ٨: ٢٠)، وأنه إن أراد أحد أن يأتي وراءه فلا بد أن يُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعه (مت ١٦: ٢٤)، هذا غير التعاليم الكثيرة التي تُشير إلى الضيقات والآلام التي لا بد أن يحملها في هذا الدهر كل من يأتي وراءه، ثم الأقوال السرية mystical الخطيرة التي قالها

عن جسده ودمه وكيف أنه سيذلُّهما من أجل حياة العالم وأن مَنْ يأكل جسده ويشرب دمه يحيا فيه. أمور كلها لم يستطع يهوذا أن يتصوَّرها أو يُؤمِّن بها وهي التي جعلت كثيراً من التلاميذ أن يرجعوا من وراء الرب، أمَّا يهوذا فاضطرَّ أن يثبت ولا يترك الرب لأن الصندوق كان معه وكان ينتفع بما فيه.

كان يهوذا يتصل بجماعة الكتبة والفريسيين المتعصِّبين ويتكلم معهم عن أقوال الرب يسوع وتصريحاته عن نفسه، وكان ذلك طريقاً لزيادة تشكُّكه في المسيح، لأنه بالتأكيد كان يسمع منهم اعتراضاتهم الشديدة عن شخصية المسيح، وأنه، بنظرهم، لا يمكن أن يكون هذا هو المسيا المنتظر الذي بحسب وصف كل الكتبة أنه سيبيد الأعداء بنفخة فمه (أي ١٥ : ٣٠)، وسيهلك المقاومين (سيراخ ٤٦ : ٧)، ويخضع الشعوب (مز ٤٧ : ٣). لذلك فبمجرد أن رأى أن الشرَّ قد أُعدَّ على الرب وسَمِع من الهيكل أن الخطة قد أُعدَّت لإمساكه وقتله، قرَّر أن يهرب من هذا المُعلِّم المُهان الضعيف. ولما كانت شهوة المال قد استولت على قلبه وعقله بالكلية، قرَّر أيضاً أن يستفيد من خيانتة لسيدة بأن يُشبع رغبته في المال، فذهب بنفسه إلى رؤساء الكهنة يتملِّقهم ويُقدِّم لهم خدمته، وكان يهوذا بالنسبة للرؤساء أعظم غنيمة لهم لأنه يُعتبر أقرب إنسان إلى شخص المسيح وأفضل شخص يمكن أن يُخبرهم عن أحواله وعن تنقلاته. ويكفيهم هذه الشهادة من تلميذ للمسيح أن يرضى أن يُسلمه للموت، فهذه كانت كفيلة أن تُريح ضمائر أفراد مجتمعهم من جهة تسليمهم البارَّ إلى الموت!

ربما كان ذهاب يهوذا لشراء حروف الفصح وتقديمه للكهنة في الهيكل لفحصه ربما كان فرصة لسَماع الأخبار عن تشاور رؤساء الكهنة لقتل يسوع ممَّا جعله يُسرِّع للتخلص بسرعة من هذه التلمذة التي ستجلب عليه العار، وهذا المُعلِّم (المسيح) الذي امتلأ قلب يهوذا من نحوه بالحقد والغضب والتشكُّك، نتيجة لتعاليمه التي كانت تصطدم دائماً مع

سلوكه كلبصٍّ إذ كان يسرق ما في الصندوق. وبالرغم مما كان له من طموح إذ كان يشتهي من وراء السيد مُلكاً أرضياً، فكان الرب بكلامه يُبدد هذه الأحلام والشهوات.

- في يوم الأربعاء تشاور رؤساء الكهنة على قتل الرب، لذلك نصوم في هذا اليوم عليّ مَدَى السنة بسبب هذا التشاور. وهو في الواقع يوم خطير وليس يوماً عادياً، فقد اجتمع فيه السنهدريم وتباحثوا في الأمر، فأحضروا الشهود الزور وأثبتوا التَّهَمَ وقرروا ما قرروه من إجراءات دينية وحكومية، وعندما سمع يهوذا باجتماعهم ربما يكون قد ذهب إليهم بنفسه ليحبك خطته ويصير أكثر قوة فيعرض عليهم في اجتماعهم رغبته في تسليم الرب، إذ أن غرضهم توافق مع غرض نفسه في التنكيل بمعلمه، فكان فرحهم به عظيماً جداً لسبب جوهرى وهو أن هذا شاهد من أهلهم ويكفي جداً أن الذي سيسلمه يكون تلميذاً من تلاميذ يسوع، لذلك فرحوا به جداً، وهو أجرى اتفاهه معهم على ثمن التسليم ثلاثين من الفضة، وهو ثمن ما كانوا يُثمنون به العبد. ومن المحتمل جداً أن يكون رئيس الكهنة هو الذي أمر بإعطاء يهوذا هذا الثمن من خزينة الهيكل التي تحوي طبعاً أموال الذبائح المقدّمة لله. فأنظر هذا التوافق العجيب!!

ملحوظة:

السنهدريم: مجمعٌ مُكوّن من رؤساء الكهنة ورؤساء الكتبة ورؤساء الشعب، أما الذي له حقُّ الحكم فكانوا هم رؤساء الكهنة ورؤساء الكتبة، أمّا رؤساء الشعب فدورهم استشاري.

في اللغة العبرية كلمة "عبد" تساوي معنى كلمة "حمل" أي خروف الذبيحة، لذلك فالنسخ المترجمة من اللغة العبرية تذكر كلمة "عبد" بدلاً من "حمل" أو "ذبيحة".



يوم خميس العهد

أبريل ١٩٦٨

نَرَى أن الرب أرسل بطرس ويوحنا لِيُعِدَّا الفصح، وقد أعطاهما علامة للمكان الذي سَيُعِدَّانه فيه من غير أن يذكر أَسْم الشخص صاحب المكان خوفاً من أن يَعرفه يهوذا الذي كان يتحَيَّن الفرصة لتسليم يسوع، فقد كان الرب يشتهي أن يأكل الفصح مع تلاميذه. من المُؤكَّد أن المكان كان بيت مرقس. ومن الظروف والملابسات يُعرَف أن بيت مرقس كان في الناحية القبليَّة من أورشليم حيث بيت رئيس الكهنة وبقية الكهنة، فَمِن المُرجَّح أن أبا مرقس كان كاهناً آمَنَ بالمسيح ولكنه كان ما يزال يعمل في خدمة رئيس الكهنة داخل الهيكل، لذلك لم يُذكر اسمه في كل هذه الظروف حتى لا يقتله اليهود. كما يُستدل أيضاً من المعلومات المذكورة على أنه كان غنياً ويوجد في بيته عبيد ("رودا" خادمة في بيت مرقس، والعبد الذي كان يحمل جرة ماء هو الذي دلَّهما إلى بيت مرقس أيضاً). وكانت العلية مفروشة دليلاً على أن المنزل كان كبيراً.

ذهب بطرس ويوحنا وذَبَحَا الخروف في الهيكل حسب الطقس الساعة ٢.٣٠ مساءً (بعد الظهر)، ثم حَمَلَاهما الاثنان على عصا إلى المنزل المختار، وكانت هناك إعدادات أخرى للفصح، فكان يجب عليهما أن يشتريا أصنافاً من المأكولات، بعضها يُطَبَّخ وبعضها لا يُطَبَّخ، حتى يُعِدَّا مائدة الفصح. فمثلاً كان لا بد أن تُقدَّم "أعشابٌ مرَّة" مغموسة في الخل والتي كانت تمثِّل الآلام التي اجتازها الشعب في مصر، وكذلك يُقدَّم تفاح وزبيب وبنَدق وهي تمثِّل الحياة في كنعان.

وكانت الصلوات في الهيكل تُقدَّم في يوم الفصح، فيبوق رئيس الكهنة بالبوق الفِصِّي في الساعة ٢.٣٠ مساءً (بعد الظهر) فيذبحُ خروف الفصح. وكان الكهنة يقفون ومعهم كؤوس فِصِّيَّة ليأخذوا الدم ويسكبوه على المذبح. وكانت جموع الكهنة يقفون صفوفاً، ومعهم

الذابحون من اللاويين أو من العلمانيين الذين يعرفون طقس الذبْح حيث يُسَلَّم كل كاهن الإناء الفِضِّي الذي بيده والذي امتلأ بِدمِ الذبيحة إلى الكاهن الذي يجواره. وهكذا حتى يصل في النهاية إلى الكاهن الأخير الذي بجوار المذبح، فيسكبه على المذبح، وكانت توجد مجاري للمياه يجري فيها الدم بعد ذلك من تحت المذبح إلى وادي قِدْرُون حيث كانت توجد مزارع الكروم الكثيرة.

- وهنا نرى كيف كانت دماء الذبائح تُسكَّب كلها إلى الكرم، هذا الذي تحوَّل بعد ذلك إلى دم المسيح لخلاص العالم! ويُقال إنه كان هناك خزان ماء عظيم جداً على أحد الجبال المجاورة للهيكل يُملأ من الأمطار المُهمرة، وكان له أنابيب تجري في كل الهيكل جرياناً دائماً فتغسل كل الطرق وتصبُّ في وادي قِدْرُون.

الفصح أمرَ به الرب قبل أن تُوجَد الشريعة والناموس وقبل أن يُقام الكهنوت، لذلك فالمعروف أنه كان يستطيع أن يُجرِّيه أي إنسان يهودي، وليس هناك حتمية لوجود كاهن، فقد كان أب البيت الذي يتكون من عشرة أفراد أو أكثر هو الذي يتلو الصلاة أولاً، ويُبارك على كأس الخمر بصلاة، ثم يشكر ويقول صلاة من أجل اليوم، ثم يتقدَّم فيأكل الأعشاب المرَّة المغموسة في الخل، ثم يُعطي المتكئين، ثم يأكل الأصناف المطبوخة الأخرى، ثم يأكل الخروف المشوي ويُعطي المتكئين، ثم يشرب كأس البركة، ثم كأس الختام.

- يُلاحظ في سيرِّ الإفخارستيا في العهد الجديد أن الكاهن يرشم على قارورة الخمر (وقت تقديم الحمل)، ثم يُصلي صلاة الشكر من أجل اليوم (لأنك أتيت بنا إلى هذه الساعة)، تماماً كما كان يُعمل في تقديم الفصح. كما كانوا يغسلون أيديهم قبل التقدُّم للفصح ما كان يُعرف بطقس غسل الأيدي.

ولما ابتدأوا بالجلوس، لاحظ الرب أن هناك خصومة بين التلاميذ "من هو الأعظم" في الجلوس، لأن طقس الجلوس كان يجعل الأكبر سنّاً أقرب

شخص إلى رئيس المائدة من الجهة اليسرى، وكان أصغر شخص هو الذي يجلس من الجهة اليمى. والخصومة كانت في الغالب بين بطرس ويهوذا، فبطرس كان معروفاً أنه أكبر في السن، بينما يهوذا كان معروفاً أنه مُتَقَفٌّ في الشريعة وذو معرفة دينية أكثر من بطرس. وكان الطقس يُجِيزُ للأكثر معرفةً في الدين أن يتقدّم على الأكبر سناً. فقال لهم الرب: «إن رؤساء الأمم يسودونهم... الكبير فيكم ليكن كالأصغر والمتقدّم» (مت ٢٠: ٢٥؛ لو ٢٢: ٢٦).

- وقد أراد الرب أن يُثبِتَ لهم ذلك عملياً، فتمنطق (أي لف المنطقة القماش حول خصره كما يفعل خادِمُ المنزل لتهيئاً للعمل)، وانتزَرَ بمثورة (أي لبس لباس الخدمة)، وأخذ ماءً في لِقَانٍ وغسل أرجل تلاميذه وقال لهم: «فإن كنتُ وأنا السيد والمُعَلِّمُ قد غَسَلْتُ أرجلكم فأنتم يجب أن يغسل بعضكم أرجل بعض» (يو ١٣: ١٤). هكذا وضع الرب سِرّاً تواضعه العجيب في هذا الطقس (غسل الأرجل). وأراد أن يقول لبطرس: "إن كنتَ لا تقبلني أغسل رجلك وأنا المُعَلِّمُ والسيد فأنتَ بالتالي عندما تكون مُعلِّماً وسيداً سوف لا تقبل على نفسك هذا العمل التواضعي لذلك سوف لا يكون لكَ معي نصيب في تواضعي ومحبتى، أمّا إذا سَمَحْتَ لي يا بطرس أن أغسل رجلك فأنتَ بذلك تشترك فعلاً في تواضعي ومحبتى، وبالضرورة عندما تكون سيداً ومُعلِّماً سوف تسلك مثلي وتغسل أرجل تلاميذك مُظهراً اتضاعى ومحبتى التي انسكبتُ فيك".

- ويُلاحظ في طقس الإفخارستيا أنه لا يصحُّ للكاهن أن يخدم الذبيحة إلاّ إذا غسل يديه، وكانت أصلاً أن يغسل أرجل الشعب فيستأهل أن يكون مثل سيده على طقس التواضع والمحبة، فبتواضعه الذي يُظهِره نحو أولاده يتطهّر من الداخل من الخطية.

- «الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلاّ إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله» (يو ١٣: ١٠)، يقصد الرب هنا أن الذي "استحمى..." وقد كانوا يستحمون قبل الفصح رمزاً للطهارة الداخلية، أمّا الأرجل فتشير إلى أقدر

شيء في الإنسان لأنها ملاصقة للأرض.

- إن جملة: «لأني أعطيتكم مثلاً، حتى كما صنعتُ أنا بكم، تصنعون أنتم أيضاً» (يو ١٣: ١٥) في مفهومها الأصلي تُعتبر **dogma** أي "كتلاميذ لي، أعطيتكم قانوناً" للاتضاع.

إننا لم نَرِ الرب يسوع أكلاً الفصح مع تلاميذه إلا في هذه المرّة فقط. وقال: «شهوة اشتيتُ أن أكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم» (لو ٢٢: ١٥)، لأن الرب كان يقضي الفصح في منطقة الجليل، وقد كان الفصح مُلزماً فقط للذين في أورشليم وما حولها من القرى وعلى مسافة مُعيّنة معروفة، أمّا الذين في البلاد البعيدة فلم يكونوا مُلزّمين بالفصح لأنهم بعيدون عن الهيكل، لكنهم كانوا يشتركون الخروف ويدبحونه ويأكلونه كوليمة عادية.

يقول القديس يوحنا الرسول عن المسيح في إنجيله إنه: «أحبّ خاصّته الذين في العالم... أحبهم إلى المنتهي» (يو ١٣: ١)، وهو يُشير بهذه الكلمة إلى يهوذا الإسخريوطي الذي أحبّه الرب حتى آخر لحظة.

كما يلاحظ أن الشيطان دخل في يهوذا مرّةً أخرى عندما أخذ اللقمة من الرب، وهذا يُظهر أن الإنسان يُمكنه أن لا يرضخ للشيطان، فبالرغم من أنه دخله مرّةً سابقةً وذهب واتفق أن يُسلم مُعلّمه، إلا أنه بعد أن حضّر ونظر الرب مرّةً أخرى ونظر اتضاعه ومحبّته ابتداءً يلوم نفسه ويُراجعها، ولكن لما احتقر صوت الضمير وثبت في شهوته وأغراضه الشريرة، دخله الشيطان مرّةً أخرى وأغواه.

قال الرب: "الحق أقول لكم: إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً معكم في ملكوت الله" (مر ١٤: ٢٥)، اليوم هو العهد الجديد الذي نحيّاه الذي بدأ بقيامه الرب. نحن نعيش هذا العهد الجديد، الرب يسوع يشرب معنا الآن من نتاج الكرمة جديداً، هو الآن معنا كرئيس كهنة وذبيحة في الوقت نفسه، هو يُعطينا دمه وجسده بنفسه. هذا التفسير لم تحسّه الكنيسة منذ البداية مع أنه قول صريح وواضح أنه يُعزّينا ويُفرّج قلوبنا.

يوم الجمعة العظيمة

الساعة السادسة:

سؤال: ما الذي مَكَّن اليهود من صلب الرب يسوع؟

جواب: الذي مَكَّن اليهود من صلب الرب يسوع هو "ضَعْفُهُ!"، كما قال الرسول بولس: "إنه صُلِبَ عَنْ ضَعْفٍ" (٢ كو١٣:٤)، فلو كان الرب أظهر لاهوته بقوَّته وجلاله، لارتعب المعتدون، وهرب الصالبيون. قال يسوع للحماهير المُحتشدة عليه في البستان ليلة آلامه: "مَنْ تطلبون؟" "قالوا: يسوع الناصري". قال لهم: "أنا هو". فرجعوا إلى الوراء، و بمجرد أن أحاب الرب بصيغة "الذات الإلهية" "ἐγώ εἰμι"، ففي الحال ارتعب الجنود وسقطوا على وجوههم.

إن الرب حَجَب قوَّة لاهوته، من أجل هذا استطاعوا أن يُمسكوه ويهزأوا به ويصلبوه. لكنه بإرادته تَخَلَّى عن مجد لاهوته. هذا الإخلاء هو سِرُّ صَلْبِ الرب يسوع، وبغير ذلك ما أمكن صَلْبُهُ أو الازدراء به.

من هذا الإخلاء العجيب نحن نستطيع أن نقرب من الرب يسوع وتقابل معه، لا كصاليبه الذين رأوا في المسيح ضَعْفاً شديداً فقط، بل كمؤمنين بأنه هو الرب بذاته القوي الجبَّار لأنه صُلِبَ باختياره، فنحن نرى أن الضعف الظاهري في المسيح كان يُخْفِي وراءه قوَّة إله جبَّار، ونحن بقبولنا الضعف والمذلة والاحتقار والظلم مثل المسيح الذي قَبِلَ كل هذا عن رِضًا وباختياره، نستطيع أن نَسْتَعْلَن قوَّة المسيح السريَّة.

أنظر إلى سلوك المسيح في قبوله يهوذا الإسخريوطي وسط التلاميذ وهو يعلم أنه سوف يُسلمه ولكن لم يُرد أن يرفضه، ألا يُعتبر هذا ضعفاً ومُنْتَهَى الضعف؟ لقد أتى يهوذا إليه ظاهراً في صفات الغيور المُتعلِّق جداً بتعاليم المسيح، فكيف يرفضه؟

المسيح قَبِلَ الآلام والظلم بإرادته بينما كان قادراً في أي وقت أن يستعفي منها.

كان السلوك الأخير للشيطان في إثارته للرؤساء والحُكَّام والشعب
واختراع كل حِيل التعذيب والتشهير لكي يجعل المسيح يستعفي من
الصليب.

المسيح صَبِرَ على الآلام والظلم وهو بارٌّ إذ لم يفعل خطية واحدة
تستحق هذه الآلام؛ أمَّا أنتَ فهل آلامك مثل آلام المسيح؟ إن كنتَ تتألم
وتُحتَقَرُ ويُزدري بك من أجل أخطائك وعيوبك، فهل أنتَ تحسب هذا
تشبُّهًا بصليب المسيح؟ آلامك هذه ليست صليبا، ولكنها تآديبات
وضربات من الرب. وعندما يموت الإنسان العتيق فيك، ثم بعد ذلك
حينما تقبل الآلام ظلماً أو تُحتَقَرُ ظلماً وأنتَ بارٌّ وتُهان بسبب أخطاء
أنتَ لم تعملها، وتصير على ذلك، حينئذٍ فقط تكون قد شابَّهتَ الرب
على صليبه. هكذا يقول بطرس الرسول: «لأنه أيُّ مجد هو إن كنتم
تُلَطِّمون مُخطئين فتصبرون، بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير
فتصبرون، فهذا فَضْلٌ عند الله» (١بط ٢: ٢٠).

هذا هو بالحقيقة صبر المسيح. فإن كنتَ تحتَمِلُ الماءَ، وكان في طاقتك
وفي إرادتك أن تتفاداه، ولكنك قَبِلْتَهُ بالظلم من أجل الرب، هذا الصبر
لا بد أن يقودك إلى استعلان قوَّة الرب «لأنه أيُّ مجد هو إن كنتم
تُلَطِّمون مُخطئين فتصبرون، بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير
فتصبرون، فهذا فَضْلٌ عند الله» (مت ١٠: ٢٢).

الساعة التاسعة:

نحن نَرَى الآن كيف صَبِرَ الرب يسوع على الآلام حتى النهاية أي
الموت بكل رضا وهو القادر على رفض كل ألم. كما نَرَى كيف هاجت
قُوَّات الشرِّ ووضِغَطت على الرب بكل قواها وإثاراتها للأعداء حتى تجعله
يتنازل عن الألم، ولكنه صَبِرَ حتى آخر لحظة مُستهيئاً بالخزي من أجل
السرور الموضوع أمامه.

وإن كُنَّا نستمع لشرح الأطباء في وصف آلام الصَّلب وكيف تكون

الشرائين الدموية في كل الجسم في حالة آلام مُريعة، وكذلك الأعصاب في كل جزء من أجزاء الجسم. والحقيقة إن آلام الصلب أقطع ممًا يتصوره الأطباء، لأنه لا يستطيع أحد أن يتصور شيئاً لم يختبره. هذا كله صَبَر عليه يسوع وهو الإنسان الرهيف الحسَّ الرقيق المشاعر للغاية، عَدَا تعبير المُعَبِّرِينَ بقولهم: «خَلَّصَ آخَرِينَ، وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا» (متى ٢٧: ٤٢).

- لما مات الرب على الصليب، ففي الحال قَبَضَ على الشيطان وجنوده وظَفَرَ بِهِمْ، كما يقول الرسول: «أَشْهَرَهُمْ جَهَارًا ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ (في الصليب)» (كولوس ٢: ١٥)، أي أن المسيح لما وَصَلَ إلى مُنْتَهَى الضعف (الموت) مع أنه في جوهره الإلهي وفي طبيعته غير مائت، في الحال اسْتُعِينَتْ قوة لاهوته لقوات الشرِّ، فَظَفَرَ بِهِمْ وَقَيَّدَهُمْ.

- وإن كانوا يقولون إن الشمس قد انخَسَفَتْ خَجَلًا من صلب المسيح إلاً أننا نقول إن الشيطان نفسه رئيس سلطان الهواء وهو الظلمة قد تَجَلَّى بأعظم مظهر له عندما صُلب الرب، لأن الظلمة هي مظهر قوات الشرِّ «ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر» (أف ٦: ١٢).

هكذا نحن عندما نُوفِي آلام التآدييات ثم نُسْتَأهَل لآلام الصلب عن ظُلمٍ مثل المسيح، فلا بد أن نقبل الألم حتى آخر لحظة دون أن نرجو من وراء ذلك أيَّ رِيحٍ أرضيٍّ إلى أن نذوق الموت، حينئذٍ فقط نظفر بقوات الشرِّ ونُسْتَعْلَنُ لِنَا الحياة الأبدية.

- يا أحبائي، يجب علينا أن نتعلم كيف نُحْتَمِلُ الألم حتى الموت، أَلَمْ التواضع، والرضا بالمكان الأخير، أَلَمْ تعبير الأعداء الخفيين والظاهرين ومقاومتهم لنا مجَانًا، أَلَمْ الصوم حتى الخوار، حينئذٍ سَنَرَى كيف أن هذه الآلام هي بالفعل مصدر تعزيات المسيح لنا، وهي: "جَمَلُهُ الهَيِّنُ وَنِيرُهُ الخَفِيفُ" (مت ١١: ٣٠).

الرب يسوع نَزَلَ إلى الهاوية بنفسه، وأرعب قوات الشرِّ، وأطلق أسرى الرجاء، وحطَّم الأبواب الثُّحاس وسحق الأقفال الحديدية،

واستطاع أن يُبشِّرَ المأسورين في الهاوية. هكذا نحن إن كُنَّا نصبر حتى المنتهى بإرادتنا ونقبل الصليب حتى الموت، حينئذٍ نستطيع أن نُبشِّرَ المأسورين بالخطية الذين قبض عليهم الشيطان، سوف نُبشِّرهم بموتنا على صليب! إن صَبْرَكَ لآلام المرض أو آلام الصوم، حتى ولو داعبتك آلام الموت، فهذا سيقود الإنسان إلى استعلان الحياة الأبدية. أمّا إذا مُتَّ وأنتَ في مرضك أو في صومك، فأنتَ ستستطيع أن تنطلق من رباطات الجسد وتُبشِّرَ جميع المأسورين، وتحيا في الأبدية مع أنطونيوس ومقاريوس وباخوميوس وبولس وبطرس الذين هم الآن أرواح طاهرة خادمة، والذين سيقربون جداً مِنَّا حتى يَجِدُونَا نصبر على آلام الصليب، لذلك هم يشفعون فينا بالصلاة لأنَّهم أَحتملوا مِنلنا هذه الآلام حتى الموت.

- عندما تصل الآلامك إلى حدِّ الموت، حينئذٍ سوف تموت عن العالم وعن قوانين العالم والمادة ولن تعود تعتمد عليها أو تُفكِّرَ فيها، لأنك ستسير بحسب قانون الحياة الأبدية.

- إن التأمل الدائم في آلام المسيح وصبره واحتماله حتى الموت يُوازرننا كثيراً في احتمال آلامنا.

الساعة الثانية عشرة:

المسيح الآن في القبر، هي ساعة رهيبة بالحق فكيف يموت الإله المُحيي؟!

والقبر يُشير به الآباء إلى حياة السكون. وإن كان القبر يُشير إلى السكون، فكيف نتكلم بعد ذلك عن القبر؟! وإن كُنَّا يجب أن نتكلم، فهذا لكي نقرب فقط من حقيقة القبر أو حقيقة سكون الموت. الرب يسوع حينما مات على الصليب، صمتَ عن الكلام، ولكن نفسه وروحه بدأت تُبشِّرَ الذين في السجن (الرحيم).

- يا آبائي، لا نستطيع أن نختبر حياة القبر أو السكون إلا إذا اخترنا الصليب حتى الموت، فالذي يُحاول أن يدخل إلى قبر السكون بغير أن

يحمل الصليب ويتألم جداً حتى الموت ويصبر، يحقّ فيه القول: «لم تجاهدوا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة» (عب ١٢: ٤) = أي موت الصليب، لأنه لم يستطع أن يتذوّق عزاء السكون. لا بدّ أن نقبل آلام الصليب التي هي ظلّم، ونصبر لها حتى نموت عن العالم بالكلية والعالم يموت لنا، حينئذٍ يصير سكوننا روحانياً ويُسْتَعْلَن لنا الملكوت والحياة الأبدية، وستنطلق أرواحنا تُبشّر البعيدين إن بحياتنا أو بموتنا.

- الذي يكون سكونه حقيقياً مُثَمِّراً، هذا لا يُعوزُه أن يُكلّم أحداً عن السكون، لأن سكونه نفسه سكون مُعلِّماً للعالم كله.

السكون، يا آبائي، هو الموت عن العالم وعن الشهوات وعن الإرادة الشخصية وعن الذات. نحن جُزْنَا هذا الموت سِرِّيًّا في المعمودية حينما غُطِّسْنَا في الماء على اسم الثالوث الأقدس ثلاث مرّات وغمِرْنَا بالماء من كل ناحية، فانفصلنا عن العالم وجُزْنَا حشرة الموت. نحن جئنا إلى هنا في البريّة لنموت عن العالم، نحن هنا نعيش موتنا. فكلما قَطَعْنَا العالم من أفكارنا وقلوبنا وحواسنا، كلما ازدَدْنَا دخولاً إلى السكون حتى نصل إلى إهلاك الذات، وحينئذٍ نرتفع فوق ذواتنا فندخل إلى السكون الحقيقي.



عيد القيامة المجيد

أبريل ١٩٦٨

الذي أمتناه أن لا يتحوّل كلامي إلى مُجرّد حديث أو ذخيرة مكتوبة تحتفظون بها في قلالكم، ولكن أرجو أن تصنع هذه الكلمات شيئاً في حياتكم، هذه الأمور التي سوف أكلمكم عنها أحصل عليها الآن ببيكاء، لأنني لم أجد مَنْ يُعلّمني، وربما وجدتُ مَنْ يقول لي العكس، وقد صنعوا بي كثيراً ممّا أساء إلى نفسي. أنا الآن آخذ معكم كل يوم أموراً جديدة، كلامي اليوم إليكم خطير، وسوف تُعطون عنه جواباً.

- القيامة، يا آباي، حقيقة صعبة جداً، ماذا حدث يوم القيامة؟ إننا نجد أن القيامة استعلّنت على مراحل مُتعدّدة حسب الترتيب الإلهي، وسرّي أصنافاً من التلاميذ، وربما بعضهم عبّرَ عدّة مراحل دون أن يُؤمن! ومراحل القيامة ربما تكون قد عبّرت علينا نحن أيضاً. رؤساء الكهنة كانوا عارفين أن المسيح سيقوم بعد ثلاثة أيام، فقد قالوا لبيلاطس: "سمعنا أن ذلك المضيل سيقوم بعد ثلاثة أيام" (مت ٢٧: ٦٣)، والتلاميذ كانوا عارفين من فم الرب نفسه أنه سيقوم بعد ثلاثة أيام، ولكن لماذا لم يُؤمنوا بالقيامة؟! أنتم أخذتم الموضوع ببساطة، فقط لأنه مكتوب في الإنجيل. سوف أُبيّن لكم كيف أن حقيقة القيامة ما زالت ضعيفة فيكم.

- مريم المجدلية ذهبت إلى القبر والظلام باق، وكان الملاك قد دحرج الحجر الكبير، وكان المسيح قد قام، وهرب الحُرّاس فرعين إلى المدينة. لقد قال الملاك لمريم: «لم تُجاهدوا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية» (عب ١٢: ٤). وكما يقول إنجيل يوحنا، فإن مريم وجدّت الحجر مرفوعاً، فتركت المكان بسرعة ومضت إلى التلاميذ (بطرس ويوحنا) وأخبرتهم بما رأت، فذهب الاثنان بسرعة، انحنى بطرس إلى القبر ولكن لم يفهم، أمّا يوحنا الرسول الحبيب فقد نظّر فأمن، حيث كلمة "نظّر" هنا أتت باللغة اليونانية θεωρεῖν بمعنى "تأمل" أي أدرك المحسوس

بالاستعلان العقلي فآمنَ في الحال بالقيامة.

مثال: ممكن أن نرى أماننا شخصاً، فيقول واحد مِنّا: هذا إنسان غريب الشكل، ويقول آخر: اصمتْ هذا ملك. فالآخر يكون قد نَظَرَ بالاستعلان العقلي فيما هو محسوس أمامه، أي حقيقة حادثة أمامه، فيؤمنَ إيماناً لا يمكن أن يَهْتَرَّ فيه أيَّ اهتزاز.

ومثال آخر: الرب عندما ظَهَرَ بعد القيامة على الشاطئ نَظَرَهُ التلاميذ بالعيون الطبيعية إنساناً يسير على الشاطئ، أمّا يوحنا الحبيب فبالحُب استطاع أن يتأمَّله بالاستعلان العقلي فرآه أنه الرب يسوع.

يوحنا، أول مَنْ آمَنَ بالقيامة، وَجَدَ أمامه القَبْرَ فارغاً والحَجَر مُدحرجاً واللفائف في مكانها والمنديل كما هو. بطرس رأى معه كل هذه العلامات ولكنه لم يُؤْمِنَ.

يوحنا نظر فآمنَ، حُبُّ يوحنا مَكَّنَهُ من أن يُدرك حقيقة القيامة وَيَسْتَعْلِنُهَا في الأشياء التي أمامه، فآمنَ.

- الإنسان الذي يحبني يستطيع أن يفهم ما عمله والذي لا يحبني لا يستطيع أن يفهم، إن كنتَ تحبُّ أحاك فلا يمكن أن تشكَّ فيه أو تدينه، عدم المحبة يُسبِّب خطأً شنيعاً في التفكير.

المسيح ظَهَرَ لمریم قائلاً: «لماذا تبكين؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟... إن كُنْتَ قد حملته "مُعَلِّمي" فقل لي أين وَضَعْتَهُ» (يو ٢٠: ١٥). كل هذا ولم تفهم: (١) القَبْرَ فارغاً؛ (٢) الحَجَر مُدحرجاً؛ (٣) اللفائف في موضعها تُشير إلى أن الميت قام، وأخيراً؛ (٤) شخص المسيح المُقام أمامها ولم تُؤْمِنَ حتى الآن.

يُوجد فرق بين حبِّ العاطفة وحبِّ الوثوق أي الإيمان . المُجدلية كان حُبُّها عاطفياً جنونياً، هذا الحبُّ يُعمي عن نظر الحقيقة، أمّا حُبُّ يوحنا فكان حُبّاً مُتزنّاً وإثقاً، لذلك استطاع به أن يتأمَّل الحقيقة ويؤمنَ بها.

أخيراً قال لها: "يا مريم" (العلامة الخامسة)، فانتبهت. هنا نجد أن

المجدلية لم تفهم إلا بعد ظهور هذه العلامة الخامسة فأمنت، قال لها الرب: «أذهبي إلى إخوتي وقولي لهم...» (يو ٢٠: ١٧)، فذهبت وأخبرت التلاميذ، فلم يصدق أحد.

- تلميذا عمواس يتطارحان في الطريق وهما غير فاهمين وغير مؤمنين، فظَهَرَ لهما المسيح، وقالوا: «كُنَّا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك، بل بعض النساء منا حيرنا (شك في شك) إذ كنَّ باكراً عند القبر. ولما لم يجدن جسده أتين قائلات إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي» (لو ٢٤: ٢١-٢٣). مع أنهم كانوا يعرفون قبلاً من فم الرب نفسه أنه سيقوم في اليوم الثالث". كل هذه: خمسة علامات عن قيامة الرب لم تكف لكي يؤمن التلميذان. لقد سار الرب بنفسه مع اثنين منهم وكلمهما بكل ما جاء عنه في كتب الأنبياء ومع ذلك لم يعرفاه، ثم أخذ خبزاً وبارك وكسر وشكر ثم ناولهما، وهنا «انفتحت أعينهما وعرفاه» (لو ٢٤: ٣١). ألفاظ الرب عند البركة على الخبز جعلتهما يعرفانه (وهذه هي العلامة السادسة).

باقي التلاميذ لم يؤمنوا بعد كل هذه العلامات الست، بعد إيمان يوحنا، إيمان المجدلية، إيمان تلميذ عمواس اللذين جاءا مُسرعين إلى أورشليم وقالا للتلاميذ إنهما رأيا الرب. [تلميذا عمواس قابلا المسيح على الطريق حوالي الرابعة بعد الظهر غالباً].

- ظَهَرَ الرب للتلاميذ مجتمعين في العلية، "وقال لهم: ... إني أنا هو جسوني" (لو ٢٤: ٣٩). لقد ظنوه خيلاً، ظنوه روحاً، بالرغم من العلامات الست التي أظهرت قيامته. «قال لهم: أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل. فأخذوا وأكل قدامهم» (لو ٢٤: ٤١-٤٣)، فأمن التلاميذ بالحس في الدرجة السابعة. ومع ذلك، فقد كان توما لا يزال غير مؤمن حتى هذه الدرجة إذ قال لهم: «إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع إصبعي في أثر المسامير، لا

أُوْمِنَ» (يو: ٢٠: ٢٥). ووَضَعَ توما إصبعه، وآمَنَ بقيامة الرب (بعد العلامة الثامنة).

- بعد كل هذا العرض أَظُنُّ أَنَّكَ تُدْرِكُ أَنَّ تَصْدِيقَ الْقِيَامَةِ مِنَ التَّلَامِيذِ كَانَ صَعْبًا جَدًّا، وَلَا تَظُنُّ فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ تُؤْمِنُ بِالْقِيَامَةِ إِيمَانًا كَامِلًا، لَمْ يَصِلْ إِيمَانُكَ بَعْدَ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي تَسَاوَى وَضْعَ الْإِصْبَعِ فِي جَنْبِ الْمَسِيحِ. الْقِيَامَةُ مِنَ الْأَمْوَاتِ حَقِيقَةٌ إِلَهِيَّةٌ صَعْبَةٌ لِأَنَّهَا تَفُوقُ الْمَجَالَ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ، لَيْسَ مَجَالُ الْجَسَدِ فَقَطْ بَلْ مَجَالُ الْمَطَامِعِ وَالشَّهَوَاتِ وَمَجَالِ الْمَشَاعِرِ. بُكَاءُكَ عَلَى خَطَايَاكَ مَعَ أَنَّهُ مُحَبَّبٌ جَدًّا، إِلَّا أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى نُورِ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ يَحْزَنُ الْقِيَامَةَ، يَجْعَلُكَ تَعِيشَ فِي حُزْنٍ مُتَلَفٍّ وَبِلا رَجَاءٍ، وَكَذَلِكَ بُكَاءُكَ عَلَى كِرَامَتِكَ الْمَجْرُوحَةِ يَحْرِمُكَ نِهَائِيًّا مِنَ الْقِيَامَةِ.

وسأكتفي اليومَ بذلك عن:

القيامة في حياتنا:

نحن تكلمنا يوم الجمعة العظيمة عن الصليب على ٣ مراحل:

١- الصلب الاضطراري؛ ٢- الصلب الاختياري؛ ٣- الصلب حتى الموت.

يَهْمُنِي جَدًّا الْآنَ الْمَرِحَلَةُ الْأُولَى، وَهِيَ أَنَّ نَحْتَمِلَ أَنَّ يُصَلَّبَ فِيْنَا الْجِزءَ غَيْرَ الصَّالِحِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. كَوْنُكَ لَا تُقَدِّمُ عَلَى صَلْبِ الْأَجْزَاءِ التَّالِفَةِ فِيكَ، فَأَنْتَ لَا تُمْكِنُكَ بِالضَّرُورَةِ الْإِقْدَامَ عَلَى الصَّلْبِ الْإِرَادِيِّ الَّذِي يُصَلَّبَ فِيهِ حُبُّكَ. لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ تَحْتَمِلْ أَنَّ يُقَطَّعَ مِنْكَ الْجِزءَ النَّجَسِ، فَكَيْفَ تَحْتَمِلُ أَنَّ يُقَطَّعَ مِنْكَ الْجِزءَ الطَّاهِرِ؟ وَإِذَا لَمْ تَحْتَمِلْ أَنَّ يُقَطَّعَ مِنْكَ الْعَضْوُ الْفَاسِدِ، فَكَيْفَ تَحْتَمِلُ أَنَّ يُقَطَّعَ مِنْكَ الْعَضْوُ السَّلِيمِ؟ وَأَظُنُّ أَنَّ كَلَامِي مَفْهُومٌ، وَهُوَ مَفْهُومُ الْآنِ، وَلَكِنَّا فِي وَقْتِ التَّجْرِبَةِ نَفْشَلُ فَشَلًّا ذَرِيعًا! تُصَلَّبُ فِيْنَا الْأَمَانِي الْكَاذِبَةُ وَالْمُتَعِّ وَالرَّاحَاتِ وَالشَّهْوَةُ النَّجَسَةُ بِكَدِّ وَاجْتِهَادٍ وَتَعَبٍ كَثِيرٍ، وَإِنْ لَمْ نَسْتَطِعْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ يُصَلَّبُ فِي حُبِّي عَلَى مِثَالِ الْمَسِيحِ؟

- إذا لم تَسعَ بإرادتك للصلب الاضطراري أولاً، فلن تصل إلى الصلب الاختياري. كل إمكانية الحياة الرهبانية أن تُصلب، ولكن وأنت في العالم غير ممكن، غير ممكن. هل اليدُ التي تُقبَل في العالم يمكن أن يُدَقَّ فيها المسامير؟ [المثل الفرنسي يقول: اليدُ التي تمتد لتقبَل، قَطْعُهَا أَفْضَلُ]. هنا في البرية يمكن جداً أن تُصلب لأنه لا يُوجَد من يُقبَل يدك، هنا تُصلب غضباً عنك، ولو عرفتَ قيمة الصلب ولذته لَطَلَبْتَهُ وَجَرَيْتَ وَرَاءَهُ بدموع، هنا ينكشف لنا سلوك آباءنا القديسين الذين كانوا يسعون دائماً لمثل هذا الصلب.

هذه الدرجة الأولى البسيطة إن لم تُعبَرْها فلن تُعبَرَ إلى ما بعدها، إن لم تقدر أن تستغني عن إصبعك الذي فيه السرطان، فكيف تستطيع أن تُقدِّم ذراعك كله الطاهر القوي للمسيح؟ إذ أن حياتك كلها ذبيحة للرب؟ أنت تكون كذاباً إن لم تستطيع أن تتحمَّل مشرط أخيك، ثم تعتقد في نفسك أنك قدِّمتَ ذاتك ذبيحة لله! إن لم تقدر أن تتحمَّل الضيقة التي بسبب نجاستك وكبرياتك وعدم تأدبك وقلة ذوقك، فكيف تُقدِّم ذاتك ذبيحة تحت أرجل إخوتك؟ وما معنى الذبيحة لله إلا أن نبذل ذواتنا من أجل الإخوة! وإذا لم تحتمل إخوتك الآن، فكيف تحتمل الناس في العالم إذا دُعيتَ للخدمة ككاهن أو أسقف؟ فسوف تُقابل كلامهم الصعب واعتراضاتهم وإتهاماتهم بالعجرفة والكبرياء والدينونة، فتسقط من طريقك الإلهي! يستحيل أن تُقدِّم الأجزاء الحلوة فيك ذبيحة لله ما لم تسبق أولاً وتقطع الأجزاء الفاسدة.

لابد أن نصلب المحبة التي فينا، نصلب المعرفة، أي نُتجاهل من أجل الرب، نصلب اللطف، نصلب التواضع، أي نصلب الأمور الجميلة الحلوة التي فينا، نصلب الشطارة، فأظهر أنني غشيم وجاهل. أعمل شيئاً بطريقة صحيحة، ثم يأتي أخٌ ويقول لي: هذه ليست الطريقة، ويُشير عليّ بطريقة خاطئة فأعملها وأتجاهل من أجل الله. إذا أُنْبِئني أحد على شيء صحيح، فأعمل غير الصحيح وأوافق في الحال، فأنا بذلك أصلب الجزء الصحيح

الذي فيَّ.

الصلب حتى الموت: نحن قدّمنا ذبيحتنا لله ويجب أن تكون حتى الموت. فإذا تجَاهَلتَ من أجل الله، فيجب أن يكون ذلك بغير حدود حتى الموت، وإذا تواضعتَ من أجل الله فيجب أن يكون ذلك بغير حدود حتى الموت، لا أنتظر من وراء صليبي لما فيَّ من حُسن أن أصل إلى شيء أو إلى حدود. أنتَ تريد أن تتواضع، فلا تضع في قلبك أن تتواضع سنة أو اثنتين حتى تشتهر بالتواضع، بل تواضع حتى النهاية، إلى القبر، فالمسيح لم ينزل من على الصليب بل ظل مصلوباً حتى إلى الموت.

أرأيتَ كيف أن حقيقة القيامة صعبة؟ وهذه هي القيامة الأولى. لن تُدرك قيمة القيامة إلا إذا عبّرتَ الجزء الأول والثاني والثالث من الصلب. هنا تتذوّق معنى القيامة التي تساوى إيمان يوحنا وإيمان بطرس والمجدلية والتلاميذ وتوما.

في هذا العيد المبارك نحتفل بالنعمة التي وهبها الرب يسوع المُقام من الأموات إلى الأخ الحبيب رمسيس حنا بانضمامه إلى جماعتنا الصغيرة، وفي الحقيقة الأخ رمسيس انضم إلينا منذ سنة ١٩٥٦ أي منذ ١٢ سنة، ولكن الرب لم يسمح بوجوده معنا، لكنه كان سائراً في الطريق الذي أحبه واشتهاه منذ صباه وهو طريق الرهينة إلى أن شاء الرب وسمح له بالانضمام إلينا في هذه البرية المقدّسة. وقد اختار الرب له اسم "أنجيلوس"، بما له من صفات تُشابه الملائكة من البساطة والطهارة، فليجعل الله راهباً مباركاً.

ἄξιός ἄξιός ἄξιός

جلسة يوم عيد القيامة

أبريل ١٩٦٨

تكلّمنا في الكنيسة أمس عن أن القيامة أمرٌ صعب جداً، وأنه لا يكفي أن تُؤمن أن القيامة حدثت وحسب. حياة القيامة هي تذوق الحياة الأبدية، أريدكم أن تتذوقوا حقيقة القيامة أي الحياة الأبدية.

قبل كل شيء، الذي يتمسك بالقوانين الأرضية لن يتذوق القيامة، الذي يُحافظ على وجوده الأرضي، أي كرامته وراحته وحياته الأرضية، فلن تُشرق عليه القيامة. أنت الآن عُمرك في حدود من ٣٥ إلى ٤٠ سنة مثلاً وربما تعيش حتى الستين سنة ثم بعد ذلك تموت، تصوّر نفسك بعد الموت، هذه هي القيامة، حياة ما بعد الموت، كيف ستكون هذه الحياة؟ وما هي طبيعتها؟ «لا يُزوّجون ولا يتزوّجون، بل يكونون كملأكة الله في السماء» (مت ٢٢: ٣٠). "ولكن يقول قائل كيف يُقام الأموات وبأي جسم يأتون؟... يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً" (١كو ١٥: ٣٥، ٤٣). إذا فالقيامة هي حياة روحانية بعد موت، فالذي يخاف من الموت، كيف يتذوق القيامة أو يُحسّها؟ بقدر ما تذوق الموت كل يوم بقدر ما تذوق القيامة.

"أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب ٢: ١٥). فإن كُنّا نخاف الموت فنحن تحت العبودية كل حياتنا؛ أمّا إن كُنّا لا نخاف الموت، فنحن قد تحررنا من العبودية أي صرنا مُقامين من الموت ونعيش الحياة الأبدية. أمّا الخوف فهو أنواع: تخاف لئلا تموت، تخاف لئلا تتعب، تخاف لئلا تتألم، تخاف لئلا تُهان، تخاف لئلا تُظلم، تخاف لئلا تُضطهد... الخ.

- وتسالني عن مظاهر الحياة الأرضية، أقول لك: إن أهمّ مظاهرها هو الألم، [أنا أتألم إذا أنا موجود]، هذا طبعاً غير قول الفيلسوف الذي يقول: [أنا أفكر، لذلك إذا أنا موجود]. فإن كنتُ لا أتألم فأنا غير

موجود، وإن كنتُ أتَهَرَّبُ من الألم فأنا أتَهَرَّبُ من الحياة، وإن كنتُ أتَقْبَلُ الألم بِرِضًا وبِفِرْحٍ فأنا أتَجَاوِزُ الألم، أي أتَجَاوِزُ الحَيَاةَ الأَرْضِيَّةَ، أي أتَجَاوِزُ الخَوْفَ من الموت، أي أَدْخُلُ الحَيَاةَ الَّتِي بَعْدَ المَوْتِ، أي أَعِيشُ القِيَامَةَ. الَّذِي يُفَرِّطُ فِي نَفْسِهِ كُلَّ يَوْمٍ لِيَذُوقَ الأَلَمَ وَالْمَحْقَرَةَ وَالتَّعَبَ وَالإزْدِرَاءَ وَالهُزْءَ وَكُلَّ أَنْوَاعِ الهَوَانِ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ، هَذَا بِالحَقِيقَةِ يَعِيشُ قِيَامَتَهُ الأَوْلى، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ تَكُونُ كاذِباً لَوْ قُلْتَ أَنْكَ تُؤْمِنُ بِالقِيَامَةِ وَتَعِيشُهَا.

أنا والله والآخر:

الله هو القِيَامَةُ والحَيَاةُ، هُوَ أَصْلُ الحَيَاةِ كُلِّهَا وَمَصْدَرُهَا، فَإِنِ أَنَا فَصَلْتُ نَفْسِي عَنِ اللهِ، أَكُونُ قَدْ فَصَلْتُهَا عَنِ القِيَامَةِ والحَيَاةِ، وَإِنِ أَرَدْتُ أَنْ أَمْتَعَ بِاللهِ ثُمَّ رَأَيْتُ آخَرَ أَمَامِي مَحْتَاجاً إِلَى مَعُونَةٍ فَتَرَكْتُهُ وَانطَوَيْتُ عَلَى نَفْسِي لِأَتَنَعَّمَ بِاللهِ، فَإِنِ أَفْقَدُ حَقِيقَةَ القِيَامَةِ فِي وَلا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَثْبِتَ فِي اللهِ. ذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ يَنْبُوعُ حَيَاةٍ مُتَدَفِّقٍ عَلَى الخَلِيقَةِ كُلِّهَا، فَإِنِ حَجَزْتُهُ بِتَرْكِي هَذَا المَحْتَاجِ، فَقَدْ فَالَتَ اللهُ مِنِّي. فَمَحَبَّةُ الآخَرِ، وَالتَّوَاضُعُ لَهُ، وَالتَّضْحِيَةُ وَالبَذْلُ مِنْ أَجْلِهِ، هَذَا دَخُولٌ فِي سِرِّ القِيَامَةِ وَتَجَاوُزٌ لِلْمَوْتِ بِطَرِيقَةٍ إِبْجَابِيَّةٍ.

- فَأَنْتَ لَوْ كُنْتَ تَشْعُرُ بِالقِيَامَةِ فِي نَفْسِكَ فَقَطْ، فَهَذِهِ أَنَانِيَّةٌ وَليست مسيحية، وَلَوْ كُنْتَ تَشْعُرُ بِالرَّبِّ مَعَكَ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ وَلا تَشْعُرُ بِأَخِيكَ، فَحَيَاتِكَ مَعَ الرَّبِّ مَا زَالَتْ نَاقِصَةً. أَمَّا إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ دَائِماً بِالرَّبِّ وَبِأَخِيكَ، فَهَذَا هُوَ كَمَالُ الحَيَاةِ المَسِيحِيَّةِ حَيَاةِ القِيَامَةِ والحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ. افْرَضْ أَيْ أَنَا جَالِسٌ الآنَ أَتَمَدَّدْتُ عَنْ أَعْمَالِ شَخْصٍ مَا وَأَنْقَدْتُهَا وَأَدِينُهَا، ثُمَّ دَخَلْتُ هَذَا الشَخْصَ فَجَاءَ عَلَيَّ، مَاذَا يَكُونُ سَلُوكِي المَسِيحِي؟ لِأَبَدٍ أَنْ أَقَابِلَهُ بِالبِشَاشَةِ وَالحِجَّةِ وَالإِخْلَاصِ. تَقُولُ لِي: أَلَمْ تَكُنْ تَدِينُ أَعْمَالَهُ مِنْذُ دَقَاقَتِكَ؟ لِمَاذَا قَابَلْتَهُ بِمَثَلِ هَذِهِ البِشَاشَةِ وَالبِسَاطَةِ وَالبِشَاشَةِ؟ أَقُولُ لَكَ: إِنْ الحِجَّةُ تَعْلُو عَلَى كُلِّ الضَّعْفَاتِ، فَأَنَا بِصِفَتِي أَعِيشُ فِي حَيَاةِ القِيَامَةِ المَفْرُوضِ أَيْ

أعيش كل لحظة مع الله ومع الآخر، وعلاقة المحبة مُتَّصِلَةٌ دائماً بيني وبين الله وبين هذا الآخر.

- افرض وأنت جالس الآن دَخَلَ شخصٌ أنت لا تستريح إليه ثم سألك عن شيء هو لا يعلم موضعه، فأنت تستطيع بعدم مبالاة بمشاعرك هذه أن تقول له عن موضعه، وتستطيع بذلك فعل المحبة الساكنة في قلبك التي يجب أن تكون مُتبادلة دائماً مع أي إنسان أن تقوم سريعاً في الحال وتبحث له عن طلبه وتقدمه له. هنا تتذوق القيامة التي آمنت بها التي هي بالحقيقة فيك، ولا يمكنك أن تشعر بها إلا إذا غصبت نفسك على إماتة أهوائك أو تقبلت الإماتة من آخرين بِشكرٍ ورضاً.

- أمّا مُعوقات القيامة فهي: تمنيّ طول العمر، وترجّي السلام والهدوء، وعدم المُصادمة مع الآلام والأعداء والضيقات في هذا الزمان الحاضر، وطلب الراحة والطمأنينة والحياة السهنية السهلة الخالية من الأتعاب.

القيامة تُحقّقها في حياتنا عن طريق الصليب، فلا بدّ أن تُصلب اضطرارياً واختيارياً، أي تُصلب فيك خطاياك ونقائصك، كما وتُصلب فيك فضائلك ومحاسنك.

الموت يُشبهه باباً طالما أنت تخاف منه، لذلك فهو مُقفَل في وجهك لا تستطيع أن تدخل منه إلى القيامة، وأحياناً نستطيع أن نمرّ من تحت هذا الباب بواسطة الأعمال التواضعية بالانسحاق والتذلل وقبول الأعمال الحقيرة وبقية الفضائل.

- في كل مرّة تهرب من الألم والمحقرة والهزء والمُضايقات والموت، فأنت تهرب من القيامة.

- في كل مرّة ترتفع على قوانين الأرض والجسد من أجل الله ومن أجل أخيك، ففي الحال تتذوق قانون القيامة أو الحياة الأبدية.

سؤال: ماذا تعني قيامة الأجساد وقت صلب المسيح؟

جواب: أعتقد أن الناس الذين رأوا بالنظر المعقول قيامة أجساد القديسين بعد موت المسيح، كانت رؤيتهم بمثابة شهادة للناس على دخول قوّة جديدة إلى عالم الأموات، قوّة قادرة أن تُحيي الأجساد الفانية المحطّمة المُنتنة وتُقيمها. لقد نَزَلَ الرب يسوع إلى الجحيم والهاوية وأخرج منها المَقْبُوض عليهم، فكانت هذه مجموعة منهم ظهرت للناس دليلاً على ذلك، ثم أخذهم معه ودخلوا إلى الفردوس.

[تحت الأرض = عالم الأموات، لأن الميت يُدفن في التراب].

سؤال: كيف أكل الرب يسوع مع تلاميذه مع أنه كان بجسدٍ آخر غير جسده الأول الذي يأكل ويشرب؟

جواب: الرب يسوع قام بجسد يَظْهَر ولا يَظْهَر، هو الآن بجسدٍ روحيّ، «يُزْرَع (أي تموت) جسداً حيوانياً (أي تريبياً) ونقوم جسداً روحيانياً» (١ كور ١٥: ٤٤).

حالة جسد يسوع الآن عكس حالته تماماً قبل القيامة. الرب يسوع قبل التجسّد كان في حضن الآب ثم أُرسِل إلى حضن الأرض بجسدٍ يُشبهنا في كل شيء ما خلا الخطية، وبعد القيامة ذهب إلى حضن الآب: "إني أصعدُ إلى أبي" (يو ٢٠: ١٧)، فأكله وشربته بعد القيامة هو من باب المعجزة التي تُساوي عكس معجزات تجسّده، هو الآن لا يُرى ولكن من باب المعجزة يَظْهَر عندما يريد، هو الآن لا يأكل ولكن يأكل معهم ليُطمئنهم وذلك من باب المعجزة، هو الآن لا يُحسُّ جسدياً ولكن لتثبيت إيمان توما قال له: مِدِّ يدك في أثر المسامير، وبالمعجزة جعله يحسُّ باللاهوت، فصرخ: «ربي وإلهي» (يو ٢٠: ٢٨).

- المسيح في حياته على الأرض كان طبيعياً في كل شيء، وكان يُخفي لاهوته. والأمور الخارقة على الإمكانيات البشرية كان يتحاشاها، أمّا بعد القيامة فهو بجسدٍ روحيّ وهو يحاول أن يُعرّفهم أنه هو المسيح يسوع

ولكن بجسدٍ آخر وحياةٍ أُخرى غيرَ الحياة التي كان يعيش بها معهم.
 فبالنسبة للمجدلية نراه يُكَلِّمها قائلاً: «لا تلمسيني» (يو ٢٠: ١٧)،
 لأنه وجدَ أن لمسها له كان من باب العاطفة وليس من باب السُّجود
 والعبادة الواجبة له كما سجَدَ له التلاميذ في العلية، وقَبِلَ هو منهم هذا
 السُّجود. وهي نفسها لما آمنت وعرفت أخيراً أنه هو هو ولكنه أصبح
 بحالةٍ أعلى جداً ممَّا كان عليها سابقاً، ففي الحال سجَدت له سُجوداً
 العبادة، ولمست قَدَمَيْه، فقَبِلَ منها ذلك، [كالشخص الذي كان له
 صديق وكان له عليه دالةٌ كبيرة، ولكن لما صار هذا الشخص مطراناً
 وجاء صديقه ليصنع معه الدالة رفض المطران من أجل كرامة الأسقفية،
 ولكنه طبعاً لم يرفض كرامة الأسقفية، والقياس مع الفارق].

- جسد الرب يسوع بعد القيامة هو لأجلنا، هو نفس الجسد
 الروحاني الذي سنقوم به يوم القيامة.

- «أصعد إلى أبي وأيكم وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠: ١٧)، أبوة الآب
 للابن هي أبوة جوهريّة تختلف عن أبوة الله لنا نحن البشر التي هي أبوة
 بالتبني:

"مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في
 السماويات في المسيح" (أف ١: ٣). "نشكر الله أبا ربنا يسوع المسيح"
 (كولو ١: ٣)، هذه أبوة جوهريّة للابن.

"كَي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان
 في معرفته" (أف ١: ١٧). بولس الرسول يقصد من كل هذه التعبيرات
 تعبير يسوع نفسه "أبي وإلهي".

الآب هو أصل كل شيء وهو لقب خاص بأقنوم الابن أي أنه آب
 الابن فقط. أمَّا لقب "أب" فهو لجميع الناس، أراد الرب يسوع أن يميِّز
 بين أبوة الآب له وأبوة الآب للبشر، وكأنه يقول: أبي الخاص بأقنومي.

تذكار صعود جسد القديسة العذراء مريم

٢٢ أغسطس ١٩٦٨

«لما جاء مِلء الزمان أرسَلَ اللهُ ابْنه مَوْلوداً من امرأة» (غل: ٤: ٤).
يَهْمُنَا جِداً أن نَعْلَم أن اللهُ وُلِدَ من امرأة اختارها، ليس بتمييز خاص، كما يقول الروم بأن الله كان مُنتظِراً السنين الطويلة حتى يجد مريم، وهذا طبعاً تَحَيُّ صَارخ على الله، لأنه يستطيع أن يُقيم من الحجارَة ابنة تَقِيَّة يُولَد منها. اللهُ عَيَّن مِلء الزمان الذي حدَّده هو. ولما كَمُلَ الزمان، اختار من أولاده الأتقياء ابنة تَقِيَّة أَتَقَى مِنْ في عصرها، ولكنها ابنة طبيعتها كطبيعتي وطبيعتك، أي طبيعة بشرية ضعيفة، وهو طَهَّرها بالروح القدس وولَد منها.

- مُهِمٌ جداً أن نَعْلَم أن طبيعة القديسة العذراء هي طبيعتي أنا، وهذا هو مصدر فرحي وعزائي، وليس كما تقول الكنيسة الكاثوليكية: إنه حُبَل بها بلا دنس الخطيئة الأصلية، وأنه عَصَمَهَا من الخطيئة، لأنها تقول في تَسْبِحتها إن: «الله مُخَلَّصِي» (لو: ١: ٤٧).

الله حَلَّ في بطن القديسة العذراء وأخذ منها جسداً بشرياً مثلنا تماماً، ما خلا الخطيئة. هذا الجسد البشري الذي يتعب ويجوع ويعطش ويجزأ ويفرح أخذه ابنُ الله لنفسه واتحد به وأخذه الجسد البشري لم يُفِقه لاهوته قط، هو هو كما هو، وصعد به وتمجَّد به، وهو به الآن عن يمين الأب، ولم يتخلَّ عنه.

- لا بد أن نَفْهَم أن طبيعتنا البشرية غير مُحْتَقَرَة عند الله، بدليل أنه ارتَضَى أن يأخذها من مريم العذراء، وارتَضَى أن يتحد بهذه الطبيعة البشرية، ولا يُغَيِّر فيها شيئاً، بل صانها وطهرها، وتمجَّد بها، وما زال ممجِّداً بها في السماء.

- كثيرون من الروحيين (خصوصاً في بستان الرهبان) يُحاولون دائماً في أحاديثهم أن يمسحوا الطبيعة البشرية ويعتبرونها منْحَطَة جداً ونَجِسة

وأن الكلاب أفضل منها وأن الحمير أحسن! هذا الاتجاه الروحي تأثر به كثيرون وتسرّب فعلاً إلى التبرّوين في العالم فاضطّروا في نهاية القرن التاسع عشر أن يقولوا إن الإنسان لم يُحقّق نفسه من حياته، فاضطّر آخرون أن يقوموا ضدّهم لكي يُلغوا هذه النظرية، فألحدوا، وانحرفوا؛ إلى أن ظهرت الوجودية التي قالت: إن الإنسان إله نفسه. وهذا كله يرجع إلى انحراف المسيحيين وتجاهلهم لعمل المسيح العجيب الذي عمله بتجسّده الذي فيه كرّم طبيعتنا البشرية باتحاده بها. وهل يُوجد عمل أعظم من هذا؟ أن يهتّم الله ويبدّل ابنه الوحيد لكي يُنقذ ويُخلص الإنسان؟ أليس هذا معناه أن الله يُقدّر جداً الطبيعة البشرية التي لنا ولم يحتقرها قط؟

- هناك قول للقديس أنثاسيوس الرسولي يقول: [إنّ الله صار إنساناً لكي يجعلنا آلهة]، ومن هذا القول ربما يتماذى أحدٌ ويقول: "إننا بذلك نفقد إنسانيتنا أو نتعالى أعلى من إنسانيتنا"، كلا، إن بشريتنا لا يمكن أن تُفقد في المسيح، إن بشرتنا ممجّدة ومكرّمة في المسيح، لأن هذا ما حدث بالفعل في المسيح، ولا بدّ أن نشق الآن أن طبيعتنا في المسيح صارت ممجّدة ومحبوّة جداً لديه.

الرب يسوع يقول في صلاته الوداعية مخاطباً الآب: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو ١٧: ٢٢)، مع أنه لم يكن بعد قد صُلب، وقال لسامعيه: «لا أعود أسمّيكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سمّيتكم أحبّاء، لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو ١٥: ١٥)، فالمسيح باتحاده بطبيعتنا البشرية أعطى مجّده لنا نحن الذين صرنا إخوته وأحبّاءه بالتدبير.

العذراء مريم تمثّل هذا الحلّ العجيب في الطبيعة البشرية الذي فيه يُظهر الرب عظم حُبِّ واهتمامه بإنسانيتنا. فالعذراء مريم هي أختي بالطبيعة وهي إنسان مثلي، وقد وُلد منها ربُّ المجد آخذاً منها طبيعتي البشرية ومجدها، فأنا أمام العذراء أقدم المجد لله والشكر والحمد، إذ في

العدراء مريم عرفتُ قدر اهتمام الله بي وبطبيعتي البشرية، وفيها رأيتُ عِظَمَ المَجْدِ الذي صار لنا بتجسُّدِ الرب. بل والإنسان غَيْرَ المُؤْمِنِ عندما يقف أمام العدراء مريم ويتأمل في شخصها ويثق أنَّها كُليَّة الطَّهر، وفي قول آخر "أطهر نساء العالمين" (بقوَّة روح الله) فرمما يقوده هذا الإيمان إلى الإيمان بانبتها الذي صار لها به هذا المجد.

المجد الذي صار لنا بالمسيح عندما يُستعلنَ فينا في السماء لن يُغيَّرَ أشخاصنا، بل كُلُّ واحد سيصير هو هو، وهذا الجسد لا بدَّ أن يتمجدَّ ويصير على شبيه جسد الرب يسوع «الذي سيغيَّر شكل جسده تواضعنا إلى صورة جسده» (في ٣: ٢١).

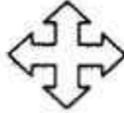
لا بدَّ أن أؤمن يقيناً أن الله قد اتخذَ بطبيعتي البشرية فصار لي أنا المجد من الآن لأنه يقول: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو ١٧: ٢٢). ولما صار صوتٌ من السماء قال الواقفون: «قد كلَّمه ملاك»، وذلك عندما سمعوا صوتاً من السماء، وكان هذا صوت الآب: «تمجدتُ وأُجِّد»، «فأجاب يسوع وقال: ليس من أجلِّي صار هذا الصوت بل من أجلكم» (يو ١٢: ٢٨-٣٠). وقال لهم أيضاً: «لا أعود أُسمِّيكم عبيداً... قد سمَّيتكم أحبَّاء» (يو ١٥: ١٥). لذلك يجب أن نثق أن المسيح الآن فينا، ونحن بطبيعتنا البشرية ممجِّدين فيه. والعدراء مريم هي مثال لهذا الاتحاد ولهذا التمجيد الذي صار للبشرية برِّبنا يسوع المسيح.

الذي يظنُّ أن هذا الاتحاد سوف يتمُّ في الأبدية فقط ولا يثق به من الآن، فهذا لن يكون له. نحن من جُرن المعمودية أخذنا الاتحاد بالرب ووُلدنا بالروح القدس: «حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن في جدَّة الحياة» (رو ٦: ٤)، فأنا الآن مُمجِّد في المسيح الذي أخذ طبيعتي هذه واتحدَ بها وكرَّمها، وهي بعينها ممجِّدة الآن فيه في السماء. نعم أنا إنسان خاطئ، وخطاياي أمامي وأمام إخوتي، ولكن أمام الله فأنا في المسيح، الله لا يَرى فيَّ إلاَّ برَّ المسيح الذي أمسكنا به، لأن خطيبي تذوب في دم المسيح كما تذوب قطرة الماء أمام أتون النار.

سؤال: ما هي مكانة العذراء مريم؟ وما هي أفضليتها على القديسين؟
جواب: العذراء مريم محسوبة أمّاً للمسيح ووالدة الإله "ثيوتوكوس"،
وفي الوقت نفسه عضواً في جسد المسيح.

أمومتها دائمة وعلاقتها مع أبنها علاقة دائمة مُستَورة، فالمسيح يرتاح إليها لأنها أمّه، فهي في ذلك تفوق القديسين والملائكة والشيرويم. وإن كان العبد الأمين يُستأمن على عشر مُدُن (لوقا ١٩: ١٧) فكم تكون أمّه؟ فهي تُستأمن على الكنيسة كلها. فهي لا تَهْدأ، بل تجول تصنع خيراً في العالم مثلما كان يفعل أبنها، وهي شفيعة البشرية كلها، تُعرف ضعفهم، وبالتالي فهي مُنجدة ومُعينة للضعفاء والمساكين والخطاة والمُجاهدين، وهذا يُسرُّ أبنها جداً.

كلُّ مَنْ يجاهد في الطريق الروحي يستطيع أن يكشف لنا معونات القديسة العذراء مريم المُستَورة له.





كتب أخرى عن توجيهات وعظات رهبانية

للأب متى المسكين

- ١ - الرهنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار
- ٢ - الروح القدس وعمله داخل النفس
- ٣ - التحولات الروحية السوية في حياة الراهب ومواطن الإخفاق والنكوص.
- ٤ - إرشادات روحية للرهبان.
- ٥ - توجيهات ونصائح رهبانية.
- ٦ - حبة الحنطة .
- ٧ - نصائح لرهبان جدد واختبار الله في حياة الراهب.
- ٨ - حاجتنا الى المسيح.
- ٩ - في تعليم المبتدئين .
- ١٠ - عظات رهبانية.
- ١١ - رسالة الي الرهبان - التطهيرات.

